التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

٧٤

Yanabee'a
ينابيع

مَجَلّةٌ ثَقافيّةٌ تُعنى بِنَشرِ فِكرِ أَهْلِ البَيْتعليهم السلام/ السَّنة ١٢/ العَدَد ٧٤ جمادى الأولى- جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ/ شباط - آذار ٢٠١٧م

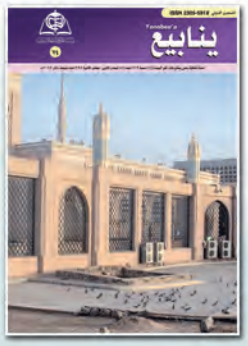

ينابيع ٧٤

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن علي العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

سكرتير التحرير
حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص
سعد فخر الدين

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر
مسلم شاكر مالك

كرافيك
عباس رفيعي

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الاشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) **موبايل:** ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً.
المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.
قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦
مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواء أنشرت ام لم تنشر.

قصيدة في ذكرى
مولد الزهراء عليها السلام

د.عادل الرفاعي /السويد/ستوكهولم

لَمْلِمْ ضِياءَكَ ساكِنَ العَلْياءِ ... فاليومَ لا قَمرٌ يُضيءُ سَمائي
وَاتْرُكْ مَنازِلَكَ التي عاهدتَها ... أضحيتَ عُرجُونًا مِنَ الإذواءِ
وأرى مُحيّا الشَمْسِ لَيْسَ بمُشرقٍ ... خَجِلٌ غيورٌ يرتجي ببهاءِ
وهنا النُجومُ تراجَعتْ بِسَنائِها ... كُبرى الكَواكِبِ قيَّدتْ بِرداءِ

* * * * * * * * * * * * * * *

العرشُ عرشُ اللهِ صارَ مُهَيَّئًا ... مَنْ يَسْتَلِمْ يَرْقى إلى العَلياءِ
ما الأمرُ؟ مَنْ ذا النورِ يا أفلاكِنا؟ ... النورُ شَعَّ بِمَوْلِدِ الزّهراءِ
جِبريلُ أسْرَجَ في السَّماءِ هُتافَهُ ... وَضَعتْ خديجُ وليدةَ الأكفاءِ

هـذي بِضـاعَـةُ أحـمـدٍ فـي حجرِها ... أكْـبِـرْ بـهـا مِـنْ بَـضـعـةٍ غـرّاءِ
قـدِمـتْ أزاحـتْ لِلّنبيّ وَزَوْجِـهِ ... إفْـكًـا أتـى مِـنْ سَـادةِ الأعـداءِ
الـشّـانِـئـونَ تـقـاولـوا وتَهامسوا ... ذا أبـتـرٌ أو ذا بِـلا إيـفـاءِ
يـا كـوثـرًا لـلـهِ ثُـمَّ رَسـولِـهِ ... مـا ضـرَّ نَـبـحٌ سـادتـي وغـذائـي
إنـي أحـارُ بِـمَـدْحِـهـا وَثَـنـائِـهـا ... الـشِـعْـرُ لا يَـرقـى إلـى الـحَـوراءِ
هـذا قَـصـيـدي كُـلّـهُ وَقْـفٌ على ... كَـعْـبِ الـحَـوائِـجِ إنَّـهـا إنشائي
ما المَجدُ عِنْدَ المُصْطَفى وَبَتولِهِ ... إلّا خَـدومٌ يَـنْـذوي بِـرجـاءِ

* * * * * * * * * * * * * * *

يـا تـائِـهـاً أو ضـائِـعًـا أو هائِمًا ... أهْـديـكَ مِـني وَصـفَـةَ الأدواءِ
وَمُـخَـضَّـبًـا بـالـهَـمِّ يَـرْجُـو فُرجةً ... مَـهْـلًا وَنُـصْـحًـا ذا إلـيـكَ وَفـائي
لا تَـكْـتَـرِثْ لِـلّـحُـزْن ِإنَّ زَوالَـهُ ... وَقْـفٌ عَـلَـيـهِـمْ يَنْجلي بِـرواءِ
هـذي دلـيـلُ الـلـهِ أمُّ حُسَينِها ... وآلِ بَـنـيـهـا زَوجَـهـا بِـنَـقـاءِ
وإذا كَـبَـوتَ بـإثـمـةٍ وكـبـيـرةٍ ... لا يـأسَ ذا وَعَـدٌ مِـنَ المِعْطاءِ
ضَـعْ صِبْغةً مِـنْ حُـبِّ آلِ مُحمدٍ ... تَـمْـحُ الـذّنـوبُ بـأروعِ الـحِـنّـاءِ
اقـرأ كِـتـابَ الـلـهِ يـا مُـتَـوَسِّـمًـا ... ثُـمَّ انـحَـنـي فـي عِـزَّةٍ وَرَجـاءِ
يـا أزهـريٌّ فـي الـهـوى ونَـديـمُـهُ ... الـكـرّارُ فـي الـسَـرّاءِ والـضَـرّاءِ
الـلـهُ نـورٌ لِـلّـسـمـاءِ وأرضِـهِ ... هَـلّا وَقَـفْـتَ هُـنَـيـهـةً بِـرَواءِ

* * * * * * * * * * * * * * *

مَـثَـلٌ سَـيَـأتـي ثُـمَّ مَـاذا بَـعْـدَهُ ... مِـشْـكـاةُ نُـورٍ إنّـهـا بِـصَـفـاءِ
دَعْني أُوازِنُ في اللُّبابِ بِفِطْرَتي ... بَـيـنَ الـثُـريّـا والـثَـرى بِـرَواءِ
آلُ الـثُـريّـا بـالـتُـقَـى عِـنـوانُـهُـم ... أهـلُ الـثَـرى كُـفـرٌ على خُـيـلاءِ

* * * * * * * * * * * * * * *

وأهـلُ الـثُـريّـا أنـجـمٌ وضّـاءةٌ ... فـهـذا حُـسـيـنٌ وأحـسـنُ الأمُـنـاءِ
يـا ربّ زدنـي بـالـصـلاةِ عليهمُ ... سَـلّـمْ عليهم إنـهـم شُفعائي

قصيدة في ذكرى
مولد الزهراء عليها السلام

السيد محمد جمال الهاشمي

مولد الزهراء للايمان عيد ... كل شيعي بذكراه سعيد
ذكريات الفجر في مطلعه ... تتجلى ، ولنا فيه عهود
يوم كان الدين في منهاجه ... نغمة كل معانيها جديد
يتوخى السير بالتأريخ في ... أبحر مرفاها الأدنى بعيد
الفضا معصوصب ، والأرض قد ... زلزلتها عاصفات ورعود
التقاليد وما أفتكها ... وقفت من دونه فهي سدود
والمرامي وهي في أطماعها ... كالعفاريت ترامت وهي سود

* * * * * * * * * * * * * *

ورسول الله في دعوت ... يفزع الأحلام والناس هجود
يقظة الفطرة وحي رائع ... صاغه الله لنا فهو نشيد
مولد الزهراء في موكبه ... يتهادى ، وبه الماضي يعود
يهزم الأوهام في ألطافه ... فالفيافي من معانيه ورود
ورمال البيد سالت عسجدا ... والحصى فيه لئال وعقود
واستطالت قمم المجد بها ... فهي في الشرق رواب ونجود
ولد الإنسان في أكنافها ... فهي أم للكرامات ولود
لم يكن من قبلها في ظلها ... للهدى عين ، وللحق وجود
عجبا للصخر كيف انبثقت ... جانباه ، فهما فضل وجود

* * * * * * * * * * * * * *

قدس الإسلام في دستوره ... يورق الصخر وينشق الحديد
مولد الزهراء هذا فابسمي ... أيها الشيعة ، فالموسم عيد
ودعي عنك الأسى واحتفلي ... فيه ، فالعيد به الحزن يبيد

* * * * * * * * * * * * * *

واتركي الأمر إلى رب السما ... فهو بالوضع خبير وشهيد
سوف ينجاب الدجى منهزما ... من سنا الفجر ، فللفجر جنود
فإذا وجهها الله إلى ... أفق باد به الليل المبيد

أهم المواضيع

التطور الدلالي لصفات الجبال في القرآن الكريم
د. علي سواري/ أ.م.د. حميد أحمدان
القرآنيات
ص (١٠)

إضاءات السيرة
ص (٧٢)
البنية العسكرية في الدولة عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
الباحث: نصير علي موسى

نسبية الزمن في القرآن الكريم
د.فيصل علي البصام
القرآنيات
ص (١٦)

مع الفقيه
ص (٧٨)
أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدَ ظله)

الإيمانُ المحض والخوفُ المُخِلّ ضِدان لا يجتمعان
طالب علي الشرقي
أمن الرسول
ص (٢٢)

في النفس والمجتمع
ص(٨٨)
الزواج من منظور آيات الأحكام
محمد دعيبل

تأملات...في حياة سيدة العصور
بقلم: كمال السيد
ملف العدد
ص (٣٤)

طروحات عامة
ص (١٢٢)
المستشرقون وبشرية النص القرآني
م. م يعقوب يوسف خلف الياسري

كلمة العدد

المجتمع رافد من روافد اكتساب القيم

المشرف العام..... ٨

قرآنيات

التطور الدلالي لصفات الجبال في القرآن الكريم

د. علي سواري/ أ.م.د .حميد أحمدان..... ١٠

نسبية الزمن في القرآن الكريم

د.فيصل علي البصام..... ١٦

آمن الرسول

الإيمانُ المحض والخوفُ المُخِلّ ضِدان لا يجتمعان

طالب علي الشرقي..... ٢٢

هل الشر من الله؟

الشيخ نصير السعداوي..... ٢٦

ملف العدد (شهادة الزهراء عليها السلام)

تأملات...في حياة سيدة العصور

بقلم: كمال السيد..... ٣٤

صفحات مشرقة من حياة السيدة الزهراء عليها السلام

الباحث: قادر شاكر علي..... ٤٢

الدور الرسالي للزهراء عليها السلام

سكينة الربيعي..... ٤٨

أهم ما ورد في وصية سيدة نساء العالمين عليها السلام

م.م . فارس عطية الحداد..... ٥١

وقفة مع مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله عند دفن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

بقلم الشيخ: حيدر الشكري..... ٥٧

فاطمة الزهراء عليها السلام في شعر العصر العباسي

د. شيرين سالم..... ٦٤

إضاءات السيرة

البنيــة العســكرية في الدولة عنــد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

الباحث: نصير علي موسى..... ٧٢

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)..... ٧٨

في النفس والمجتمع

النموذج التربوي الأخلاقي عند أهل البيت عليهم السلام

باسم الدولة الحمداني..... ٨٤

الزواج من منظور آيات الأحكام

محمد دعيبل..... ٨٨

قراءات

العناصر الفنية في وصية الإمام الكاظم عليه السلام

أ.م.د خليل خلف بشير ٩٢

للفضيلة نجومها

السفير الثاني محمد بن عثمان

ساجد صباح العسكري... ١١٠

الشيخ محمد رضا المظفر رائد التجديد

الدكتور عادل عباس النصراوي... ١١٦

طروحات عامة

المستشرقون وبشرية النص القرآني

م. م يعقوب يوسف خلف الياسري..... ١٢٢

أثر التجويد في تقويم اللسان لتحقيق التدبر

الباحث: أحمد جاسم النجفي..... ١٢٨

واحة الأدب

أدوات الطلب ودلالتها البلاغية

أ.م.د. حسين لفته حافظ..... ١٣٤

أثر التنغيم والوقف في دلالة (هل) الاستفهامية

د. فاطمة عبد الأمير السلامي..... ١٣٨

حكاية مستبصر..... ٩٨

في الذاكرة..... ١٠٤

وقفة مع الذكرى:..... ١٠٨

أجوبة مسابقة العدد (٧١) وأسماء الفائزين.... ١٢٨

مسابقة العدد (٧٣)..... ١٤٤

كلمة العدد

المجتمع رافد من روافد اكتساب القيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إمن من أهم روافد اكتساب القيم والمبادىء السامية لدى الفرد رافدين: (الأول): الجانب التربوي الذي يكون المسؤول عنه بشكل مباشر المدرسة ومؤسسات التعليم بشكل عام.

(الثاني): البيئة الاجتماعية التي يتحرك الفرد ويتجول في مرافقها الحيوية فيكتسب من خلال ذلك القيم والتعاليم التي تساعده على اكتساب المعرفة والتعمق في الموروث الثقافي والمعرفي لتزداد القيم العلمية والدينية رسوخاً في نفسه، كما يمكن أن يكتسب التزلزل الفكري والاضطراب الذي يؤدي به في نهاية المطاف إلى القلق واهتزاز الشخصية وضياع الأهداف النبيلة. فيما لو كان المجتمع على ذلك.

وهناك عوامل أخرى تدخل كعوامل مساعدة في تحفيز الفرد على البحث عن بعض الحقائق المغيبة عن ذهنه نتيجة بعد مجتمعه أو مدرسته عنها. إلا أن بعض الإثارات الخارجية التي يمكن أن يطلع عليها نتيجة الإرتباطات الخارجية بين المجتمعات قد تثير لديه بعض التساؤلات ومنها يدخل حيز البحث عن الحقيقة المغيبة. ولذا نرى بعض الذين اعتنقوا الدين الإسلامي وكانوا يعيشون في مجتمعات بعيدة كل البعد عن المجتمعات الإسلامية كان إسلامهم نتيجة لبعض الإثارات التي حصلت لديهم بسبب تقارب مجتمعهم مع بعض المجتمعات الإسلامية.

ولا يمكن أن تعد هذه ظاهرة طبيعية يفترض أن تحدث عند جميع الأفراد. بل هي ظاهرة خاصة تنبىء عن قوة شخصية وعزم كبيرين واهتمام بالغ بالحقيقة والبحث عنها وإن كانت بعيدة عن ثقافته وموروثاته المعرفية. وإلا فالحالة الطبيعية السائدة في المجتمعات بشكل عام هي حالة الاكتساب من نفس المجتمع وتأثر الفرد به واكتساب القيم والأخلاق منه بشكل مباشر.

إن مفهوم المجتمع والبيئة مفهوم عام قد يصعب تحديد مدخلاته البيئية الوظيفية التي هي أساس قوامه والتي تحدد مساره مما يعود بتأثيره على الفرد. وقد عرف المجتمع بأنه مجموعة من الناس التي تعيش بشكل منظم، وضمن جماعات منظمة، وهذا التعريف لا يعود إلى تفسير المجتمع كمجتمع بل إلى تفسير الاجتماع من الناس مع ملاحظة حركتهم الجميع نحو تحقيق الانسيابية النسبية في حركة الناس ليحل مشكلة التقاطع التي تحصل نتيجة تضارب المصالح فيما بينها.

وإلا فالظاهر أن المجتمع هو الحصيلة الناتجة عن ذلك الاجتماع المنظم بهذا النحو

من التنظيم. وهذا يعطي فكرة واضحة على أن الحصيلة المذكورة لابد أن تكون مؤثرة في واقع الأشخاص الذين يعيشون ضمن هذه الدائرة الاجتماعية كما لابد من انعكاس تأثيرهم عليه.

وهناك عدة أمور يمكن أن تدخل في النظام الاجتماعي الذي ينتج عنه المجتمع وتؤثر فيه تأثيراً كبيراً وتحدد مساره بشكل مباشر أو غير مباشر مما يعود بتأثيره على الفرد بشكل مباشر أهمها أمران: أولاً: البيئة الأسرية حيث إن لها التأثير الكبير على الفرد، وهي في كثير من الأحيان العامل الأول في تحديد مساره ويمكن أن تدخل عوامل أخرى تحرف مسيرته الفردية المكتسبة من البيئة الأسرية ويشذ عنها. ولا مجال للإسهاب في تأثير البيئة الأسرية على الفرد لأن من الواضح أن التدرج العلمي للطفل حتى الكبر ينشأ من الأسرة سواء على الصعيد الفكري أم على الصعيد التربوي والأخلاقي. فإن القيم الأخلاقية وإن كانت تابعة للعقل الفطري إلا أن للبيئة الأسرية الدور الكبير في تنمية القيم المذكورة وترسيخها. كما أن دور البيئة الأسرية يمكن أن يكون في طمس تلك القيم واضمحلالها في نفس الفرد إذا كانت تلك البيئة مشوهة خالية من القيم الأخلاقية فينشأ الفرد فيها فرداً خاوياً لا يمتلك من القيم شيئاً. ولذا ورد في الحديث الشريف (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) وهو يشير إلى نفس القيم التي أشرنا إليها.

وثانياً: الرفقاء الذين يرجع تأثيرهم على الفرد في الأهمية كتأثير البيئة الأسرية وهي أيضاً أداة لتكوين مدخلات المجتمع التي نشير إليها. ويختلف الحصول على الرفقاء من شخص لآخر، فقد يحصل عليهم الفرد من المدرسة أو الكلية أو الجامعة، كما قد يحصل عليهم من السوق ومواقع العمل ومحال الاجتماع الدوري لدى الشخص، كما قد يحصل عليهم من بعض الأندية والمناسبات الخاصة والعامة وهذه الأخرى تدخل في النظام الاجتماعي الخاص الذي يترتب عليه تنظيم المجتمع. ومن هنا تكمن ضرورة اختيار الفرد لرفيقه، وترك رفقاء السوء، وضرورة السؤال عن الرفيق قبل الرفقة، ونحو ذلك، وترجع أهمية ذلك لتأثيره على سلوكه وتفكيره وميوله الشخصية، وكل ذلك يعود بالتأثير على الواقع النفسي الذي يؤثر سلباً على القيم العلمية والتربوية للفرد، سواء أكان ذلك إيجاباً أم سلباً.

وهناك أمور أخرى تصلح أن تكون مؤثرة في الواقع الاجتماعي والتي يرجع تأثيرها على الفرد كونه ضمن المنظومة الاجتماعية التي نتحدث عنها لكن أهمها ما ذكرنا. فالذي يتحمل مسؤولية الفرد هذان المحوران ولذا كان اللازم تحري أساليب التربية الصحيحة والاهتمام بذلك للخروج عن المسؤولية الشرعية. ومن الله نستمد العون والتوفيق.

أما المدرسة والمؤسسات التعليمية التي ذكرناها أولاً والتي هي رافد من رافدي اكتساب القيم فنرجئ الحديث عنها إلى العدد اللاحق إن شاء الله تعالى.

المشرف العام

التطور الدلالي لصفات الجبال في القرآن الكريم

د. علي سواري
أ.م.د .حميد أحمدان
كلية الآداب /جامعة أصفهان ـ إيران

تمهيد

مما لا شك فيه، أن القرآن الكريم مليءٌ بالآيات الكونية التي تدل على عظمة الله أولًا، والإعجاز العلمي ثانيًا؛ الأمر الذي يدل على حكمة الله عزّ وجل وقدرته على تدبير خلقه. ومن تلك الآيات هي ظاهرة الجبال، التي نراها حولنا ونتعايش معها ونستفيد منها، دون أن ندرك فحواها. وللجبال أهمية كبرى في الحياة، ولذلك نرى البارئ عزّوجل خصص آيات عديدة لهذا الشأن وقد عالجها شكلًا ووظيفةً، تكوينيًا وكونيًا، تمثيلًا وتخييلًا، حسيًّا وملموسًا.

فذكر القرآن باللفظ المفرد (جبل) ستّ مرات معرفة ونكرة، وبلفظ الجمع (الجبال) معرفة ونكرة ثلاثًا وثلاثين مرة، وبلفظ الرواسي تسع مرات، ومرّة بلفظ الشامخات ومرّة واحدة بلفظ الأوتاد. وبلفظ الطور عشر مرات، وطور سيناء مرّة واحدة وبلفظ الطود مرة واحدة، وبلفظ الأعلام مرتين وبلفظ الكهف خمس مرات وبلفظ الأحقاف مرة واحدة وبلفظ الريع مرة واحدة وبلفظ الربوة مرة واحدة[1]. هذا إذا استثنينا القاف والرقيم.

وهناك مدلولات لغوّية قد استخدمت في الذكر الحكيم لوصف الجبال، تحثّنا على التدبّر والتأمّل، منها لفظة الأوتاد، والرّواسي، وتسبيح الجبال وألوانها.

وظاهرة الجبال، التي تكررت كثيرًا في آيات عديدة من القرآن الكريم، جاءت بعبارات متفاوتة حسب مقتضيات الآية، نحو: الجبال والأوتاد، والرواسي، والشامخات. وكما نراها في الصورة الآتية، يقول الله تبارك وتعالى: (**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**)(النبأ:٦- ٧)، وقوله: (**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ**)(النحل:١٥-١٦)، وقوله: (**رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا**) (المرسلات:٢٧).

وظاهرة الجبال ظاهرة عجيبة، وما استطاع الإنسان أن يصل إليها كحقيقة معرفة إلا بعد التقدم والتطور العلمي والتقني الهائل الذي حصل في القرنين الأخيرين. وقد ثبت علميًا أن الله سبحانه وتعالى قد حفظ توازن الأرض بالجبال الرّاسية المستقرة. فلهذه الجبال الدور في حفظ التوازن للكرة الأرضية وكذلك مسك الطبقات حتى لا تميد بأهلها. وللجبال فوائد عديدة يصعب علينا حصرها. ولها منافع كثيرة أيضًا كحفظ ماء الشتاء للصيف وتخزين المياه العذبة، وهي تسبب الرطوبة الدائمة على وجه الأرض، ومن هذا التدبير عمارة الكون ووجود النبات والحيوان. وفيها من المعادن والأحجار الكريمة ومنها تنحت وتبنى البيوت. ومن أجل هذه الأمور وغيرها - لا يعلمها إلا الله - نصبت الجبال. وفي نهاية المطاف ترجف الجبال وتزلزل وتدكُّ ثم تُبسُّ وتنسف وفي النهاية تكون كالسراب هباءً منبثًا ويذرها ربك قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا. وبعد هذا الاستعراض المجمل نأخذ بالتفصيل في هذه الصفات:

١- نصب الجبال:

يحثنا القرآن الكريم على التدبّر حول نصب الجبال، وذلك بعد دعوة الناس إلى التفحص والتأمل في آيات الله في السموات والأرض وذلك في قوله تبارك وتعالى: (**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ**)(الغاشية:١٧-٢٠)، فيشير الباري عزّ وجل إلى التمعن المطلوب في كيفية خلق الإبل وكذلك ارتفاع السماوات حيث ارتفعت بدون عَمَد يُرى مع ما لها من عظمة، وأشار إلى نصب الجبال فقال: وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ؟ جاء في لسان العرب: (النَّصْبُ: وَضْع الشّيء ورَفْعُه)[2]. ويقول الطبري: (وإلى الجبال كيف أقيمت منتصبة لا تسقط، فتنبسط في الأرض، ولكنه جعلها بقدرته منتصبة جامدة، لا تبرح

مكانها، ولا تزول عن موضعها)[٣].

٢ـ الجبال الرواسي:

وقد جاءت هذه اللفظة مكررّة في تسع آيات في القرآن، وهي تدلّ على مهنة الجبال بما أراد الله، وهي تثبيت الكرة الأرضية عن الميلان، وإرساء طبقاتها بالجبال الثوابت، واتضح من خلال الأبحاث أن القشرة الأرضية التي تعيش عليها عائمة كالسفينة، فهي تميد وتميل إن لم ترسَ بشيء يثقلها ويثبتها عن الميلان.

جاء في لسان العرب حول مادة رسا: (رسا الشيء يرسو وأرسى: بمعنى ثبت. ورسا الجبل يرسو إذا ثبت أصله في الأرض، وجبال راسيات، والرواسي من الجبال: الثوابت الرواسخ، ويقول ابن كثير في تفسيره: (رواسي: الجبال؛ أرست الأرض، وثقلتها لئلا تضطرب بأهلها على وجه الماء ولهذا قال أن تميد بكم أي: لئلا تميد بكم).[٤] ومنه قول زيد بن عمرو:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له
الأرض تحمل صخراً ثقالا
دحاها فلما استوت شدّها
بأيد وأرسى عليها الجبالا

٣ـ شامخات:

جاءت لفظة شامخات صفة الرواسي مرّة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: (**وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا**)(المرسلات:٢٧)، يعبر القرآن عن الجبال بالرواسي الشامخات، وهذا وصف آخر للجبال ليدلّ به على مهنة الجبال وهي ثبيت طبقات الأرض. لقد جاء في تفسير القرطبي: (رواسي شامخات، يعني الجبال والرواسي الثوابت. والشامخات: الطوال، ومنه يقال شمخ بأنفه إذا رفعه كبرًا)[٥].

٤ـ الأوتاد:

جاء وصف الجبال في القرآن الكريم مرة واحدة بلفظ (الأوتاد) في سورة النبأ، حيث يقول: (**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا* وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**)(النبأ :٦ ـ ٧)، وفي نص لغوي لابن منظور حول كلمة «وَتَد» جاء في لسان العرب: (وتد: الوتد، بالكسر، والوتَدُ والوَتِدّ: ما رُزَّ في الحائط أو الأرض من الخشب والجمع أوتادٌ. قال الله تعالى: (وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً). قال الأفوه الأزدي:

والبيت لا يبنى إلا له عَمَدٌ
ولا عمادَ إذا لم تُرسَ أوتادُ

وقول زهير بن أبي سلمى:

ما زال في سيبه سَجلٌ يَعُمُّهُمُ
ما دامَ في الأرض من أوتادها وَتِدُ[٦]

ووفقاً للمعطيات العلمية ونتائج دراسات الجيولوجيا، إذا قسّمنا ارتفاع الجبل إلى تسعة أقسام، يبلغ طول الجزء القابع داخل الأرض ١٠/٩والجزء الظاهر فوق سطح الأرض ١٠/١ من الطول الإجمالي.

وهكذا ترى كيف تصف كلمة واحدة، وهي كلمة الوتد، جزئي الجبل: العلويّ والسفليّ. ووظيفته أيضاً تثبيت الأرض. فكلمة (وتد) التي يستخدمها القرآن لوصف الجبال هي أكثر دقة من الناحية العلمية واللغوية من كلمة (جذر) المستخدمة حاليًا من قبل العلماء لوصف الجزء السفلي المختبئ داخل الأرض. فمهمة الجبل كما هو معلوم، تثبيت الأرض. وينسب صاحب تفسير الأمثل

مهمة الجبال وهي كونها أوتادًا للأرض إلى عدة أمور منها: تحفظ القشرة الأرضية من الانهيار أمام الضغط الحاصل من المواد المذابة داخلها، ومن تأثيرات جاذبية القمر في عملية المدّ والجزر. وتشكل جدران الجبال سدًّا منيعًا للتقليل من آثار الرياح الشديدة والعواصف المدمّرة[٧].

٦ـ ألوان الجبال:

(**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ**)(فاطر:٢٧). نحن نواجه هذه الحقيقة في الطبيعة وهي أن الجبال ملوّنة. جاء في لسان العرب: الجدة الخطة السوداء في متن الحمار[٨].

الملاحظ هنا في هذه الآية هو التدبيج: في قوله تعالى: (**وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ**).

والتدبيج: هو أن يذكر المتكلم ألوانًا، بقصد الكناية أو التورية، عن أشياء من وصف أو مدح أو هجاء أو نسيب أو غير ذلك من الفنون البلاغية[٩]. ومن تدبيج الكناية قول أبي تمام:

غدا غدوةً والحمد نَسجُ ردائه
فلم ينصَرف إلا وأكفانُهُ الأجرُ
تردّى ثيابَ الموتِ حُمرًا فما أتى
لها الليل إلا وهي من سندس خضرُ

ومن الجبال جدد جمع جدّة. قال الأخفش: ولو كان جمع جديد لقيل جدد مثل رغيف ورغف. بيضٌ وحمرٌ مختلف ألوانها رفع (مختلف) هاهنا ونصب ثم ما قبله ها هنا مرفوع فهو نعت له، ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء والخبر[١٠].

وحول صفة الغرابيب آراء متعددة لدى المفسرين واللغويين، جاء في تفسير الجامع لأحكام القرآن عن أبي عبيدة: (الغربيب الشديد السواد، ففي الكلام تقديم وتأخير والمعنى: ومن الجبال سود غرابيب. والعرب تقول للشديد السواد الذي لونه كلون الغراب: أسود غربيب. قال الجوهري: وتقول هذا أسود غربيب، أي شديد السواد. وإذا قلت غرابيب سود، تجعل السود بدلاً من غرابيب لأن توكيد الألوان لا يتقدم. قال امرؤ القيس يصف فرسًا لونها أسود:

العين قادحة واليد سابحة
والرجل طامحة واللون غربيب

ومن الجبال جدد أي: من الجبال ذو جدد بيض، وحمر، وسود غرابيب حتى يؤول إلى قولك: ومن الجبال مختلف ألوانه، كما قال: ثمرات مختلفًا ألوانها)[١١].

٧ـ تحرّك الجبال:

عندما نراجع القرآن الكريم، نجد أنّه ضمن استعراضه المتنوع للجبال، يصفها بأنها تسير وتتحرك كما تسير السّحاب، وذلك قوله تعالى: (**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**) (النمل : ٨٨)، في حين نرى أن الجبال ثابتة جامدة، ومثبتة لغيرها. فكيف يحصل التطابق بين هاتين الحقيقتين؟ وهنا نلاحظ أن القرآن في تشبيهاته دقيق جداً من الناحية العلمية فحركة الجبال ليست حركة ذاتية بنفسها بل هي حركة اندفاعية بسبب تيارات تسببها الطبقة التي تليها من الأرض وكذلك حركة الغيوم أيضًا هي حركة ليست ذاتية إنما حركة اندفاعية بسبب التيارات الهوائية والرياح.

٨ـ الإدراك والشعور عند الجبال:

القرآن الكريم لا ينظر إلى الجبال نظرة مادية بل حتى الجماد في القرآن يتمتع بحياة إلهية ملكوتية. القرآن بعد أن يرسم لنا تلك الصورة الرهيبة للجبال وأسرارها العجيبة يؤكد أن هذه الجبال الشامخة التي توتد الأرض وترسيها هي في قبضة الله فلهذا نجد أن الجبال في القرآن تخشع لله وتسجد وتخرّ لعظمته كغيرها من ذوات الشعور. وهذه الصورة النبيلة التي نشاهدها في القرآن لا نعثر عليها في أي كتاب علمي قط. من تلك الآيات قوله جلّ وعلا:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَالْجِبَال فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)(الأحزاب: ٧٢).

وجاء في تفسير الجوهر الثمين: (قوله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَالْجِبَال فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا)، أي هي لعظمتها بحيث لو عرضت على هذه العظام وكان لها شعور لأبين حملها)[١٢].

وجاء في تفسير متشابه القرآن ومختلفه: قوله سبحانه: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَالْجِبَال فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا...)، وهذه الأشياء جمادات لا يصح تكليفها، المراد عرضنا الأمانة على أهل السماوات وأهل الأرض وأهل الجبال، كقوله: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ...) (يوسف:٨٢)، وقيل: المعنى في ذلك تفخيم شأن الأمانة وتعظيم حقها، وإن من عظم منزلتها أنها لو عرضت على الجبال والسماوات مع عظمها وكانت تعمل بأمرها لأشفقت منها، غير أنه خرج مخرج الواقع لأنه أبلغ في المقدور[١٣].

قال امرؤ القيس:

أبَت أجا أن تسلم العام جارها

فمن شاء فلينهض لها من مقاتل

وأجا: أحد جبلي طئ، وقوله: «أبت أجا» أي أبى أهلها.

وفي موضع آخر يحدثنا القرآن عن خشوع الجبال وإنّها لو نزل عليها الوحي الرباني لتصدّعت وتلاشت، كما إنها تخرّ لربها ساجدة راكعة:

(**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**)(الحشر:٢١)، (**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا**)(مريم: ٩٠).

٩ـ تسبيح الجبال:

بالرغم من ضخامة الجبال وعظمتها إلا أن هناك لغة مشتركة بين الجبال والإنسان وهي لغة تسبيح الله عزّ وجل، ولكن بلغة لا نعلمها ولا نعرفها، إنما يعرفها جلّ شأنه، حيث يقول: (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**)(الحج:١٨). (**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ**)(الأنبياء:٧٩). (**إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ**)(ص:١٨).

١٠ـ أهمية الجبال:

الكل يعرف بشكل عام أن الأرياف وأغلب المدن المهمّة تتوسط الجبال الشامخة أو تقع في أعماقها، وأن

الأنهار الكبيرة التي هي عماد ازدهار المدن تنبع من الجبال الشاهقة، إلّا أن دور الجبال في حياة الإنسان لا ينحصر بذلك فقط على الرغم من أنه مهم بدوره أيضًا. فالجبال لها دور مهم جداً في حياة الإنسان بل جميع الموجودات التي تعيش على الأرض، وفوائدها وبركاتها عديدة جدًا، ولا مبالغة إذا قلنا باستحالة الحياة على الأرض بدون وجود جبال. ولهذا فإن القرآن الكريم أشار في آيات كثيرة إلى مسألة خلق الجبال كإحدى آيات التوحيد وبرهان على علم وقدرة الخالق جل وعلا: (**وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء من بَعْد عَاد وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخذُونَ من سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُواْ آلاء اللهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسدينَ**)(الأعراف:٧٤).

والجدير بالذكر أنه كلما ذكرت الجبال في القرآن الكريم ذكرت الأنهار والمياه الجارية العذبة في جنبها وفي ذلك آية كونيّة، لأن للجبال الدور الأكبر في تثبت الرياح والسحاب وكذلك الأمطار والثلوج الهاطلة على الجبال وتخزين المياه العذبة المختزنة في جوف الجبال.

١٣ـ مصير ونهاية الجبال:

لقد تحدث القرآن الكريم في آيات عديدة عن الأحداث المستقبلية بلغة التأكيد بعدة مناسبات، أبرزها الأحداث المرتبطة بيوم القيامة وهي كثيرة. من تلك الأحداث هو ما يطرأ على الجبال في ذلك اليوم الرهيب. ومن المنظار القرآني فإن للجبال نهاية كما كانت لها بداية. ولنهايتها مراحل قد ذكرت في القرآن الكريم في قوله تبارك وتعالى: (**وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً**)(الحاقة:١٤)، وقوله: (**وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً**)(الواقعة:٥)، وقوله: (**وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً**)(المزمل:١٤)، وقوله: (**وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ**) (القارعة:٥)، وقوله: (**وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً**)(النبأ:٢٠). من خلال هذه الآيات يرسم لنا الباري عزّ وجلّ المآل والمصير الذي قدّر للجبال في ضمن المجموعة الكونية. فالنظرة الربانية للجبال نظرة كونية والوصف يشمل جميع جوانبها الوجودية، بداية ونهاية.■

---

١) (انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن/ عبدالباقي ـ ٢٠٨ و٤٠٦ ـ ٤٠٧).

٢ـ (لسان العرب/ابن منظور، ١٤: ١٢٠).

٣ـ (جامع البيان /الطبري، ٣٠: ١٠٥).

٤ـ تفسير القرآن العظيم /ابن كثير /٤: ٤٣٢.

٥ـ الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي/ ١٩: ١٠٥.

٦ـ زهير بن أبي سلمى ، ٢٠٥.

٧ـ تفسير الأمثل /مكارم الشيرازي/١٩: ٢٧٣.

٨ـ لسان العرب/ابن منظور ٢: ٢٠٠ .

٩ـ التفتازاني/٢: ١٣٧.

١٠ـ إعراب القرآن /النحاس /٣: ٢٥١.

١١ـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد /ابن عجينة :٤: ٥٣٦.

١٢ـ الجوهر الثمين في تفسير الكتاب/سيد عبد الله شبر ٥: ١٦٥.

١٣ـ متشابه القرآن ومختلفه/ابن شهر آشو ب: ١:٣٠.

نسبية الزمن في القرآن الكريم

د.فيصل علي البصام
قسم فيزياء الليزر/كلية العلوم للبنات /جامعة بابل

ينابيع وردت مفاهيم الزمن والزمن النسبي في الكثير من الآيات القرآنية بألفاظ أخرى مثل: لحظة، لمح، ساعة، يوم، شهر، سنة، سنين وغيرها، للتعبير عن نسبية الزمن وأنه لم يكن مطلقًا، إلّا في صور معينة من الحوادث عبر عنها الله تعالى في كتابه الكريم، بينما عبر في صور أخرى لتقدير الزمن بالحالة النسبية، كما في قوله تعالى: (**وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**) (الحج:٤٧)، وقوله تعالى: (**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**)

(المعارج:٤)، وقوله تعالى: (**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**)(النمل:٤٠)، فنلاحظ أن أقيام الزمن متباينة، وقد يطلق على الزمن باليوم عند التعبير عن الأحقاب الزمنية، مثل قوله تعالى: (**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**)(الأعراف:٥٤)، أو قوله تعالى: (**وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**)(القمر:٥٠)، للتعبير عن الحادثة بلمح بالبصر أو هو أقرب مثل يوم قيام الساعة، هنا يدخل مفهوم البصريات باعتبار أن أسرع شيء هو الموجات الكهرومغناطيسية في الطيف الكهرومغناطيسي حاليًا، وقد عرفت جسيمات أسرع منها ولازالت التجارب المختبرية متواصلة في هذا الشأن مقاربة لقوله: (**أَوْ هُوَ أَقْرَبُ**) (النحل:٧٧). فالقرآن الكريم لا يفرد لموضوع الزمن سُوَرًا ولا آيات خاصة به، فهو يخالف بالتالي منهج الدراسات المعاصرة، فالزمن يغوص في كل جزئيات الكون، وأسلوبه هو نفسه الأسلوب الذي يغمر الكون والحياة، بعيدًا عن الأسلوب المقيد الجاف. فهناك تحديد دقيق لمكان الألفاظ وسياقها، وهناك تشابه مطلق لفظًا واختلاف في المعنى، وفي المعنى الشامل يمكن أن تدخل كل الوسائل والآلات التي يوزن بها الزمن والتي تحدد بها مقاديره. يقول الله سبحانه وتعالى: (**يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**)(الرحمن:٢٩)، أي في كل بقعة في الكون لها زمن نسبي فـ (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)، وقوله في سورة فصلت: (**خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ**)(فصلت:٩)، يعني في ألفي سنة من أيامنا، وإحالتها إلى أرض بعدما كانت شمسًا.

النسبية الزمنية

يعيش الإنسان على سطح الكرة الأرضية مقيدًا بقوانين الكون كالزمان والمكان والجاذبية والغلاف الجوي وغير ذلك، ولهذه المحدودية المادية يعيش النسبية في مختلف مجالات حياته. والزمان وليد حركة الأفلاك والمنظومة الشمسية، وهو يختلف باختلاف حركتها، ففي الكرة الأرضية يقسم الزمان إلى (يوم) و(شهر) و(سنة)، فـ (كل ما هو حولنا نسبي، فكل معارفنا التي توهمنا أنها حقائق لا غبار عليها، إنْ هي إلّا نتائج نسبية لا حقيقة مطلقة لها، ...وأن لكل مكان زمان.. الوقت يقصر أو يطول بتغير الفضاء، ولكن لا نشعر بذلك لأن كل الحدود والأبعاد تقصر أو تطول بنفس النسبة،...المكان والزمان يختلفان بالمقدار باختلاف الفضاء المنسوبين إليه).

(... وأما الزمان فهو كالفضاء لفظة معبرة بنفسها غنية عن التحديد، وقد يسوغ أن ندعوه تعاقب الأشياء باللانهاية... فالزمان يتولد من تولد الأشياء وينقضي بانقضائها، وهو بقياس الأبدية، فتختلف الأزمنة على اختلاف العوالم، وخارج هذه التعاقبات الفانية تسود الأبدية وحدها، وتملأ بضيائها فلوات الفضاء التي هي غير محدودة)[1].

(إن النظريات العلمية هي عموميات مطلقة زمانًا، ونسبية زمانًا آخر، وهي عبارة عن علاقات ورموز تفسر العالم من حولنا أو هي اللغة اللازمة لشرح الظواهر إلى الحد الذي يجعلها متوافقة مع المنطق العقلي)[2].

(إن في القرآن الكريم مادة زمنية غزيرة تستلزم دراستها والبحث فيها، لتوضيح

معالم الزمن القرآني، وتحديد قواعده وأسسه، وذلك بتوظيف المنهج القرآني العقلي البرهاني اليقيني في تفهمه)[٣].

إن موضوع الزمن قد لاقى اهتمامًا كبيرًا لدى العلماء، من حيث كونه ذا دلالة قصوى في المسيرة الكونية، مع ما ينعكس منها على طبيعة الحياة البشرية.

إن الزمن له علاقة وطيدة مع المكان، ما يسمى بـ (الزمكان) وخصوص نسبية الزمن مع موقع الحادثة، ما هي التقديرات الزمنية لحادثة واحدة، ويعرف الزمن بأنه الوعاء الوقتي للحدث ويصنف إلى الزمن الكوني وهو يمثل حركة الكواكب والنجوم والأقمار والمجرات، والزمن الجغرافي وهو يتعلق بزمن حركة الأرض حول الشمس وحول نفسها وحركة القمر حول الأرض.

إن الزمن في عالم الغيب يعلمه الله تعالى والحدث يستوعب في الزمان والمكان. وهيئة الحدث وهو ما يمثله الناظر للحدث. وهو دومًا في حركة. مواصفات الحدث تتمثل في الرائحة والشكل واللون والطعم والصوت والإحساس الشعوري وغيرها، والمنظور لا يمثل دوما الحقيقة، بل بحسب الناظر. والموجود وهو ما خلقه الله تعالى. ففي الماضي لم يكن هناك مكان وزمان إذ كان الله ولم يكن معه شيء فالله (**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ**)(الحديد٣:) وكل منظور من قبل أي ناظر، هو نسبي (ماعدا الله سبحانه)، أي أن العلاقة بين الناظر والمنظور نسبية وهي شمولية، أي تشمل الأجزاء كلها وحدة النسبية بين الناظرين والمنظورين ما يؤدي إلى استقرارها، ومن ثم إلى تناسب استقراري بين الناظرين كفئة والمنظورين كفئة أخرى والناظرين والمنظورين كفئة ثالثة، فلا تكاد تمضي حقبة من الزمن إلا ويبهر بإعجازه العلماء والباحثين في النظرات التجريبية والنظرية الذين لا يستندون إلّا لما تمليه عليهم عقولهم ولا يصدقون إلّا ما يرونه بأعينهم المجردة، فقال الله تعالى: (**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ**)(الحجر:١٤- ١٥).

إن الفكر الغربي أنتج دراسات وأبحاث لا تحصى في موضوع الزمن، وأسس نظريات وتقنيات عالية، وابتكر مصطلحات ومفاهيم متداولة في شتى العلوم[٤].

إن القرآن الكريم هو المصدر الأول والوحيد للمفهوم الحقيقي للزمن، وبالتالي يجب علينا، أن نحاول تدبر معانيه، بغية تحديد أولي لمفهوم الزمن في القرآن الكريم، إذ يحتوي على مفهوم شامل للزمن، يصعب الفصل بين أجزائه وجزئياته، ومفاهيمه المتعددة للزمن يمكن تصنيفها وتحليلها ثم الجمع بينها لتحديد خصائص الزمن القرآني، ويمكن حصر واستقراء مادة الزمن في القرآن الكريم، من خلال البحث في مجمل ألفاظه، والتحليل لأساليبه ومناهجه. والتعامل مع الأزمنة الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل. وقد تناول مواضيع دقيقة في فلسفة الزمن، منها الحركة في الزمن، والنسبية والزمن، وتكاد تنعدم الدراسات التي تهتم بالقرآن من مدخله الزمن. لقد لوحظ أن الذي يستحيل عده وحصره من ألفاظ الزمن، هو الألفاظ غير المباشرة، إذ كل كلمة وكل آية تحمل دلالة زمنية: إما قريبة وإما بعيدة، فالقريبة مثل الفعل الذي يتقلب ويتحول بالضرورة بين الزمن

الماضي والحاضر والمستقبل. وأما البعيدة فتتمثل في الأسماء والحروف التي لا تحمل في ذاتها دلالة زمنية، إلّا أن تكون مما وُضع للزمن مباشرة مثل: (الساعة)، و(الوقت)، و(ثم)، و(فاء التعقيب)...[٥].

والألفاظ المباشرة في الإمكان حصرها وإحصاؤها، غير أن لهذه الألفاظ (معان ظاهرة، وأخرى باطنة، أي دقيقة لا تعرف إلّا بالبحث، والطريقة المتبعة في البحوث العلمية، هو حصر وجمع الألفاظ المختلفة، والمبينة في السُوَر المختلفة من الكتاب العزيز)[٦].

لقد شغلت مادة الزمن حجمًا معتبرًا في القرآن الكريم، وهذا ما يعطيها مكانة ضمن المواضيع الرئيسة للقرآن، إذ لا نجد في القرآن كلمة (زمن) بأي صيغة من صيغها، سواء بمعناها اللغوي أو الفلسفي، ولا نجد كلمة مشتقة منها، وإن في معنى آخر. وقد وردت كلمات لها صلة بكلمة زمن من حيث الدلالة العامة وهي: دهر، أزل، خلد، سرمد، مدة، حين، وقت، آن)، وهي تدل على غزارة مادة الزمن في القرآن الكريم وتنوعها وتعدد مداخلها[٧]. غير أن استئثار اللّه عزوجل بمعرفة المقادير والأوقات لا يعني الجهل التام لغيره بمعرفتها، والمعلوم أن الساعة التي تسير بنظام تردد ذرات السيزيوم هي من أضبط الساعات على الإطلاق، وتسمى بالساعة الذرية، ولا تزيد نسبة الخطأ فيها عن ثانية في كل ثلاثين ألف سنة (وهذه الدرجة من الدقة أمر يتجاوز حدود فهم المرء)[٨]. وأدق منها الساعة الهيدروجينية التي تعمل بأجهزة الميزر، وتصل الدقة فيها إلى خطأ قُدِّر بثانية في كل ملايين من السنين[٩].

قصص نسبية الزمن في القرآن الكريم

من أدل القصص على نسبية الزمن في القرآن الكريم، قصة صاحب القرية في قوله تعالى: (**قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**)(البقرة:٢٥٩)، فيكاد يجمع المفسرون أنهّ مات أول النهار ثم بعثه اللّه آخره، فلا توجد إشارة ولو بعيدة إلى إمكانية نسبية الزمن، لأن مفاهيم النسبية لم تعرف بعد في عصر أولئك المفسرين. وأما عند المحدثين، فنلاحظ مرورهم على موضوع النسبية مرور الكرام، إذ لا يتعرضون إليه إلّا من الباب الذي يميز تفسيرهم، ففي قصة أصحاب الكهف مثلًا لم نعثر على مصطلح النسبية ولو إشارة، شرح الكلمات دون أي إضافة تذكر في المعنى العام لنسبية الزمن في هذه الآيات، ولعل الذي يشفع لهم في عدم تناولهم أنهم لا يمكن أن يعرضوا لكل النظريات والأفكار، وإلّا لأصبح تفسيرهم موسوعة كونية وعلمية شاملة. لقد وردت إشارات عابرة في كتب تعنى بالدراسات الكونية في القرآن الكريم.

وهناك في القرآن الكريم قصص توضح مفهوم الزمن النسبي، ولكن توخيًا للاختصار فقد عمدنا إلى ذكر قصة واحدة من تلك القصص:

نسبية الزمن في نقل عرش الملكة بلقيس:

توصل علماء الفيزياء رياضيًا إلى أن الإحداثيات لا تقف عند أربعة، بل قد تصل إلى أحد عشر إحداثيًا. فالإعجاز العلمي قد بيّن أن الأبعاد، ومنها الزمكان، لها معطيات

أخر، سواء تحت إمكان الإحساس به، كالأبعاد الأربعة. أو التي لا يمكن الإحساس بها، مما هو فوق الأربعة، حسب النظريات العلمية الحديثة، وقد جاء ذلك في قصة النبي سليمان عليه السلام عندما سأل ملأه وهو في فلسطين عن أيهم يأتيه بعرش الملكة بلقيس وهو في اليمن، كما في قوله تعالى: (**قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**)(النمل: ٣٨-٤٠)، فيلاحظ وجود ثلاثة تقديرات زمنية:

١- تقدير الزمن لدى سليمان عليه السلام: (قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)، منسوبًا إلى معطيات الإنس.

٢- تقدير الزمن لدى عفريت من الجن: (قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ)، منسوبًا إلى معطيات الجن.

٣- تقدير الزمن لدى الذي عنده علم من الكتاب: (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)، منسوبًا إلى معطيات الذي عنده علم من الكتاب. أما الحادثة فهي واحدة، وهي نقل العرش واحتمالية تقدير الزمن عند الثلاثة مختلفة، إذ علمنا من الآية الكريمة أن الذي عنده علم من الكتاب استطاع نقل العرش في زمن أقل من طرفة عين، وهذا محتمل من الناحية النظرية، فالمسافة بين اليمن وفلسطين لا تتجاوز ٣ آلاف كيلومتر فلو كانت سرعة نقل العرش تعادل واحد بالمائة من سرعة الضوء (أي ثلاثة آلاف كم/ثا) لاحتاج نقل العرش إلى ثانية واحدة، وهي تعادل طرفة عين. أما العفريت من الجن فحسب قيام النبي سليمان عليه السلام من مقامه، فهو لا يتجاوز ساعات حسب تقدير الزمن، هذا معناه أن لدى الثلاثة ولكل منهم معطيات خاصة بتقدير الزمن، كل بحسب الزمكان الذي ينسب إليه. فالإحداثيات الزمنية التي يتحرك في إطارها تعادل طرفة عين بالنسبة إلى سليمان عليه السلام وبالنسبة إلى العفريت من الجن تعادل مدة جلوس سليمان قبل أن يقوم من مقامه.

لقد بين الإعجاز العلمي القرآني كيف يمكن للمادة (وهي العرش) أن تنتقل من مكان إلى مكان بما يعادل سرعة طرفة العين وذلك من خلال نقلها إلى إحداثيات زمكانات جديدة ثم إرجاعها إلى إحداثيات الزمكان الأولى التي كانت فيها، دون أن يتبدل حال شيء منها، كليًا أو جزئيًا.

واستطالة الزمن التي جاء بها آينشتاين بين جسمين منطلقين بسرعة قريبة من سرعة الضوء، يمكن تطبيقها إذا كان الجسمان ينطلقان في نفس الزمكان، مما يؤكد عدم انطباقها على الوصف الذي جاء به القرآن الكريم. فإذا افترضنا أن العفريت أو الذي عنده علم من الكتاب كانت سرعته ٠٫٩٩٩٩٩٩ من سرعة الضوء، ثم طبقنا معادلة آينشتاين لوجدنا الزمن ٣٣،٥٧ دقيقة وهذه غير كافية لتفكيك العرش ونقله من اليمن إلى فلسطين وإعادة تركيبه مرة أخرى بحسب زمكان سليمان. إن الإعجاز القرآني هنا يشير إلى أن الإنسان له زمكان، وإن الجن له زمكان، وأنه توجد زمكانات أخرى، وهذا يعني أنهم يتحركون في أبعاد فقط، ولربما كانت لهم أبعاد في الحركة أكثر من ذلك[١٠].

إن السرعة ترتبط بكتلة عرش بلقيس وعلاقتهما معًا بقوانين اينشتاين، إلّا أن منح المدى الزمني بُعدًا يصل إلى (١٠٠٠) سنة يعني أن هذا الرقم هو الحد المنتقى وليس الحد الأقصى، وإن كان الأخير غير مستبعد عن التقدير في هذا السياق[١١] ■

(١) يوم القيامة ونسبية الزمن بين العلم والقرآن ص١٤١، وص٨٨ من كتاب علم الفلك القرآني.
(٢) الظواهر الفيزيائية والجيولوجية في القرآن الكريم.
(٣) الزمان في فلسفة ابن رشد، ص٤١-٣٩.
(٤) مفهوم الزمن في القرآن الكريم، ص١٠-١٤.
(٥) مفهوم الزمن في القرآن الكريم، ص٢٣.
(٦) التفسير العلمي للآيات الكونية، ص٣١.
(٧) مادة الزمان، ج١٠/ص٣٨٩.
(٨) من المزولة الشمسية إلى الساعة الذرية عدد١٥٩، ص١٣١.
(٩) الزمان المتحول ص ١٧١.
(١٠) المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
(١١) ن.م.

قالت سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام:

أما والله لو تركوا الحق على أهله واتبعوا عترة نبيه، لما اختلف في الله اثنان، ولورثها سلف عن سلف، وخلف بعد خلف، حتى يقوم قائمنا، التاسع من ولد الحسين، ولكن قدموا من أخّرهُ الله وأخّروا من قدمه الله: حتى إذا ألحدوا المبعوث وأودعوه الجدث المجدوث، اختاروا بشهوتهم وعملوا بآرائهم، تبا لهم أو لم يسمعوا الله يقول: (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة)؟ بل سمعوا، ولكنهم كما قال الله سبحانه: (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)، هيهات بسطوا في الدنيا آمالهم ونسوا آجالهم، فتعسا لهم وأضل أعمالهم، أعوذ بك يا رب من الحور بعد الكور.

بيان: الجدث: القبر، والمجدوث: المحفور. قال الجزري: فيه (نعوذ بالله من الحور بعد الكور)، أي من النقصان بعد الزيادة، وقيل: من فساد أمورنا بعد صلاحها، وقيل: من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا منهم، وأصله من نقض العمامة بعد لفها.

(بحار الأنوار/المجلسي/ج٣٦ص٣٥٤)

الإيمانُ المحض والخوفُ المُخِلّ ضِدان لا يجتمعان

طالب علي الشرقي
كاتب وباحث

تتابع الإيمان يعني الاطمئنان، وسكون القلب، والتصديق الذي لا تشوبه شائبة شك أو ارتياب بالعلاقة بين طرفين ...

وفي عالم الدين، فقد حدَّ الزجّاج الإيمان فقال: الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة، والتصديق. قال تعالى: (**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**...) (الحجرات:١٤)، فالإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي ﷺ وبه يحقن الدم، فإذا كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان[١].

وذهب السيد الطباطبائي إلى هذا المعنى بقوله: ... الإيمان معنى قائم بالقلب من قبيل الاعتقاد، والإسلام أمر قائم باللسان والجوارح فإنه الاستسلام والخضوع لساناً[٢].

فصاحب اللسان وصاحب الميزان انطلقا من مضمون الآية القرآنية ولم

يتعرضا لمصاديق الإيمان خارج حدود الأحكام الشرعية. ومع ذلك يبقى معنى الإيمان ملازماً لكثير من القيم والأعراف التي تسالم عليها الناس، فكل قول أو فعل يعبّر عن اعتقاد صادر من القلب ومشفوع بأثر ملموس أو محسوس فإنّه يصدق عليه معنى من معاني الإيمان، فمن ذلك: موقف إسماعيل عليه السلام من طلب أبيه إبراهيم عليه السلام بأن يذبحه، فقال: (**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**) (الصافات : ١٠٢)، إنّه الخزين الإيماني بعدالة فعل أبيه فترجمه إلى كلام مسموع ...

ومثل ذلك ما فعله أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عندما قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنّ الله تعالى أوحى اليّ أن أهجر دار قومي، وآمرك بالمبيت على مضجعي. فقال علي عليه السلام: أوَتسلم بمبيتي هناك؟ قال صلى الله عليه وآله: نعم. فتبسم علي عليه السلام ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً، فكان أول مَن سجد لله شكرا)[٣].

إنّه عليه السلام يرى سلامة دين الله تعالى بسلامة رسول الله صلى الله عليه وآله. والموقف الذي وضِع فيه معروف العواقب إلّا إذا أراد الله سبحانه غير ذلك. وكان إيمان أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله في أعلى درجات الصدق القلبي والصفاء الروحي، بدليل أنه حين نام في فراش النبي لم يجد ما يمنعه من تحقيق نوم مريح لم يوقظه غير صخب المتآمرين وكشف الرداء عن وجهه.

ولحفيد أمير المؤمنين نجل الحسين علي الأكبر صلى الله عليه وآله موقف إيماني مشهور، فحين سمع والده وهو يسير من قصر بني مقاتل إلى كربلاء، يكرر قول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين. سأله عن إسترجاعه فقال له: إنّي خفقتُ برأسي فعنّ لي فارس وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نُعيت الينا. فقال علي الأكبر: لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق؟ قال الإمام الحسين عليه السلام: بلى والذي إليه مرجع العباد. فقال يا أبتِ إذن لا نبالي أن نموت محقّين [٤].

والدفاع عن الأرض والعرض حد الاستشهاد دليل على عمق الإيمان الذي يجسده صمود المجاهدين قادةً وجنوداً، ولا حصر لأولئك الذين قيّدوا أرجلهم وبذلوا مهجهم للذود عن حياض الوطن والمقدسات ...

وقد يضحي المرء بأعز ما عنده إيماناً بقدسية القيم والأعراف التي تربى عليها، هذا تاريخنا زاخر بالأمثلة الخالدة في هذا المجال مثل موقف السموأل بن عادياء وهاني بن مسعود الشيباني وحنظلة بن مرّة الأسدي.

وهذا الأخير، وفي معركة القادسية عندما وقع هو وولده في الأسر طلبوا منه الكشف عن أسرار جيش المسلمين ... وقد بذل العدو لحنظلة الغالي والنفيس لكي يخون أهله ... وخاف حنظلة أن يضعف ولده ويبوح بالأسرار، فطلب منهم قتل ولده ليتمكن من تنفيذ ما يريدون دون الخوف من كشف تخاذله وخيانته من قبل ولده إذا بقي حياً، فصدّقوه وقتلوا ولده، وطلبوا منه الكلام فقال لآسره: أي خبر تريد أيها العلج ثكلتك الثواكل ... إني خشيت أن تغري ولدي الصغير وتغويه فيبوح لك ببعض السر، أمّا وقد قُتل فليس هناك ما أخشاه على قومي ... وكانت نهايته الشهادة[٥].

وكم سمعنا عن قادة سياسيين صعدوا

أعواد المشانق إيماناً منهم بعدالة مطالبهم ... ومنهم مَن فقدَ حياته تحت وسائل التعذيب، وكان بإمكانه النجاة لولا إعتقاده الراسخ في عقله وقلبه إنّ الطريق إلى تحقيق ما يؤمن به هو حفظ ما أؤتمن عليه مهما كانت التضحيات.

أما الخوف: ففي اللغة يعني الفزع. وهو حالة نفسية يخلقها ضعف الإيمان وتهديد السلامة. وله مسبباته ودرجاته. وقد يصل إلى أعلى درجات الفزع والاضطراب. والناس في هذا الأمر تتفاوت حالاتهم، فمنهم الرعديد ومنهم المتماسك، وقليل منهم الذين لا يعرفون الخوف ولا يعرف الخوف طريقاً إلى قلوبهم.

وورد ذكر الخوف في القرآن المجيد في مواقف مختلفة، منها:

١ – بمعنى عدم الاطمئنان: في قوله تعالى: (**فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا...**) (البقرة:١٨٢).

٢ – بمعنى الاحتياط: في قوله تعالى: (**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي...**)(مريم:٥).

٣ – بمعنى الحرص والحذر: في قوله تعالى: (**فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي**)(القصص:٧).

٤ – بمعنى التقوى: في قوله تعالى: (**إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**) (الأنعام:١٥).

٥ – بمعنى الارتياب: في قوله تعالى: (**فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ**)(الروم:٢٨).

وهذا ما تبين لنا من ظاهر الآيات. وهناك آيات أخرى ورد فيها ذكر الخوف وقد اختصت بذوي الدرجات العليا من الناس ومنهم الأنبياء. قال تعالى: (**يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**) (النمل:١٠)، وقوله تعالى: (**يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ**)(القصص:٣١).

وظاهر الحال: أن ثمة مفاجأة إستفزت النبي موسى عليه السلام فأظهر تخوّفاً مؤقتا كردّ فعل طبيعي في البشر. ومثل ذلك حصل للنبي داود عليه السلام كما في قوله تعالى: (**إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ**)(ص:٢٢).

إذن هو ليس الخوف المذموم بل هو مجرد جفلة بسبب أمر غريب طارئ، خوف مبرّأ من الضعف والنقص، فمقام الأنبياء أسمى من أن تخدشه منقصة تساويهم بالعامة من الناس.

وهناك الخوف الذي يتساوى فيه الأعم والأغلب من الناس هو الخوف من غضب الطبيعة – حسب التعبير الشائع – وغلط الجبارين، والبلاء الإلهي في قوله تعالى: (**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ...**) (البقرة:١٥٥)، وجلّ ذلك الخوف إن لم يكن كلّه لا يدخل في جملة الخوف المذموم.

أمّا الخوف المندوب له والمطلوب تجسيده في القول والعمل فهو الخوف من الله جل جلاله وكلما ارتفعت درجته يزداد العبد بفعله كرامة وتقوى و(**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**) (الحجرات :١٣).

بقي أن أقف عند الآية الكريمة التي كانت دافعاً لتناول هذا الموضوع، ليس من باب التعريض أو التشهير بل جرياً مع التفاسير القرآنية والحوادث التاريخية والوقوف مع المنطق في قوله تعالى: (**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا...**)(التوبة:٤٠).

هذه الحادثة أعطاها القرآن الكريم حيّزاً من اهتمامه، وهي بهذه الحالة لا يمكن أن تكون مجرد خبرٍ خالٍ من غرض بل وغرض جوهري يرقى إلى درجة التوثيق في كتاب الله الخالد القرآن المجيد. فقوله تعالى :(إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ) أي لا تخف.

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام لشيعته: اتقوا الله وكونوا زينا ولا تكونوا شينا، جروا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك، لنا حق في كتاب الله، وقرابة من رسول الله، وتطهير من الله لا يدعيه أحد غيرنا إلا كذاب.

بحار الأنوار ٧٥ : ٣٧٢، ح ١٢.

واختلف المتتبعون في نوع الخوف هذا وقد كان خوفاً واضطراباً ظاهراً بحيث شاهد الرسول صلى الله عليه وآله آثارَه فقال: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّه مَعَنَا). فهل كان خوفاً على حياته أو حياة النبي خاصة أو حياتيهما معاً؟ وهل كان ذلك الخوف بفعل المفاجأة عند اقتراب العدو منهما ليكون خوفاً طارئاً طبيعياً، أو أنّه من الخوف الذي تكرر حصوله في مناسبات متتالية في معارك الإسلام الكبرى ومنها: معركة أُحد والخندق وخيبر وحُنين، وكان فيهن الخوف والفرار يكاد أن يكون عاماً عدا ثلّة من أصحاب الإيمان الخالص، ومع ذلك لم يهتم القرآن بذكر من خاف وجبن في تلك الوقائع إلّا بإشارة عابرة كقوله تعالى: (**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ**) (التوبة:٢٥).

وإذا عدَّ بعضهم هذه الحادثة فضيلة (للصاحب) الخائف فقد ذهب البعض الآخر إلى أن الله تبارك وتعالى أرادها فقرة من الفقرات التي سوف تدان بها الأمّة عند مخالفتها للإرادة التي كلّفت الوحي النزول بآية التبليغ[٦] ولفت نظرها إلى صحة اختيار السماء لمن يخلف الرسول صلى الله عليه وآله.

وهنا تكمن أهمية توثيق هذه الحادثة بالذات وتخصيص المعني بها لأمرٍ مستقبلي سوف يحصل وهو بعلم الله واقعٌ، إنّه أمر المفاضلة التي اعتمدها مؤتمر السقيفة باختيار من يجوز عليه الخوف – وهو ضعف على كل حال – على من لا يعرف الخوف في حياته مطلقًا معتمداً إيمانًا محضاً عبّر عنه صلى الله عليه وآله بقوله:(لو كُشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)[٧]. وهكذا يتداعى منطق المقارنة فكيف بمنطق التفضيل، بل هكذا يصبح اجتماع الإيمان المحض والخوف المخلّ مخالفاً للحكمة.■

١- ابن منظور / لسان العرب – مادة أمن ١ : ٢٢٤.
٢- الميزان في تفسير القرآن ١٨ : ٣٣٢.
٣- ابن شهرآشوب / مناقب آل أبي طالب ١ : ١٨٣.
٤- الطبري / تاريخ الطبري٥ : ٤٠٧ – ٤٠٨.
٥- علي الشرقي / الألواح التاريخية ص ١٥٦ – ١٥٧.
٦- (وقوله تعالى: (فَأَنْزَلَ اللَّه سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ) أي على رسول الله (ص) حصراً بدليل عود الضمائر الواردة في الآية الشريفة كلها على النبي ولا معنى لتخصيص واحد منها لغيره.
٧- ابن شهرآشوب / مناقب آل أبي طالب ٢ : ٣٨.

هل الشر من الله؟

الشيخ نصير السعداوي
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

كثيرٌ ما تختلج في نفس الإنسان تساؤلات قد يبوح بها أو قد يكتمها حول ما يعتريه من مكاره في حياته، وإحساسه بالظلم أحيانًا، أو بالغبن أو على الأقل الحيرة عما يلم به من أمور سلبية، ومقدار هذا الإحساس يعتمد على مقدار إيمان الإنسان بالخالق سبحانه وبعدالته، أو بعدم إيمانه. فالإنسان الذي لا إيمان له بخالق أو الذي له عقيدة ضعيفة به قد يفسر ما يتعرض له من مكروهات بالظلم، والذي له إيمان أكبر قد يعتقد بأنه مغبون، ولكن المؤمن الصحيح الإيمان قد تنتابه الحيرة في تفسير هكذا أمور.

الظواهر السلبية وتفسيرها

كثيرة هي الظواهر السلبية التي تمر في حياتنا، منها: بعض الظواهر الكونية مثل الزلازل والبراكين التي تسبب الدمار

للأبنية والهلاك لعدد من الناس الأبرياء، بل حتى لغير البشر من المخلوقات، أو هبوب عواصف رملية شديدة، تزدحم على إثرها صالات الطوارئ في المستشفيات بالمصابين بالاختناق، ومنها: تسلط الظالم على ظلم الضعيف، سواء كان داخل الأسرة الواحدة أو بين أفراد المجتمع، أو من قبل الحاكم الظالم لشعب بأكمله، وفي كل هذه الحالات هناك قطعاً من لا يستحق العقوبة فيهم، فهل كل هذه الظواهر تعد شراً؟ وما هي الحكمة منها؟ وما علاقتها بالخالق سبحانه؟

قبل الإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها، لابد من الاعتقاد بأن الله تعالى عادل في كل ما يصدر منه، والإنسان العاقل بعد الالتفات والتأمل يذعن بهذه الحقيقة.

فمنطق العقل السليم يثبت عدالته سبحانه، لأن العدل صفة كمال، والله تعالى منزه عن النقص، ولا يمكن تصور أي نقص ينسب لساحته تبارك وتعالى.

إذ أن دواعي الظلم المتصورة التي يفترضها العقل البشري هي أربعة، ولا نتصور لها خامساً، وهي كالآتي:

الأول: عدم المعرفة والتمييز بين طبيعة الأفعال، فيؤدي الجهل إلى ارتكاب الظلم.

الثاني: الحاجة لارتكاب فعل الظلم، كدفع الحاكم الظالم عن نفسه وحكمه الغير خوفاً منهم.

الثالث: وجود من يجبر الظالم على ارتكاب الظلم بلا رغبة منه في ذلك.

الرابع: أن يرتكب الظلم لأجل العبث واللهو، أي بلا مسوغ عقلائي آخر.

إن هذه الأسباب الأربعة كلها مستحيلة في حقه تبارك وتعالى، فكماله المطلق يستدعي وجود العلم المطلق عنده الذي يمنع عنه الداعي الأول وهو عدم العلم والجهل لارتكاب الظلم، وهو تعالى وصف نفسه في كتابه العزيز بأنه: (**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**)(الأنعام:٧٣).

ولا يتصور في حقه الحاجة لأي شيء أو لأي أحد، وقد بين تعالى حاجة غيره إليه وغناه عن كل أحد، كما في قوله عز وجل: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**)(فاطر:١٥)، وهذا الداعي الثاني للظلم.

والعقل السليم لا يقبل وجود جهة عندها قوة أكبر من قوته حتى تتمكن من إجباره، فهو تعالى (**الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**)(الحديد:٣)، وهذا الداعي الثالث، كما أنه عز وجل منزه عن العبث لأن العبث قبيح، وهو تعالى لا يفعل القبيح، كما أنه استنكر من نسبة هذه الصفة له تعالى، إذ يقول: (**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**)(المؤمنون :١١٥)، وهذا الرابع والأخير.

إذًا لا يمكن نسبة الظلم له تعالى بحكم العقل كما تبيَّن، كما أن القرآن الكريم مليء بالآيات الكريمة التي تبين مدى كرهه تعالى للظلم وللظالمين، منها قوله عز من قائل: (**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**)(النساء:٤٠)، وقوله تعالى: (**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**)(آل عمران:١٨).

إن من ثمرات هذه العقيدة: القول بأنه تعالى لا يكلفنا ما لا نطيقه، ولا يعرضنا لابتلاءات ومصائب لا نستطيع - بما أودعه هو عندنا من قابليات – تحملها، لأن كل ذلك قبيح، وهو تعالى منزه عن فعل القبيح، كما أنه تعالى يقول: (**لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا**

آتَاهَا)(الطلاق:٧)، وقال عز وجل: (**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**)(الكهف:٤٩)، وأي ظلم أعظم من أن يكلف الإنسان ما لا يطيقه أو أن يعرض الله عبده إلى ضغط المكاره والبلايا مع علمه بعدم قدرته على تحمل كل ذلك.

إن ما يقدم عليه البعض من اعتراض على أحكامه تعالى أو تبرم لما يحصل له من مشاكل الدنيا ومكروهاتها، - بل قد يصل به الأمر للانتحار - إنما هو نتيجة ضعف الوازع الديني عنده لقلة المعرفة بالعقيدة الصحيحة أو لقلة الإيمان بها، وفي المقابل الإنسان العارف والمؤمن يواجه ما يكره من حوادث الدنيا بحمد الله تعالى على المصائب والبلاء كما يشكره على النعم والرخاء، ولسانه يردد: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

ومن ثمرات هذه العقيدة أيضاً الاعتقاد بأن الله تعالى حينما يبتلي عبداً من عباده أو يعرضه لألم ما، فلا بد أن يعوضه عن كل ذلك، إذا لم يكن مستحقًا للبلاء والألم، وهذا العوض إما بالدنيا وإما بالآخرة حسب اختلاف الحالات، ويحتمل في مقدار هذا

العوض ثلاثة احتمالات :

الأول: أن يكون أقل مما عرضه للبلاء والألم، وهذا مستحيل في حقه تعالى لأنه محض ظلم.

الثاني: أن يكون العوض بقدر ما سلب منه، وهذا أيضا مستحيل في حقه عز وجل لأنه عبث وهو تعالى منزه عن العبث.

الثالث: أن يكون العوض أكثر مما أخذ وهذا هو الاحتمال المنطقي الوحيد.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (إِنَّ اللَّه تَبَارَكَ وتَعَالَى كَلَّفَ تَخْيِيراً ونَهَى تَحْذِيراً وأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً)[1]، فهو تعالى يعطي أكثر مما يأخذ.

بناء على هذا فالإنسان العاقل الملتفت إلى كل ما ذكر يتوقع من الله تعالى العوض الأكبر عما يصيبه في هذه الدنيا إذا كان مستحقاً للعوض.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام وقد سئل عن التوحيد والعدل، فقال: (التَّوْحِيدُ أَنْ لَا تَتَوَهَّمَهُ والعَدْلُ أَنْ لَا تَتَّهِمَهُ)[2]، ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لهذا القول ما نصه: (... وأما الركن الثاني فهو (أَنْ لَا تَتَّهِمَهُ): أي لا تتهمه في أنه أجبرك على القبيح ويعاقبك عليه ... ولا تتهمه في أنه كلفك ما لا تطيقه، وغير ذلك من مسائل العدل .. كالعوض على الألم فإنه لا بد منه ...)[3].

بعد هذه المقدمة تأتي هنا الإجابة على **السؤال التالي:**

ما هو الشر وما هي حقيقته؟

إن ما يتصوره الإنسان شراً على قسمين:

القسم الأول: الحوادث الكونية والتغييرات التي يمر بها العالم بفعله تبارك وتعالى، والتي تسبب حالات أذى وألم لأفراد قليلة أو تؤثر على حياة العدد الكبير من الناس، كالزلازل والبراكين والعواصف والفيضانات والصواعق وغيرها أو ما تسمى بالكوارث الطبيعية.

أولًا: إن الله تعالى حدد للإنسان ولغير الإنسان فترة معينة يعيشها في هذه الحياة، وعندما يصل عمر الشخص إلى نهايته فإنه يموت، مهما تعددت أشكال نهاية الحياة، فمن لا يموت بالمرض يموت بحادث سيارة مثلاً، ومن لا يموت بهذين السببين، يموت في منامه، وهكذا .. قال تعالى: (**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)(الزمر:٤٣).

ولتكن من هذه الأسباب الزلازل

والبراكين والحوادث الكونية الأخرى، فهي بعض أسباب الموت التي قدرها الله تعالى سببًا لنهاية حياة المتواجدين في مكان حدوثها، بلا أن نتصور هذه الحوادث شراً، ونحاول أن نجعل لها تفسيراً مناسباً لعدله تعالى، كما قال الشاعر ابن نباته السعدي:

مَنْ لَمْ يَمُتْ بالسَّيف ماتَ بِغَيرِه
تَعَدَدَتْ الأَسْبابُ والمَوْتُ وَاحِدُ[٤]

إن هذه الإجابة تختص بالموت الحاصل نتيجة الحوادث الكونية، ولا تفسر الآثار الأخرى، كالإصابات والآلام والخسائر المادية، كما أن هذا البيان لا يجيب عن الألم الذي يواجه المتعرض للكارثة الطبيعية قبل موته، بينما في المقابل الشخص الذي يموت في نومه مثلاً، لا يتعرض لنفس الدرجة من الألم.

ثانياً: إن التفسير السلبي لهذه الأحداث والظواهر الكونية ناتج عن نظرة الإنسان الضيقة لاستهدافه هو أو من يحب بهذه الأمور فقط، بدون النظر إلى النتائج العامة الحاصلة منها، فمثلا الزلازل - كما أثبت العلم - تؤدي إلى استقرار قشرة الأرض مع وجود حركة المعادن في أعماق الأرض، وكذا حصول البراكين التي ترسل السائل الصخري الزائد إلى الخارج وانبعاث الغازات على إثر هذه الحركة المستمرة.

لنستعن بمثال عرفي لتوضيح هذه الفكرة، وهو إقدام الحكومات المحلية على إزالة بيوت مسكونة لأجل إنشاء جسر يفك الاختناقات المرورية عن منطقة ما، إن الضرر الحاصل من هدم البيت في المثال تقوم الحكومة بتعويضه بشكل كبير عادة لأجل مصلحة عامة أكبر.

إن هذا التصرف يقبله منطق عموم الناس، وكذا الأمر بالنسبة لبعض الأحداث الكونية التي يعتبرها البعض شراً، فإن الضرر الحاصل منها يعوضه الله تعالى لمن استحق التعويض في مقابل المنفعة الكبيرة التي يريدها الخالق من هذا الحادثة والظاهرة الكونية أو تلك.

ثالثاً: إن بعض هذه الحوادث الكونية هي جزء من سلسلة من الأحداث جعلها الله تعالى لغاية ما، قد وصل إلى بعضها العلم الحديث ولم يصل لبعضها الآخر، مثل هبوب الرياح بشكل سريع على منطقة مما يسبب أذى للسكان هو في الحقيقة قد يكون ممارسة لعملية التلقيح لبعض النباتات بحبوب اللقاح التي تحملها معها، أو مثل تغير اتجاه الرياح في أوقات ثابتة - ضمن نظام يكتشفه العلم باستمرار – ما يساعد السفن الشراعية على السفر بسرعة أكبر.

وقد تقول إن الله تعالى قادر على أن يحقق هذه الأغراض المذكورة بلا أن يسبب أثراً سلبياً على الآخرين في طريق تحقيقها، وهذا نقوله بالنسبة لهذا التفسير والذي قبله.

وجوابه صحيح أن الله خلق الأشياء من العدم ولكنه عندما فعل ذلك خلق نظاماً كونياً مترابطاً في أجزائه بحيث يكون إدامة عمل أجزاء هذا النظام الكوني العظيم – وهو ما يصطلح عليه بالتدبير – إنما يكون ببعض أجزائه الأخرى، بلا حاجة لتدخل منه تعالى لخلق حاجة كل جزء من العدم مرة أخرى، كما فعل في بداية خلقه، بل يكون نظره إلى مصلحة خلقه ضمن نظام مترابط متكامل، يعتمد بعضه على بعض، فمثلاً: الله تعالى يعلم حاجة الإنسان والكائنات الحية لنسبة معينة من الأوكسجين في الجو، وهو قادر على توفير هذه الكمية بالخلق المباشر كلما استهلكتها الكائنات الحية، أي يخلق الأوكسجين من العدم، ولكنه عز وجل وفّر

وجوده بأسباب طبيعية، وذلك عن طريق طرح النبات له في عملية البناء الضوئي مثلًا، وهكذا دبر الله تعالى خلقه وما يصلح لهم.

والواقع إنه تعالى لم يوفر حاجات وجود الإنسان الطبيعية كالماء والهواء بهذه الطريقة فقط، أي بأسباب طبيعية كالمطر والمياه الجوفية وكالبناء الضوئي كما بينا، بل إنه تعالى جعل رزق عباده متوقفاً على بعضهم البعض، فلقد رأينا بعض الأزمات التي يمر بها المجتمع ولو لفترة معينة، ولكن الله تعالى يجعل منها مصدر رزق لمجموعة من الناس.

رابعاً: إن تعريف بعض الأمور السلبية التي تحصل للإنسان بفعل الله تبارك وتعالى بالشر غير دقيق، فالله تعالى لا يخلق الشر، بل إن كل ما فعله ويفعله بالكون وبالإنسان هو محض خير لا شر فيه، وذلك لأن خلق الشر قبيح وهو تعالى لا يأتي بفعل قبيح، كما بينّا، وما نتصوره شراً في فعله تعالى لا بد وأن يكون لغاية صحيحة مفيدة بشكل ما، قال تعالى: (**فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**)(النساء:١٩).

قد تقول إن هذا الفهم يشبه إلى حد كبير النظرية المعروفة (الغاية تبرر الوسيلة)، فلا مانع من كون الوسيلة سيئة، ولكن هدف الباري منها سليم.

وفي الجواب نقول: إننا لا ندعي أن الوسيلة سيئة وشريرة، والغاية صحيحة ونبيلة، ولكن نقول: إن نفس هذا الشيء الذي نعتبره شراً في فعله تعالى هو خير في الواقع، إن بعض الأمور ننظر لها بهذا المنظار، لأن الشر معنى إضافي، أي بالنسبة لجهة معينة شر، ولكن لغيرها محض خير، فمثلاً لدغ النحل المسبب للألم أو لدغ العقرب هو شر للإنسان المتعرض له، ولكنه خير للحيوان الذي دفع عن نفسه الأذى، ومن ذلك الإصابة بالحمى التي تعدّ مؤشرًا على وجود خلل في الجسم، وتعرق الإنسان الذي يوفر للجسم استقراراً في درجة الحرارة.

ومن طريف ما يروى في هذا الصدد (قيل دخلت امرأة على داود النّبيّ عليه السلام فقالت: يا نبيّ الله ربّك عادل أم ظالم؟ فقال عليه السلام : ويحك هو العدل الّذي لا يجور، ثمّ قال لها: ما قصّتك، قالت: إنّي امرأة أرملة وعندي ثلاث بنات وإنّي أقوم عليهنّ من غزل يدي فلمّا كان أمس شدّيت غزلي في خرقة حمراء وأردت أن أذهب به إلى السوق وأبيعه فأشتري الطعام للأطفال فإذا بطائر قد انقضّ عليّ وأخذ الخرقة والغزل وطار، وبقيت حزينة مالي شيء أبلغ به أطفالي. قال الراوي فبينما المرأة مع داود عليه السلام في الكلام فإذا بطارق يطرق الباب فأذن داود عليه السلام بالدّخول وإذا هم عشرة من التجار ومع كلّ واحد مائة دينار، فقالوا: يا نبيّ الله بمستحقّها، فقال عليه السلام لهم: وما سبب إخراجكم هذا المال؟ قالوا : كنّا في مركب فهاجت علينا الريح فعاب المركب وأشرفنا على الغرق، وإذا نحن بطائر قد ألقى إلينا خرقة حمراء وفيها غزل، فسددنا به عيب المركب فانسدّ ونذرنا أن يصدّق كلّ واحد منّا مائة دينار من ماله، وهذا المال بين يدك تصدّق به على من أردت، فالتفت داود إلى المرأة وقال عليه السلام: ربّك يتّجر لك في البحر وتجعلينه ظالما!؟ ثمّ أعطاها الألف دينارٍ وقال: اذهبي بها وأنفقيها على أطفالك والله أعلم بحالك) عليه السلام.

خامساً: إن الآلام التي يتعرض لها الإنسان في هذه الدنيا بفعله تعالى، يمكن أن نتصور

لها معنيين:

أولاهما: أنها عقاب مباشر منه تعالى للشخص على معصية قام بها في الدنيا، وهذا يتصور في حق الإنسان الذي يستحق العقاب في الآخرة، ولكن الله يذيقه هنا في الدنيا بعض ما يستحق ليتعظ به الغير، كما قد يفعل ذلك ببعض الظلمة والمجرمين من تعرضهم لألم الإهانة والخزي في الدنيا مقدمة لما سيلقونه في الآخرة من شديد العقاب.

ويتصور هذا لبعض المؤمنين إذ تقتضي رحمته تعالى أن يوقع بهم العقوبة على سيء أفعالهم في الدنيا حتى لا يعاقبهم بالآخرة، وبالضمن يكون ذلك رادعاً لهم ولغيرهم عن ارتكاب المعصية.

وثانيهما: أن الألم المذكور محض ابتلاء يسلطه على بعض أوليائه، بلا سابق معصية منهم، ولكن لغاية أو غايات عقلائية محضة، كإظهار مدى صبرهم وإيمانهم للناس ليتخذوهم مثلًا وقدوة، مع الالتزام بالجزاء الأوفى والتعويض المجزي لهم في الآخرة، وهذا ما حصل لبعض الأنبياء عليهم السلام مثل امتحان إبراهيم عليه السلام بذبح ولده، وتعريض نبي الله أيوب عليه السلام لأنواع البلاء حتى عد مثال الصبر.

هذا كله بالنسبة للنوع الأول من المكاره الحاصل بفعله تعالى بشكل مباشر، والذي يتصوره البعض شراً.

القسم الثاني: نتائج الفعل السلبي للإنسان، نظير الدمار والقتل الناتج عن الحروب، والفقدان الحاصل من السرقة، والألم الحاصل من الشتم والسب والجرح وغير ذلك.

إن هذه الأمور يمكن أن يطلق عليها مصطلح الشر، ولكن هذا لم يحصل بفعل الله تبارك وتعالى بل بفعل الإنسان السيء.

إن الله تعالى خلق – فيما نعلم – ثلاثة أنواع من المخلوقات الحية فخلق الملائكة وأودعها العقل وكلفها بما يريد ولم تحتج معه إلى الغرائز، وخلق الحيوان ولم يمنحه شيئاً كثيراً من القدرة على التفكير فلهذا لم يكلفه، وخلق الإنسان وأودعه كلا الأمرين، العقل والغريزة، وكلفه ومنحه الاختيار ولم يخلقه مجبوراً على فعل الطاعة، قال تعالى: **(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)** (الإنسان:٣)، وقال الإمام علي عليه السلام: (إِنَّ اللَّه تَبَارَكَ وتَعَالَى كَلَّفَ تَخْيِيراً ونَهَى تَحْذِيراً وأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً ولَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً ولَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً ولَمْ يُمَلِّكْ مُفَوِّضاً ولَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً)[٦].

صحيح أن الله تعالى خلق الإنسان وأعطاه القدرة على حسن الأفعال وسيئها، ولكنه لم يجبر عباده على فعل الطاعة ولا على ترك المعصية، ولو فعل ذلك فلا معنى لإيقاع العقاب مجبر على المعصية، ولا لإعطاء الثواب للمجبر على فعل الطاعة، ولكنه تعالى مع وجود الاختيار، لا زال المسيطر على فعل العباد والقادر على منعهم عن الفعل السيء متى شاء وأراد، فلم يعصوه لقوتهم وضعفه تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

والأفعال السيئة التي يقوم بها الإنسان على نحوين:

الأول: سيء بالنسبة إليه وحده، كاقتراف بعض المعاصي الخاصة به كترك الصلاة والانتحار مثلاً.

الثاني: مضر بالآخرين، كالسب والشتم والقتل وكل ما ذكرناه.

إنه تعالى منح الإنسان القدرة الكاملة على ممارسة كلا الفعلين في ذات الوقت الذي حذره منهما ونهاه عنهما.

إنه تعالى لا يتدخل ـ مع قدرته على ذلك ـ لمنع الإنسان تكوينياً من إلحاق الضرر بالآخرين، لمنافاة ذلك للاختيار الذي أعطاه للجميع.

نعم قد يتدخل لمنع حصول الضرر في بعض الحالات التي يرى المصلحة في هذا التدخل، مثل ما حكاه القرآن الكريم عن جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام بعد أن حاول قومه حرقه، إنه تعالى خالق للنظام الفيزيائي للكون ومنها طبيعة النار الحارة والمحرقة، ولكنه قادر على خرقه متى شاء، كما أنه أراد منع حصول شر الاحتراق عن نبيه عليه السلام فتدخل لمنعه.

إن الشر الذي يلحق بالإنسان المظلوم من قبل أخيه الظالم مضمون التعويض عند الله تعالى من ناحيتين:

الأولى: التشريعات الإلهية التي حددت العقوبة على المجرم وتعويض المظلوم في هذه الدنيا.

الثانية: العقاب الأخروي في حال عدم التزام المجتمع الإنساني بتطبيق العدالة التي أمر بها الله تعالى في هذه الدنيا، وهذا صمام الأمان لتحقيق العدالة الإلهية التي لا بد وأن تطبق.

إن الفهم الصحيح للسلبيات التي تجري للإنسان وربطها بالعقيدة الصحيحة يفسرها تفسيراً صحيحاً، مما يورث الاطمئنان والراحة للإنسان المؤمن بعد الإيمان بحكمة الله تعالى في خلقه وعدله ■

١ـ الكافي/للكليني/ج١ص١٥٥.
٢ـ نهج البلاغة – قسم الحكم – رقم ٤٧٠.
٣ـ شرح نهج البلاغة، ج٢٠، ص ٢٢٧.
٤ـ سير أعلام النبلاء/الذهبي/ج١٧ص٢٣٤.
٥ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة/حبيب الله الخوئي/ج٦ص٩٨.
٦ـ الكافي/للكليني/ج١ص١٥٥.

حوار هادئ

قال السيد المرتضى رضي الله عنه: وحضر الشيخ أبو عبد الله ـ ويقصد الشيخ المفيد ـ أدام الله عزه بمسجد الكوفة فاجتمع إليه من أهلها وغيرهم أكثر من خمسمائة إنسان فابتدر له رجل من الزيدية أراد الفتنة والشناعة، فقال: بأي شيء استجزت إنكار إمامة زيد بن علي؟ فقال له الشيخ: إنك قد ظننت عليّ ظنًا باطلًا، وقولي في زيد لا يخالفني عليه أحد من الزيدية، فلا يجب أن يتصور مذهبي في ذلك بالخلاف.

فقال له الرجل: وما مذهبك في إمامة زيد بن علي؟ فقال له الشيخ: أنا أثبت من إمامة زيد رحمه الله ما تثبته الزيدية، وأنفي عنه من ذلك ما تنفيه!

فأقول: إن زيدًا رحمة الله عليه كان إمامًا في العلم والزهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنفي عنه الإمامة الموجبة لصاحبها العصمة والنص والمعجز. وهذا ما لا يخالفني عليه أحد من الزيدية حيثما قدمت. فلم يتمالك جميع من حضر من الزيدية أن شكروه ودعوا له، وبطلت حيلة الرجل فيما أراد من التشنيع والفتنة.

(مواقف الشيعة/الأحمدي الميانجي/ج١ص٤١، نقلاً عن البحار/ج١٠ص٤٥١)

ملف العدد

تأملات...
في حياة سيدة العصور

بقلم: كمال السيد
كاتب وروائي

ينابيع اصطفى الله مريم ابنة عمران وقدمها سيدةً لنساء عصرها .. واصطفى فاطمة ابنة محمد ﷺ ليقدمها سيدة على مدى العصور والأجيال.

منذ ميلادها وإلى آخر أنثى في تاريخ الإنسان تبقى فاطمة السيدة الأولى .. حورية الأرض لأهل الأرض والفتاة التي بلغت ذروة الكمال الإنساني في طريق بنات حواء ..

كانت رمزاً للعفة والطهر والنقاء .. وشعاراً للرقة والعطف والحياء، ونموذجاً للأمومة والخصب والنماء .. وكانت معلماً للإنسانية جمعاء.

ليست البداية:

يفكر في قومه حزيناً .. حزن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم آخر الأنبياء عليهم السلام في تاريخ الإنسانية.. يفكر يسبر الأعماق ويرحل عبر الآفاق ..

غمر الصمت الأشياء .. تلاشت الأصوات ولم يعد يسمع شيئاً سوى كلمات السماء تنفذ في أعماقه نفوذ النور في المياه الرائقة ..

كلمات مؤثرة عميقة جف لها ريقه تصبب جبينه فبدت كحبات من لؤلؤ منثور .. الكلمات تومض في أعماقه كالنجوم الزاهرة.

(**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**)(سورة الكوثر).

وانقلب الرسول إلى بيته تملأ نفسه البشارة. كانت السيدة خديجة تنتظر عودة بعلها بشوق وأمل.. نظرت إليه بعينين تفيضان حباً، وقالت بصوت يشوبه اعتذار:

ـ إني وضعتها أنثى، وليس الذكر كالأنثى.

قال النبي ﷺ وهو يحتضن هدية السماء:

ـ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ...أسميها فاطمة ليفطمها الله من الشرور.

كلؤلؤة في حنايا صدفة بدت فاطمة .. بعينيها الواسعتين كنافذتين تطلان على عالم واسع .. عالم ممرج بالصفاء والسلام.

أضاء الأمل منزلاً صغيراً من منازل مكة وتفتحت فاطمة للحياة، كما تتفتح الورود

والرياحين ونمت في أحضان دافئة، دفء الأعشاش.. تنعم بقلبين ينبضان بالحب، وبنظرات حانية مفعمة بكل ما هو سامٍ ونبيل ..

كبرت فاطمة وبدأت تعي ما يجري حولها، تنظر إلى وجه أمها يغمره حزن وأسى. وربما شعرت بالمرارة تعتصر قلب أبيها ..

تهفو نحو أمها .. وتقبل أباها .. فتعود البسمة إلى الوجهين الحزينين.

وتشرق الفرحة من جديد كما تشرق من بين الغيوم لتغمر الأرض بالدفء والنور والأمل .. وتمر الأيام... .

زمن الحصار:

وتمر الأيام .. وتنمو فاطمة .. ويعصف القدر .. وتجد الطفلة نفسها بين ذراعي أمها في واد غير ذي زرع - حيث أيام الجوع والحصار والخوف والحرمان ..

تصغي إلى أنين المظلومين .. كبرت فاطمة في الشِعْب، فُطمت اللبن، ودرجت فوق الرمال .. ومرّ عام .. ومرّ بعده عامان .. ويختطف الأجل أمها الحنون .. فقدت نبعاً ثرًا من الحب والحنان.

فاطمة تبحث عن أمها الرؤوم .. تسأل أباها الحزين - أين أمي؟

ويجيب الأب المقهور وهو يحتضن ذكراه الغالية:

- أمك في بيت من قصب لا تعب فيه ولا نصب. وتلوذ فاطمة بالصمت[1] .. تفكر .. عيناها تبحثان من نبع سماوي .. ولكن دون جدوى!

كُبرت فاطمة في زمن الحرمان .. في زمان الحصار .. في زمن اليتم .. في زمن القهر ..

من أجل هذا نشأت الطفلة نحيلة القوام كغصن كسير.. رسم القهر في عينيها الواسعتين لوحة حزينة مفعمة بالأسى يغمرها الصمت .. تفكر ..

تنطوي على نفسها في استغراق يشبه صلاة الأنبياء.. نشأت فاطمة في زمن الجدب .. فغدا عودها صلباً ضارباً في الأرض جذوراً بعيدة الغور ..

بدت أكبر من سنّها، ونهضت لتملأ فراغاً هائلاً أحدثه رحيل الأم ذلك النبع الفياض من الحنان ..نهضت فاطمة سيدة صغيرة .. أما رؤوماً لأبيها الذي أضحى وحيداً.

وتمر الأيام .. وذات مساء خرج المحاصرون في الشِعْب .. (شعب أبي طالب) إلى قلب مكة .. إلى ضجيج الحياة صخب الحوادث، لتبدأ فصول أخرى من تاريخ مثير يزخر بالأحداث.. منذ الساعة التي التقت فيها السماء بالأرض في غار صغير على سفوح جبل حراء...وتمرّ الأيام ..

ابنةٌ بارَّةٌ وأمٌ حَنون:

شيئاً فشيئاً خفتت الأصوات، وآبت الطيور إلى أعشاشها، إنها ساعة الغروب .. بدا البيت مقفراً كصحراء جرداء ..

كانت فاطمة مستغرقة في تفكير عميق تطوف في خيالها مريم، تلك الفتاة البتول التي انقطعت عن العالم القاسي في ماديته ولجأت إلى صومعتها تعبد الله وتتبتل إليه تبتيلا.

تنكشف آفاق السماوات والملكوت.

جلست فاطمة تترقب عودة الأب .. هي الآن وحيدة .. لقد رحلت الأم الحنون ذلك النبع المتدفق حنانًا ولوعة...

لك الله يا أماه! ما كادت أعوام الحصار تنجلي بكل قسوتها حتى رحلت ليبقى والدي وحيداً وهو أشد الناس حاجة إلى من يؤازره ويقف إلى جانبه ..

ولكن يا أماه سأجهد نفسي لأملأ الفراغ الذي جثم على البيت بعد رحيلك وغيابك .. سأكون له بنتاً وأماً .. سأمسح دموعه بيدين تشبهان يديك وسأبتسم له كما كنت تضيئين قلبه بابتسامتك ..

ولكن يا أماه! أنا ما أزال صغيرة .. ليتك صبرت قليلاً .. أبي كان قوياً بك .. وكان يتحدى العاصفة بعزم (أبي طالب) شيخ البطحاء، تكفله صغيراً وحماه كبيراً .. غير أنكما تركتماه وحيداً، واسترحتما من هموم الدنيا وعذاباتها .. وحق لكما أن تستريحا وقد عصفت بكما النوائب من كل مكان وسدّد لكما الدهر سهاماً مسمومة وحرابا ..

أجل يا أماه! لقد اظلمت الدنيا ونشر المساء ستائره السوداء، وهذا عامنا عام الحزن ..

ها أنا الآن أنتظر عودة أبي .. أبي الذي يريد تبديد الظلام بنور الإسلام .. لكن مكة تعج بمن يريد حياة الظلمات يحبّها كما

الخفافيش لا تهوى النور ولا تحب النهار ..

سمعت فاطمة خطىً هادئة كنبضات قلب يخفق أملاً، خطىً تعرفها فاطمة .. لهذا هبّت كفراشة تهوي إلى النور .. فتحت الباب لترى إحدى مآسي الأنبياء ..

قال رسول السماء: واللّه ما نالت قريش مني، إلّا بعد أن مضى أبو طالب![٢].. يا لصبر الأنبياء .. شعرت فاطمة بالانكسار، كيف سوّلت لذلك السفيه أن يرمي التراب على وجه يسطع بنور السماوات؟!

مسح الأب دموع ابنته قال وعيناه تشعان بالأمل:

ـ لا تبك يا فاطمة! إن اللّه ناصر أباك.

انحسرت الغيوم عن السماء فبدت صافية مشرقة وعادت البسمة إلى الوجه الملائكي ... وتمر الأيام ..

الهجرة:

لا أحد يعلم مكان النبي المهاجر إلا فتىً في الثالثة والعشرين من عمره، عاد لتوّه من غار في جبل ثور .. عاد عليٌ ينفض عن نفسه غبار الطريق ويفكّر في وصايا ابن عمه .. بقي عليه أن يؤدي الأمانات إلى أهلها، ويحمل الفواطم والمستضعفين من الذي آمنوا بآخر رسالات السماء ..

ابتاع عليٌ إبلاً، وأسرّ إلى والدته فاطمة أن تستعد للهجرة، وتخبر فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ وفاطمة بنت الحمزة وفاطمة بنت الزبير ..

وتحت جنح الليل تحركت قافلة الفواطم يقودها علي ماشياً ومعه الدليل أبو واقد .. والتحقت بالركب الفاطمي أم أيمن حاضنة النبي ﷺ، وفي نفس الليلة تسلل المستضعفون إلى وادي (ذي طوى) حيث واعدهم عليٌ هناك.

كان أبو واقد يشعر بالخوف من انتقام قريش لذلك راح يسوق الإبل سوقاً عنيفاً .. قال علي يهدّئ من مخاوفه:

ـ ارفق بالنسوة يا أبا واقد!

بالقرب من وادي «ضجنان» ظهر ثمانية فرسان ملثمون قد أثاروا بخيولهم زوبعة من الغبار! عيونهم تبرق بالشر؟ صاح علي بأبي واقد وأيمن ابن أم أيمن:

ـ انتحيا بالإبل واعقلاها!

واقترب أحد فرسان الدورية من علي عليه السلام وخاطبه بعنف:

ـ أظننت يا غدار أنك ناج بالنسوة؟! ارجع لا أباً لك، قال عليٌ عليه السلام بثبات:

ـ فإن لم أفعل؟

ـ لترجعن راغماً.

وأراد الفارس الوثني أن يثير النوق، فاعترضه علي عليه السلام، ولأول مرّة برق سيف علي في سماء الفروسية كالصاعقة، وصعق الرجل الوثني، فتسمّر رفاقه هلعاً لهول المشهد..

وعندما استعد علي للهجوم، صاح أحد الفرسان:

احبس نفسك عنا يا ابن أبي طالب![٣]

وانطلقت سفن الصحراء تواصل السير شمالاً ..

السماء مرصعة بملايين النجوم .. تومض في أغوارها السحيقة كلآلئ منثورة .. حط المهاجرون عصا الرّحال في وادي ضجنان .. بركت النوق فوق الرمال تلتقط أنفاسها وتشمّ رائحة وطن قريب .. عينا فاطمة تسافران بين النجوم تستكشفان آفاق السماء .. أزهر وجهها كما الكوكب الدرّي.. واستغرقت فاطمة في الصلاة:

ـ أنت وحدك الباقي .. كل شيء أخذ طريقه نحو المغيب .. النجوم..القمر

.. الأرواح البيضاء تتجه إليك لا تبالي بأشواك الطريق أنت وحدك الحق .. دعني ألج ملكوتك وأسبّحك وأطوف مع ذرات الوجود حول عرشك ..

أنت وحدك نبع الحياة، وسواك سراب يحسبه الظمآن ماءً.

في (قبا) حيث توقف النبي ﷺ ينتظر الرسول القافلة، هبط جبريل .. وفاح عبير الوحي .. ملأ فضاء قباء، حيث بنى الرسول أول مسجد في تاريخ الإسلام: (**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ* رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ* رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ* رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ* فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللهِ وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ**)(آل عمران:١٩١ -١٩٥).

وصلت القافلة بسلام وخفّ النبي للقاء ابنته بشوق وحب، قائلاً: فاطمة أم أبيها.

الوطن الدافئ:

دخلت القافلة المدينة، وتصدح في الفضاء أناشيد الفرح:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرّفت المدينة مرحباً يا خير داع

وتمتزج كلمات الفرح مع زغاريد النسوة والفتيات وقد ارتدت يثرب حلّة جديدة..

وتنمو فاطمة.. وتنمو في أعماقها أمنيات الأنبياء .. ها هي الآن في بيت من بيوت المدينة هو بيت أبي أيوب (خالد الأنصاري)[٤]، وتجد أم أيوب في بنت رسول الله (ص) مثالاً للفتاة كأجمل وأبهى ما يكون، وجدت فيها سيدة صغيرة تفوق بكثير سنها طيبةً ونقاءً، وسموّا ورفعةً وجلالاً، ومجدًا أخلاقيًا مكللًا بنور السماء. عينان واسعتان تتألق فيهما نجوم ونجوم .. وشبه عظيم بين الأب وابنته في الشكل والصورة والمثال .. في المنطق والكلام وفي تلك الحالة من الطمأنينة والسكينة والسلام.

وتتألق فاطمة بمجدها الأخلاقي .. بيوت المدينة تتغنى باسمها وتتحدث عن عينين واسعتين وعن وجه مشرق أبهى من القمر، وعن لمسة حزن تتكسر في عينيها الواسعتين .. وعن إطراقة صمت عميق تشبه استغراقاً في صلاة لا نهاية لها ..

وعن حياء أنثوي يتورد فوق وجه مشرق زاهر بالنور.

ويتقدم الخاطبون يتطلّعون إلى لؤلؤة المجد .. ترى من سيحظى بابنة الرسول ﷺ التي قال عنها: إنها حوراء إنسية ..

كان النبي ﷺ جالساً في بيت أم سلمة وقد امتلأت الحجرة الطينية بشذى العبير، عبير جنات الفردوس ..

ارتفعت طرقات على الباب .. وهتفت أم سلمة: من الطارق؟

قال النبي ﷺ:

افتحي له .. هذا رجل يحبه الله ورسوله!

فتحت أم سلمة الباب .. وتريث عليّ ريثما تعود أم المؤمنين إلى خدرها...

السلام على رسول الله.

وعليك السلام.

جلس عليٌ مطرقاً .. تلألأت حبات عرق فوق جبهته الشماء... كلمات تطوف في أعماقه، كلمات وقف الحياء سداً أمامها!

أدرك النبي ﷺ ما يموج في قلب علي فقال والبسمة تشرق فوق وجهه:

ـ كأنك أتيت لحاجة! فقل حاجتك.

قال علي عليه السلام:

ـ يا رسول الله! إن الله هداني بك وعلى يديك، وقد أحببت أن يكون لي بيت وزوجة أسكن إليها، وقد أتيت خاطباً ابنتك فاطمة!

كانت أم سلمة تنظر إلى وجه النبي ﷺ فرأت بسمة ترتسم على شفتيه وهو يقول:

ـ يا علي! قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت لها ذلك فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أدخل عليها.

نهض النبي ﷺ ونهض علي عليه السلام إجلالاً له.

يا فاطمة!

لبيك يا رسول الله:

إن علي بن أبي طالب قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه، وإني سألت ربي أن يزوجك خير خلقه وأحبهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين؟ أطرقت فاطمة وكانت علامة رضا تطوف فوق وجه أزهر، تغالب مسحة من حياء، فاصطبغت وجناتها بحمرة خفيفة كشمس صباح ربيعي.

هتف النبي ﷺ مستبشراً:

ـ الله أكبر! سكوتها رضاها[٥].

وهكذا تدفق نبع السعادة في ذلك البيت الذي أذن الله أن يرفع .. وانتشر الخبر في بيوت النبي ﷺ كفراشة تدور في حقل من الزهور.

سيدة العصور:

فيما كانت المدينة تترقب الاحتفال بالزواج الخالد، بدأت احتفالات السماء وقد هبط جبريل يحمل إرادة السماء، وقضى أن يجتمع علي وفاطمة عليهما السلام تحت سقف واحد، لتتحقق سورة الكوثر ويعم الخير جميع البشر، ولم يكن جهاز فاطمة سوى قطيفة مخملية وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف، ورحى وجرتين وآنية من خرف.

وفي السماء كان جهاز سيدة النساء أن نثرت أشجار الفردوس الحلي والحلل تتساقط فوق أرض الجنان .. تغمر الحوريات ويتزيّن بها سكان العالم العلوي .. وأحدقت الملائكة، وزخرفت الجنان وغرّدت الطيور، ونثرت شجرة طوبى اللؤلؤ والدرّ الأبيض والزبرجد والياقوت الأحمر ..

وقال النبي ﷺ وهو ينضحها بالماء:

اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم[٦].

تمايلت سعف النخيل طرباً .. وتألفت في السماء ملايين النجوم وظهر القمر يزدهي بهالته .. وتألقت فاطمة فبدت بين النسوة كوكباً درّياً، حتى إذا استوت فوق الناقة، انطلق صوت الدفوف، وبدأ موكب الزفاف يسير الهوينى ..

فاطمة تحفها بنات عبد المطلب ونسوة المهاجرين والأنصار.. أخذ عمار بزمام الناقة وكان الرسول ومعه حمزة والرجال

يمشون خلفها..

وملأت الزغاريد الفضاء وصدحت أنشودة الفرح على لسان أم سلمة:

سِرْنَ بعون الله جاراتي
واشكُرنه في كلّ حالاتِ
واذكُرنَ ما أنعمه ربّ العُلى
من كشف مكروه وآفاتِ
فقد هُدينا بعد كفر وقَد
أنعشنا ربّ السّماواتِ
وَسِرْنَ مَعْ خير نساء الورى
تُفدى بعمّات وخالاتِ
يا بنت مَن فضّله ذو العُلى
بالوحي منه والرّسالات[٧]

أحبت فاطمة علياً، أحبت فكره وخياله، رأت في ظلاله كل ما كانت تنشده المرأة في الرجل .. ووجد عليٌ في فاطمة ما كان يبحث عنه في نفسه .. وكان اللقاء على كلمة السماء ليكون اتحادهما ميلاداً للإنسان الاجتماعي والأسرة.

وفي بيت اللّه ومسجد رسول اللّه أخذ النبي ﷺ يدي فاطمة ووضعهما في يدي علي وقال بخشوع:

اللهم إنهما أحب خلقك إليّ، فأحبهما وإني أعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم[٨].

وشهد البيت الصغير ميلاد حب عميق عمق البحر.

طاهراً كقطرات الندى، متدفقاً كالنبع.. لم تجد فاطمة في بيتها الجديد فراشاً وثيرًا، أو ذهباً وحريراً، لكنها وجدت قلباً ينبض بالحب والخير .. وجدت إنساناً يزخر وجوده بقيم تتألق سمّواً وتشع رحمة.

أجل وجدت فاطمة عليها السلام كل ما كانت تنشده في أعماقها ..

ووجد علي عليه السلام في فاطمة عليها السلام ذلك القبس الدافئ من الحنان .. وجد فيها ذلك الكائن الرقيق الذي يتدفق بالعاطفة .. وجد فيها الدرب ففاطمة رقة وشوق وحنان ..وتمر الأيام..

إلّا الحب!

كانت فاطمة تشبه أباها في كل شيء، في حديثها وصمتها وحتى مشيها، وفي ذلك النور الذي يشع من وجهها ومحياها، تعمل بصمت أو ترتل آيات القرآن .. تتشربها .. تتنفس كلماتها ومعانيها وتعيش في ظلالها ..

رتبت ثيابها وكانت قليلة، وضعتها فوق خشبة كان بعلها قد ثبتها في زاوية الحجرة، نشرت خمارها وقطيفة سوداء وقميصاً، رتبت الفراش ثم راحت تكنس البيت، وتصاعد غبار خفيف، كانت ذراته تتألق في ضوء الشمس.

مسحت كيزان الخزف وأعادت ترتيبها .. حاولت أن تجرّ الرحى إلى مكان آخر، فوجدتها مشدودة إلى الأرض فتركتها في مكانها، ومن كيس في زاوية البيت استخرجت حفنات من الشعير ثم جلست إلى الرحى .. الرحى تدور فيتساقط الدقيق تباعاً، فتجمعه في إناء خزفي صغير أضافت إليه قليلاً من الماء القراح، وراحت تعجن الخليط حتى إذا تجانس، غطت الإناء وتركته ريثما يصير خميراً.

جلست فاطمة عليها السلام وأشعلت النار في الموقد، تصاعد دخان أزرق وتوهج جمر فسفوري الحمرة، كانت عيدان الحطب تتكسر، وكانت فاطمة تصغي مستغرقة في تأملاتها .. سرت في أطرافها قشعريرة وتجمعت في عينيها دموع الشوق إلى عالم لا نهائي .. قلبها ينبض أملاً بما وعد اللّه

المؤمنين ..

عاد عليٌ عليه السلام وقد بدا مهموماً بعض الشيء.. وعندما وقعت عيناه على فاطمة شقت الابتسامة وجهه، شعر بأن الهموم تنزاح عن كاهله كما تنزاح السحب وتذوب الغيوم ..

لشدّ ما يحب زوجه بروحها التي تكاد تغادر إهاب البدن إلى حيث ترفرف الملائكة ..

وجاء النبي صلى الله عليه وآله يزور هذه الأسرة الطاهرة. قال لابنته:

يا بنية نعم الزوج زوجك .. ولا تعصي له أمراً ..

ثم شد على يد علي عليه السلام، وقال:

الطف بزوجك وارفق بها، فإن فاطمة بضعة مني، يؤلمني ما يؤلمها ويسرّني ما يسرّها!(٩)

شيء ما ولد في قلب علي عليه السلام تجذّر في أعماقه شيء يشبه العهد والميثاق، ألّا يغضب فاطمة أو يجبرها على أمر ما إلى الأبد ..

وفي قلب فاطمة عليها السلام ولد الحب، تفجر نبعه، وعندما يحب المرء ينسى كل شيء سوى الطاعة للحبيب .. وعندما تحب المرأة ترى في طاعة بعلها عبادة خالصة تثري الروح وتسمو بالأخلاق وتنمي إنسانيتها ..

ويضيء منزل علي وفاطمة عليهما السلام تضيئه شموع الروح، ووجه الزهراء البتول حورية الأرض التي تملأ البيت الصغير بدفء الكلمات، وشذى من عبير الجنات، جنات الفردوس، واستغرقت الزهراء في حياتها الجديدة وكم كانت فرحتها عند كفل زوجها ما وراء الباب، فمملكة المرأة بيتها، وسلوتها أعمال المنزل، وجهادها حسن التبعل .. فكانت مثال الزوجة الطيبة الرقيقة .. تمتثل لإرادة بعلها ولم تعص له أمراً.

إن المرأة إذا أرادت أن تطوع زوجها، عليها أن تطيعه، فمن طبيعة الرجل أنه يحترم إرادة زوجته المطيعة!

وكانت أسعد اللحظات في حياة علي عليه السلام تلك التي يقضيها مع زوجه البتول.

كانت الزهراء عليها السلام تستيقظ فجراً، بل وقبيل الفجر فتصلّي وتستغرق في العبادة حدّ الذهول .. وفي غبش الفجر تدير الرحى لتطحن، وتشعل الموقد، ولم يكن الزوج ليدع زوجه تشقى، فكان يحتطب ويستقي، وكان أيضاً يكنس المنزل .. .

وهكذا تدور الأيام ■

---

(١) الأمالي/ الشيخ الطوسي/ص١٧٥.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ/ابن الأثير/ج٢ص٩١.

(٣) ينظر: الأمالي/للشيخ الطوسي/ص٤٧٠.

(٤) مرقده موجود في القسطنطينية/في تركيا.

(٥) ينظر: إحقاق الحق/التستري/ج٤ص٤٧٥.

(٦) مناقب علي بن أبي طالب/ابن المغازلي/ ص٢٧٤.

(٧) مناقب آل أبي طالب/ابن شهراشوب/ ج٣ص١٣٠.

(٨) ينظر: ن.م/ص١٣١.

(٩) البحار/المجلسي/ج٤٣ص١٣٣.

صفحات مشرقة من حياة السيدة الزهراء عليها السلام

الباحث: قادر شاكر علي
كلية الآداب/جامعة ذي قار

ولادة النور:

ينابيع انبثق النور الأول في سيد الكائنات وأشرف المخلوقات محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله لينتقل ويستقر ويكوِّن تلك النسمة الطاهرة؛ فاطمة الزهراء عليها السلام.

ولدت في العشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله[1]. فقد ولدت لأبوين مضحيين، وفي جوّ يغمره الحب والمودة والوئام في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه هي خديجة أمُّ فاطمة، وذاك أبوها محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، ففي أجواء الرسالة ولدت الزهراء فاطمة ودرجت في بيت النبوة، وترعرعت في ظلال الوحي، ورضعت من لبن العصمة مكارم الأخلاق وجميل السجايا والصفات.

ولدت فاطمة فأشرق بحبوره قلب محمد صلى الله عليه وآله الذي ما ذاق طعم الهناء مذ أوكلت إليه المشيئة الأسمى؛ تحرير الإنسان من قيود الآلهة الزائفة وكسر أغلال الحماقات. وتهللت أسارير خديجة الصابرة، ورأت وجه تلك الروعة التي ملكت عليها بالأمس قلبها وحيرتها. وكأنه كان أمراً من التدبير أن تنطلق من فم العاص بن وائل؛ كلمات نابية تثير حفيظة السماء لتمقته في ناديه على وجوه سُمّاره، فلقد قال لقومه، حين أعيتهم الحيل في أمر محمد صلى الله عليه وآله، :(دعوه فإنما هو رجلٌ أبتر لا عقب له، لو مات؛ لانقطع ذكره، واسترحتم منه)[2]، فيرد عليه الوحي وقد أطلت فاطمة بوجهها المبارك الوضاء، مبشراً النبي العظيم

بالوليد الكريم، معين الصفوة المباركة من بنيه، وحماة رسالته من أسباطه، ورواد الأئمة من بعده على دربه: (**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**)(سورة الكوثر)[٣]. لن يندثر محمد، وما هو بالمنقطع ذكره وقد ولدت له الكلمة الطيبة فاطمة البتول.

تسمية فاطمة عليها السلام

تعتبر تسمية المولود، من سنن الله تعالى في خلقه، وقد سمّى الله تبارك وتعالى آدم وحواء عليهما السلام يوم خلقهما، وقال تعالى: (**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**) (البقرة:٣١)، وسار الناس على هذه السُنّة والسيرة، وتفننوا في وضع الأسماء لمواليدهم نظراً للظروف والأذواق والمستويات المختلفة باختلاف العصور والأجيال. أما أولياء الله فإن التسمية تعتبر عندهم ذات أهمية كبرى، ولا يخلو الأمر عن الحقيقة، وأن الإنسان ينادى ويدعى باسمه، فكم هناك من فرق بين الاسم الحسن الجيّد، وبين القبيح السيء، فهذه امرأة عمران ولدت بنتاً فقالت: (**وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ**) (آل عمران:٣٦) واختار الله هذا الاسم قبل أن تنعقد نطفتها، يقول تبارك وتعالى في كتابه المجيد: (**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا**)(مريم:٥-٧). وهناك طائفة كبيرة من الأحاديث التي تذكر اسم السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ووجه التسمية لها، وإنما سميت فاطمة لأسباب ومناسبات موضوعة، روي منها مدلول الاسم وعلاقته بالمسمى وصدقه عليه ومصداقيته[٤].

أسماء فاطمة عليها السلام وألقابها وكناها

ذكر أبو جعفر القمي أسماء فاطمة عليها السلام كما يلي: فاطمة، البتول، الحصان، الحرّة، السيدة، العذراء، الزهراء، الحوراء المباركة، الطاهرة، الزكية، الراضية، المرضية، المحدثة، مريم الكبرى، الصديقة الكبرى، ويقال لها في السماء: النورية، السماوية، الحانية[٥]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: (لجدتي) فاطمة تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة، الصدّيقة، الزهراء، الطاهرة، الزكية، الراضية، المرضية، المباركة، المحدثة[٦] وأشهر ألقابها (الزهراء والبتول). وكانت تكنى بأم أبيها، وأمُّ الائمة.

الزهراء عليها السلام في بيت النبوة

لقد فتحت السيدة الزهراء عليها السلام عينها في وجه الحياة وفي وجه أبيها الرسول صلى الله عليه وآله ترتضع من أمها السيدة خديجة اللبن المزيج بالفضائل والكمال[٧]. وهكذا عاشت فاطمة في ظلال هذا الجو الروحي، والسمّو العائلي، وتشبعّت روحها بالحنان النبوي الكريم، إلى جانب هذا شاءت الحكمة الإلهية للسيدة الزهراء عليها السلام أن تمتزج حياتها بالمكاره، مشفوعة بالآلام والمآسي منذ صغر سنهّا. واشتدّت الأزمة، وازدادت المحنة حتى اضطر الرسول صلى الله عليه وآله أن يختفي في شعب أبي طالب، ورافقته عائلته وآل أبي طالب إلى ذلك المكان، وها هي قريش

تفرض المقاطعة والحصار على رسول الله ومن معه. فحاصرهم القرشيون حصاراً اقتصادياً شديداً، وكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على أنَ لا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئاً، فقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا، لا يصل إلى أحدهم شيء إلاّ سّراً، والجوع يشتدّ بهم، وفي جوّ خطير موحش من هذا النوع قضت الزهراء عليها السلام شطراً من أيام الرضاعة في شعب أبي طالب، ثم فُطمت من اللبن هناك، ودرجت تمشي على رمضاء الشعب، وتعلمت النطق وهي تسمع أنين الجياع وصراخ الأطفال المحرومين[٨].ويخرج الرسول صلى الله عليه وآله ومن معه من الحصار والمقاطعة وقد كتب الله تعالى لهم النصّر والغلبة، وتخرج خديجة وقد اثقلتها السنون، وأرهقها عناء الحصار والحرمان، لقد قرب أجلها وفاطمة لم تبلغ الثامنة من عمرها، وكانت تلك الأم البارّة الحنون تنظر إلى ابنتها الصغيرة فاطمة العزيزة، نظرة حزن وتألم وتأثر لأنها تعلم أن الزهراء ستفجع بأمها الرؤوم. وكانت السيدة خديجة تتأوه وتبكي، فقالت لها أسماء بنت عميس: (أتبكين وأنت سيدة نساء العالمين، وأنت زوجة النبي صلى الله عليه وآله مبشرة على لسانه بالجنة، فقالت: ما لهذا بكيت، ولكن المرأة ليلة زفافها لا بد لها من امرأة تفضي إليها بسرها، وتستعين بها على حوائجها وفاطمة حديثة عهد بصبا وأخاف أن لا يكون لها من يتولى أمرها حينئذ. فقالت أسماء: يا سيدتي لك عليّ عهد الله إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الأمر)[٩].

وما يذيب القلب حسرةً أنّ خديجة عليها السلام توفّيت قبل مضي عام واحد على خروج النبي صلى الله عليه وآله وصحبه من شعب أبي طالب[١٠]. فكان لفقدانها أثر مؤلم على قلب الرسول صلى الله عليه وآله، خاصة وأن النبي قد فجع بعمه أبي طالب بعد أيام أو شهور من وفاة السيدة خديجة، حزن النبي صلى الله عليه وآله لذلك حزناً شديداً وقد أطلق رسول الله صلى الله عليه وآله على ذلك العام (عام الأحزان)[١١]، لأنه فقد ناصريه ومحاميه في مكة؛ شريكة حياته ووزيرته وأم أولاده (خديجة) وعمه (أبا طالب) كان المحامي والمدافع ونعم الناصر له، فتغيرت حياته صلى الله عليه وآله في داخل البيت وخارجه، وتشددت قريش في إيذاء النبي صلى الله عليه وآله ووصلوا من أذاه بعد وفاة أبي طالب إلى مالم يكونوا يصلون إليه في حياته.

ففي مرّة رأت السيدة الزهراء عليها السلام قريشاً اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا: لو رأينا محمداً لقمنا إليه مقام رجل واحد ولنقتلنه، فدخلت عليها السلام على النبي صلى الله عليه وآله باكية وحكت مقالهم[١٢].

نعم، كانت فاطمة عليها السلام تعيش هذه الحوادث المؤلمة منذ صغرها، وتهبّ لنصرة أبيها وتخدمه حتى سمّاها بأمّ أبيها، فلما توفيتّ خديجة عليها السلام وقعت المسؤولية في البيت على عاتقها. وانقضت هذه الفترة، ثم تزوّج الرسول صلى الله عليه وآله بسودة واختار نساء أخريات أيضاً كن يظهرن الحب لفاطمة عليها السلام بشكل أو بآخر، ولكن من الصعب على اليتيم أن يفقد أُمه ويرى غيرها في محلّها، وزوجة الأب مهما

رؤمتْ وكانت حنوناً لا تغني عن صفاء حبّ وحنان الأمّ، وكلّما ازداد شعور الزهراء عليها السلام بالحرمان من الأم ازداد حبّ النبي صلى الله عليه وآله لها وأشعرها بذلك الحبّ، لأنه (ص) يعرف ما تعانيه فاطمة (ع) من فقد أُمّها وشعورها باليتم. هذه خلاصة ثماني سنين من عمر السيدة الزهراء عليها السلام.

فاطمة عليها السلام في بيت الإمامة

والآن أصبحت الزهراء عليها السلام يافعة، وقيل إنها كانت قد بلغت من العمر تسع سنين ولكنها كانت تتوفّر فيها كل عناصر النجاح في خوض تجربة تكاد تواجه جلّ بنات حوّاء. فهي صاحبة الجلال والجمال والبهاء، والخلق الفاضل، والفصاحة التّامّة، والبلاغة الراقية والشّرف العريض، والنسب المشرق، وغير ذلك من سمو ورفعة لا يدانيها أحد. (لما أدركت مدرك النساء خطبها أكابر قريش من أهل الفضل والسابقة في الإسلام، والشرف والمال، وكان كلما ذكرها رجل من قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله أعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله بوجهه، ... وكان صلى الله عليه وآله يردد: إن أمرها إلى ربها إن شاء أن يزوجها زوجها)[١٣]. فقيل للإمام علي عليه السلام: (يا أبا الحسن إنه لم يبق خصلة من خصال الخير إلا ولك فيها سابقة وفضل، وأنت من رسول الله صلى الله عليه وآله بالمكان الذي قد عرفت من القرابة، والصحبة والسابقة، وقد خطب الأشراف من قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة فردهم، ... فما يمنعك أن تذكرها لرسول الله صلى الله عليه وآله

وتخطبها منه، ... فتغرغرت عينا علي بالدموع، وقال: ... والله إن فاطمة لموضع رغبة، وما مثلي قعد عن مثلها، غير أنه يمنعني من ذلك قلة ذات اليد.

وبعد ذلك صار يذهب إلى رسول الله خاطبًا فاطمة عليها السلام... دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: وعليك السلام يا أبا الحسن اجلس، فجلس علي بن أبي طالب عليه السلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل ينظر إلى الأرض كأنه قصد الحاجة وهو يستحيي أن يبديها، فهو مطرق إلى الأرض حياء من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت أم سلمة: فكأن النبي صلى الله عليه وآله علم ما في نفس علي عليه السلام فقال له: يا أبا الحسن إني أرى أنك أتيت لحاجة، فقل حاجتك وأبد ما في نفسك، فكل حاجة لك عندي مقضية ..).

وتحدث علي عليه السلام عن منزلته وقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وتربيته له منذ ولادته والتصاقه به وإخلاصه له، ثم قال: (...إنك والله يا رسول الله ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة، يا رسول الله فقد أحببت مع ما شد الله من عضدي بك أن يكون لي بيت وأن يكون لي زوجة أسكن إليها، وقد أتيتك خاطبًا راغبًا أخطب إليك ابنتك فاطمة، فهل أنت مزوجي يا رسول الله؟

قالت أم سلمة: فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتهلل فرحًا وسرورًا، ثم تبسم في وجه علي عليه السلام فقال: يا أبا الحسن فهل معك شيء أزوجك به؟ فقال علي عليه السلام: فداك أبي وأمي والله ما يخفى عليك من أمري شيء، أملك سيفي، ودرعي، وناضحي، وما أملك شيئًا غير هذا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أما سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به في سبيل الله وتقاتل به أعداء الله، وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكني قد زوجتك بالدرع ورضيت بها منك.

يا أبا الحسن أبشرك؟ قال علي عليه السلام: قلت: نعم فداك أبي وأمي بشرني فإنك لم تزل ميمون النقيبة، مبارك الطائر، رشيد الأمر صلى الله عليك ....، أبشر يا أبا الحسن فإن الله عز وجل قد زوجكها في السماء من قبل أن أزوجك في الأرض)[١٤].

وأهم ما يلفتنا في هذا الزواج هو ما جاء في الحديث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (لَوْلَا أَنَّ اللَّه تَبَارَكَ وتَعَالَى خَلَقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لِفَاطِمَةَ مَا كَانَ لَهَا كُفْوٌ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ آدَمَ ومَنْ دُونَه)[١٥]. ورضيت الزهراء بعلي زوجاً، وكان ذلك في الأول من ذي الحجة من السنة الثانية بعد الهجرة، وعاشت معه حياة هنّية لكنها مليئة بالجهد والتعب والمشقة وعانت في حياتها ما لم تعانه امرأة سواها.

غروب الشمس

الزهراء عليها السلام من النساء كاملات الإيمان هي الصديقة الكبرى، ونشأة الزهراء عليها السلام أمر أعظم من أن يتصوره الإنسان فكيف به أن يشرحه، وكل من

يقول عنها شيئاً فهو يتحدث بمقدار فهمه وإدراكه لشخصيتها[١٦]. روت عائشة أن النبيّ دعا فاطمة في شكواه الذي قبض فيه، فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها فضحكت. فُسئلت عن ذلك فقالت: أخبرني النبيّ ﷺ أنه مقبوض فبكيت، وأخبرني أني أول أهله لحوقاً به فضحكت، وعندما التحق الرسول الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، انهالت هموم الدنيا ومصائب الدهر على بضعة النبي الزهراء عليها السلام التي قضت عمرها في وجود أبيها وظلاله الوارفة، وقد انهار صرح الآمال بعد هذا الحادث المدمر الجلل.

والزهراء عليها السلام غارقة في الأحزان لفقد الرسول الأعظم ﷺ وعلي عليه السلام مشغول بتجهيزه، وإذا بالخبر أن جماعة من المسلمين اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لتعيين خليفة لرسول الله ﷺ، ... فقد أنكروا وصية الرسول ﷺ حين نصب الإمام علياً عليه السلام خليفة للمسلمين في غدير خم قبل سبعين يوماً من وفاته ﷺ؛ وقد وقع المسلمون في منزلق خطير وفتنة قد تجرهم إلى الهاوية.

رفض الإمام علي عليه السلام البيعة لمن انتخبوا، فسولت لهم أنفسهم الهجوم على دار علي والزهراء عليها السلام لأخذ البيعة عنوة ... كانت السيدة فاطمة عليها السلام قبل هجوم القوم خلف الباب وقد عصبّت رأسها بعصابة، ولم يكن عليها خمار، فلمّا هجم القوم لاذت السيدة الزهراء عليها السلام خلف الباب لتستر نفسها عن أولئك الرجال، فعصروها عصرة شديدة، فصرخت السيدة صرخة من شدة الألم، لأن جنينها قتل من صدمة الباب، ولا تسأل عن المسمار الذي نبت في صدرها بسبب العصرة، وأخذوا الإمام علياً عليه السلام إلى المسجد وقد أخذت الحسن والحسين عليهما السلام معها، وما بقت هاشمية إلاّ وخرجت معها، وما رجعت الزهراء عليها السلام إلى البيت إلاّ وأخذت زوجها معها. ثم مرضت ومكثت أربعين ليلة، وأوصت خلال هذه المدة بوصاياها لأمير المؤمنين عليه السلام، ثم ارتحلت إلى الرفيق الأعلى طاهرة مطهرة ■

---

(١)الكافي/للكليني :١: ٤٥٧.
(٢)أسباب النزول/الواحدي النيسابوري/ص٣٠٧.
(٣)ن.م.
(٤)ينظر: فاطمة عليها السلام من المهد إلى اللحد :٣٢، ينظر: موسوعة المصطفى والعترة (فاطمة الزهراء)عليها السلام:٤: ٤٥.
(٥)مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ :٣٢٩، وينظر: بحار الأنوار: ٤٣: ١٧.
(٦)ينظر: بحار الأنوار: ١٢، وينظر: فاطمة عليها السلام من المهد إلى اللحد: ٣٢.
(٧)فاطمة عليها السلام من المهد إلى اللحد: ٦٥.
(٨)ينظر: موسوعة المصطفى والعترة (فاطمة الزهراءعليها السلام): ٤: ٧٢.
(٩)بحار الأنوار/المجلسي/ج٤٣ص ١٣٨.
(١٠)المناقب/ابن شهرآشوب:١: ١٧٤.
(١١)المناقب/ابن شهراشوب/ج١ص١٥٠.
(١٢)المناقب/ابن شهراشوب: ١: ٦٤.
(١٣)بحار الأنوار/المجلسي/٤٣ص١٢٤.
(١٤)ن.م.
(١٥)الكافي/للكليني/ج١ص٤٦١.
(١٦)سيرة الزهراء عليها السلام، السيد عبدالحسين دستغيب: ٧٧.
(١٧)مناقب آل أبي طالب: ٣: ٤١٠.

الدور الرسالي للزهراء عليها السلام

بقلم: سكينة الربيعي

ينابيع قال تعالى: (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**) (الأحزاب:٢١).

تشير الآية القرآنية إلى مفهوم التأسي برسول الله صلى الله عليه وآله، ويراد منه الاقتداء والسير على نهج النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته صلى الله عليه وآله، باعتبارهم الهداة الذين جعلهم الله تعالى وسائط فيض للبشرية ليتعلموا منهم وليقتدوا بهم وليسيروا على خطاهم، لأن الإنسان لم يُخلق عبثاً ولا سُدى، وإنما خُلق لأجل غاية عظمى عليه أن يحققها ليصل إلى كماله وسعادته المنشودتين، فلا بد له من وسائل عبرها يحقق أهدافه التي رسمها الله تعالى له، وأهل البيت عليهم السلام هم الذين يمكن أن يصل عبرهم إلى تحقيق هذا الخط الرباني: (مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ وَبِهِ تُؤْمِنُونَ وَلَهُ تُسَلِّمُونَ وَبِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ وَإِلَى سَبِيلِهِ تُرْشِدُونَ...)[1]، فهم إذاً سبل نجاة ودلائل إلى الحق والهدى.

والزهراء عليها السلام هي قدوة للبشرية، كما رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام قادة وهداة، فهي تمثل الإنسان الكامل الذي يأخذ بيد الناس إلى سبيله تعالى، باعتبار مقامها ومنزلتها وعصمتها؛ ولذلك أوصى رسول الله بها، وبيّن أن رضاها رضا الله، وغضبها غضب الله؛ لأنها لا يمكن أن ترضى إلّا بما يرضيه تعالى، ولا تسخط إلّا فيما يوجب سخطه، فهي أسوة وقدوة لا للنساء فحسب، بل للرجال والنساء على حد سواء، لأن الإسلام لم يفرق في الاقتداء بين رجل كامل وامرأة كاملة: (**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**)(التحريم:١١).

فكل خطوة من خطوات الزهراء عليها السلام، وكل عمل من أعمالها، وكل كلمة قالتها، إنما هي درس للبشرية أجمع، وحياتها القصيرة في عمر الزمن طويلة بعظمتها

ودروسها وعبرها... كلها محل عبرة وهداية للبشرية، إذ كانت الزهراء عليها السلام البنت المخلصة والمضحية والزوجة الصابرة العظيمة والأم المربية المثمرة والإنسان الداعية الرسالية والصوت الرباني المطالب بالحق، الساخط على الباطل، ولا نستطيع في هذه العجالة أن نذكر كل أدوار الزهراء عليها السلام في حياتها، وسنبحث في الجانب الرسالي لفاطمة عليها السلام فقط.

لقد بدأت الزهراء عليها السلام مشوار الدعوة إلى الله والتضحية في سبيل الرسالة منذ أن فتحت عينيها على النور، فهي حتى في مرحلة طفولتها كانت تعيش هم الإسلام، وأهداف الرسالة، فقد كانت صغيرة وعاشت في شعب أبي طالب، وأيضاً كانت تشاهد ما تفعله قريش بأبيها العظيم، فتزيح عنه الأذى وتواسيه، وتغسل جراحه، فقد (روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال بينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قائما يصلي بمكة وأناس من قريش في حلقة فيهم أبو جهل بن هشام فقال ما يمنع أحدكم أن يأتي الجزور التي نحرها آل فلان فيأخذ سلاها ثم يأتي به حتى إذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث أشقى القوم وأنا أنظر إليه فجاء به حتى وضعه على ظهره قال عبد الله لو كانت لي يومئذ منعة لمنعته وجاءت فاطمة رضوان الله عليها إليه وهي يومئذ صبية حتى أماطته عن ظهر أبيها)[٢].

هكذا كانت فاطمة عليها السلام في طفولتها، وبعد الهجرة عندما استقرت دعائم الإسلام في المدينة المنورة، فلم يكن جلوسها في بيتها مقتصرًا على الوظائف المنزلية فحسب بل أدت كل وظائفها التي تجعل منها إنسانًا رساليًا بمعنى الكلمة، كانت تؤدي أدوارها في البيت بمثالية كزوجة وأم وربة بيت، وكذلك تؤدي دورها المؤثر في المجتمع حيث كانت تعلم النساء القرآن والأحكام الشرعية، وتشارك بكل ما يهم المجتمع، وما يهم الرسالة، فقد وردت كثير من الروايات بأن النساء كانت تأتي لفاطمة وتتعلم منها، وهذا يدل على اهتمامها صلوات الله عليها بنساء عصرها والأخذ بأيديهن لإيصالهن إلى الكمال، فقد روي عن العسكري عليه السلام: (حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت : إن لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك. فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك، ثم ثنت، فأجابت، ثم ثلثت، فأجابت إلى أن عشرت فأجابت، ثم خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشق عليك يا بنت رسول الله. قالت فاطمة عليها السلام: هاتي وسلي عما بدا لك، أرأيت من اكترى يومًا يصعد إلى سطح بحمل ثقيل، وكراؤه مائة ألف دينار، أيثقل عليه؟ فقالت: لا. فقالت: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤًا، فأحرى أن لا يثقل علي، سمعت أبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون، فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم، وجدهم في إرشاد عباد الله، حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور)[٣].

وفي رواية أخرى تبين كيف أن فاطمة عليها السلام كانت تعين بعض المؤمنين على غيرهم، وتنتصر للحق، فعن العسكري عليه السلام: (قالت فاطمة عليها السلام وقد اختصم إليها امرأتان، فتنازعتا في شيء من أمر الدين: إحداهما معاندة، والأخرى مؤمنة، ففتحت

على المؤمنة حجتها، فاستظهرت على المعاندة، ففرحت فرحًا شديدًا. فقالت فاطمة عليها السلام: إن فرح الملائكة باستظهارك عليها أشد من فرحك، وإن حزن الشيطان ومردته بحزنها عنك أشد من حزنها. وإن الله عز وجل قال للملائكة: أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف ما كنت أعددت لها واجعلوا هذه سنة في كل من يفتح على أسير مسكين، فيغلب معاندًا مثل ألف ألف ما كان له معدا من الجنان)[٤].

وأيضاً بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله كان لفاطمة عليها السلام دور رسالي بارز جداً في خضم تلك الأحداث التي حدثت بعد رحيله صلى الله عليه وآله، وكانت تمارس دور الإنسان الرسالي الذي يحاول أن يرجع التائهين والضالين إلى الطريق المستقيم.

كان لها دور مع الأمة التي انحرفت عن جادة نبيها، فقد روى المؤرخون أنها كانت تخطب المهاجرين والأنصار وتذكرهم دائماً بوصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وتحاول إرجاعهم إلى الخط الذي انحرفوا عنه وزاغوا عنه في وقت قل فيه الثابتون على الحق، كان علي عليه السلام وحيداً إلّا من فئة قليلة من المخلصين، وكانت الزهراء عليها السلام إلى جنبه تدافع عن حقه، وتظهر ظلامته، وقد دوّت صرخة الظلامة التي بقيت تصك مسامع الدهر عبر الأجيال، بإخفاء قبرها. وخطبها ومواقفها ومحاججتها مع الغاصبين للخلافة كانت دليلاً على ذلك، خطبتها المعروفة كانت تبين عمق الهم الرسالي الذي تحمله فاطمة عليها السلام وعظيم الحزن الذي يجول في روحها الطاهرة لانحراف الأمة وابتعادها عن الإمام الذي نصبه الله لهم.

وفي بعض الروايات إنها كانت عليها السلام تخرج مع أمير المؤمنين عليه السلام وبيدها الحسن والحسين عليهما السلام وتأتي أبواب المهاجرين والأنصار لتذكرهم بالإمامة وبالولاية التي لا بد أن يتمسكوا بها، ولو أمعنا النظر في التاريخ لشاهدنا موقفها الرسالي يتجلى في مواضع ناصعة وواضحة وضوح الشمس من خطبتها في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله إلى تذكيرها الدائم للقوم بحق علي عليه السلام، وكذلك مطالبتها بفدك، وعدم رضاها عن الشيخين، وسخطها عليهما إلى أن أسلمت الروح إلى بارئها.

بل حتى بكاؤها الدائم على أبيها صلى الله عليه وآله لم يكن بكاءً نابعاً من عاطفة بنت تجاه أبيها، بل كان بكاءً رسالياً واعياً يريد أن يثير العقول الخاملة والأرواح المستسلمة للظلم والمنحرفة عن جادة الحق والحقيقة؛ كانت دموعها بركاناً يريد أن يفجر ثورة في أعماق الأمة المنقلبة على الأعقاب، بل حتى تشييعها ودفنها وإخفاء قبرها كلها مواقف الغاية منها إيقاظ الأمة، والتذكير بالحق المغتصب والانتصار للرسالة المحمدية التي جاءت رحمة للبشرية وإخراجاً لها من الظلمات إلى النور.

فقبرها المخفي هو صوتها الغاضب الهادر بوجه الباطل الذي لا يسكت ولن يسكت أبد الآبدين...■

---

(١) البلد الأمين/الكفعمي/مقطع من الزيارة الجامعة الثانية/ص٣٠٠.

(٢) الأمالي، الشريف المرتضى/ج٢ص١٩.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام/ص٣٤٠.

(٤) ن.م/ص٣٤٧.

أهم ما ورد في وصية سيدة نساء العالمين عليها السلام

م.م . فارس عطية الحداد

ينابيع

من الحقوق التي منحها الإسلام للمسلم هو حق الوصية قبل موته، والوصية هي عبارة عن كل شيء يؤمر بفعله ويعهد به في الحياة وبعد الموت، وخصصها العرف بما يعهد بفعله أو تنفيذه بعد الموت. وأوجب الإسلام على الوصي أن ينفذ تلك الوصية مالم تتعارض مع الشرع والدين. وقد قسم

الفقهاء الوصية إلى قسمين:

١ - **تمليكية:** بأن يجعل شيئًا من تركته لزيد أو للفقراء مثلًا بعد وفاته فهي وصية بالملك أو الاختصاص.

٢ - **عهدية:** بأن يأمر بالتصرف بشيء يتعلق به من بدن أو مال كأن يأمر بدفنه في مكان معين أو زمان معين أو يأمر بأن يعطى من ماله أحد أو يستناب عنه في الصوم والصلاة من ماله أو يوقف ماله أو يباع أو نحو ذلك، فإن وجه أمره إلى شخص معين فقد جعله وصيًا عنه وجعل له ولاية التصرف[1].

إذ أن الإنسان حين تحترق ورقة حياته وتحضره الوفاة ويتهيأ لمغادرة هذه الدنيا، غالبًا ما تبقى في نفسه أشياء يود تحقيقها بعد موته، ومن هنا جاءت الوصية لشخص بعينه فيكون وصيًا لينفذ تلك الوصية، وكأن الموصي لو كان باقيًا في الحياة لقام بنفسه في تنفيذها، ومن المؤكد أنه سيوصي بأهم ما يشغل فكره ويقلقه أمره وبحسب الأولويات التي يراها.

وفي ذكرى وفاة سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام سنسلط الضوء على الأولويات التي أوصت بها سيدة نساء العالمين عليها السلام في وصيتها لأمير المؤمنين عليه السلام، وما كان عليه عليه السلام إلا تنفيذها كاملة دون نقصان.

فقد وردت نصوص كثيرة ملأت كتب الحديث والسير عن وصيتها عليها السلام وما ذكر في تلك الوصية، ومن الجدير بالذكر أن الفترة التي قضتها الزهراء عليها السلام بعد استشهاد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وفاتها، كانت مريضة عليلة، وخلال هذه

الفترة أوصت بوصاياها، ولعلها كررت تلك الوصايا مرات عديدة، ولهذا نجد تعدد الرواة وتعدد الروايات حول وصاياها، فلا تناقض فيما ورد.

ولضيق المقام سنقتصر على بعض تلك الروايات ونحدد أهم المحاور لتلك الوصية، وهي كالآتي:

أولاً: في تجهيزها وتكفينها وتغسيلها والصلاة عليها ودفنها... وإخفاء قبرها:

فقد روي عن عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين عليه السلام قال:

(لَمّا مَرِضَتْ فاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَصَّتْ إلى عَلِيٍّ عليه السلام أَنْ يَكْتُمَ أَمْرَها، وَيُخْفِيَ خَبَرَها، وَلا يُؤْذِنَ أَحَداً بِمَرَضِها.. فَفَعَلَ ذلك، وَكانَ يُمَرِّضُها بِنَفْسِه، وَتُعِينُهُ عَلى ذلكَ أَسْماءُ بِنْتُ عُمَيْس (رَحِمَهَا اللّه)، عَلَى اسْتِسْرار بِذلكَ كَما وَصَّتْ به، فَلَمّا حَضَرَتْها الْوَفاةُ وَصَّتْ أميرَ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام أَنْ يَتَوَلّى أَمْرَها، وَيَدْفِنَها لَيْلاً وَيَعْفي قَبْرَها. فَتَوَلّى ذلكَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام وَدَفَنَها، وَعَفى مَوْضِعَ قَبْرِها[٢].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله

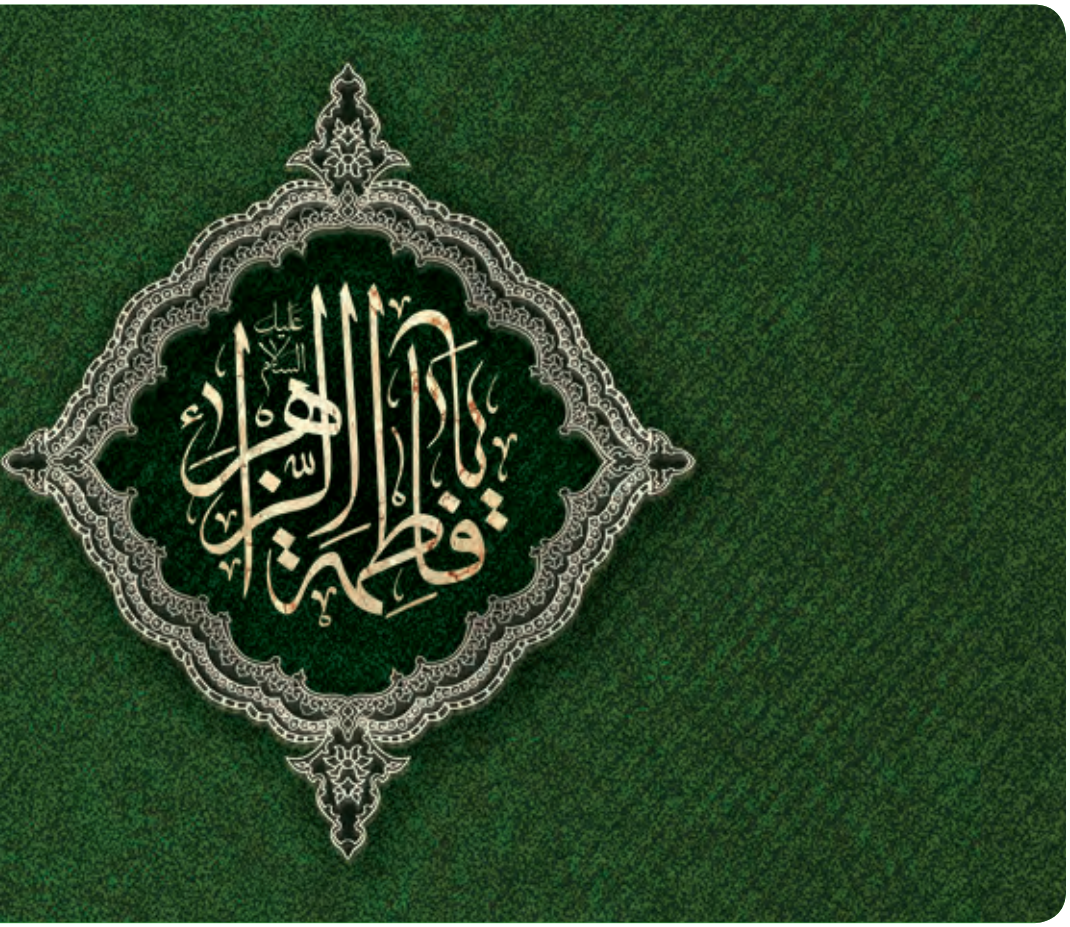

الصادق عليه السلام، قال: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ما ترك إلّا الثقلين، كتاب الله وعترته أهل بيته، وكان قد أسرّ إلى فاطمة عليها السلام أنها لاحقة به، وأنها أول أهل بيته لحوقًا. قالت عليها السلام: بينا أنا بين النائمة واليقظى بعد وفاة أبي بأيام، إذ رأيت كأن أبي قد أشرف عليّ، فلما رأيته لم أملك نفسي أن ناديت: يا أبتاه، انقطع عنا خبر السماء..... وقال: هذه مسكنك ومسكن زوجك وولديك ومن أحبك وأحبهما، فطيبي نفسًا فإنك قادمة عليّ إلى أيام.

قالت: فطار قلبي، واشتد شوقي، وانتبهت من رقدتي مرعوبة.....)،

(قال أبو عبد الله عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: فلما انتبهت من مرقدها صاحت بي، فأتيتها وقلت لها: ما تشكين؟ فخبرتني بخبر الرؤيا. ثم أخذت عليّ عهد الله ورسوله أنها إذا توفيت لا أُعلم أحدًا إلّا أم سلمة زوج رسول الله عليها السلام، وأم أيمن، وفضة، ومن الرجال ابنيها، وعبد الله بن عباس، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، والمقداد، وأبا ذر، وحذيفة. وقالت: إني قد أحللتك من أن تراني بعد موتي، فكن مع النسوة فيمن يغسلنني، ولا تدفني إلّا ليلًا، ولا تُعلِم أحدًا قبري)[٣].

إن إيصاء الزوج من قبل الزوجة بتغسيلها وتكفينها والصلاة على جنازتها ثم دفنها، أمر مألوف ولا يحمل شيئًا من الغرابة، ولكن الشيء غير المألوف هو إعفاء موضع قبرها، وعدم إخبار أحد بذلك الموضع، بلحاظ أنها ليست امرأة عادية، بل هي سيدة نساء العالمين وابنة سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وزوج سيد الوصيين وأمير المؤمنين عليه السلام وأم سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام. فما الأمر الجلل الذي دعا بضعة المصطفى إلى هذه الوصية؟

يتضح من خلال هذه الوصية أن الزهراء عليها السلام كانت تريد من ذلك أن تعرب عن استنكارها واحتجاجها وتلفت انتباه الأمة في كل الأجيال لأمر هام! وظلم كبير قد تعرضت له، وكما سيتبين ذلك في الروايات الآتية.

ثانيًا: في منع من ظلمها وآذاها من الصلاة عليها:

(قالت فاطمة عليها السلام لعلي عليه السلام: إن لي إليك حاجة يا أبا الحسن. فقال: تقضى يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالت: نشدتك بالله وبحق محمد رسول الله أن لا يصلي عليّ (فلان وفلان) وسمتهما باسميهما...)[٤].

عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام لأي علة دفنت فاطمة بالليل ولم تدفن بالنهار؟ قال عليه السلام: لأنها أوصت أن لا يصلي عليها رجال). وفي بعض النسخ (الرجلان الأعرابيان)، وفي بعضها الأعرابيان فقط[٥].

استكمالاً لما تقدم من الوصية، اتضحت الإجابة على السؤال المطروح آنفا، وتبين سبب رغبتها بعدم الإعلان عن وفاتها ودفنها ليلاً، ولا تريد تمكين أحد ممن آذاها وظلمها من الصلاة على جنازتها لكيلا يحظوا بهذا الشرف، وقد صرحت بأسمائهم ولم تخفها.

فقد ورد في البخاري/ج٥ص٨٣: (عنْ عائشَةَ: أنَّ فاطمَةَ عليها السلام بنْتَ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله أرْسَلَتْ إلى أبي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ ميرَاثَهَا منْ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله ممَّا أفَاءَ اللَّه عَلَيْه بالمَدينَة وفَدَكَ وما بَقيَ منْ خُمُس خَيْبَرَ ..... فأَبَى أبُو بَكْرٍ أنْ يَدْفَعَ إلَى فَاطمَةَ منْهَا شَيْئاً، فوَجَدَتْ (حزنت وغضبت) فَاطمَةُ على أبي بَكْرٍ في ذلكَ فهَجَرَتْهُ فلَمْ تُكَلِّمْهُ حتَّى تُوُفِّيَتْ، وعاشَتْ بَعْدَ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله ستَّةَ أشْهُرٍ فلَمَّا تُوُفِّيَتْ دفَنَهَا زَوْجُهَا عَليٌّ لَيْلاً ولَمْ يُؤْذِنْ بهَا أبَا بَكْرٍ)[٦].

يتضح أن الزهراء عليها السلام كانت غاضبة ممن أوصت بعدم صلاتهم عليها وحضور جنازتها وتشييعها. في الوقت الذي نقرأ الروايات التي تحدد عواقب إغضاب فاطمة عليها السلام:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها)، (فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويغضبني ما أغضبها)، (فمن آذاها فقد آذاني) [٧].

وقال رسول الله (ص) لفاطمة: إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك[٨].

ومن ضمن احتجاجات فاطمة عليها السلام أنها قالت: (هل سمعتم أبي يقول: فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله؟ فقالوا: نعم، فقالت: اللهم اشهد أنهما آذياني)[٩]، أما من يؤذي النبي صلى الله عليه وآله، فنقرأ قوله تعالى: **(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** (التوبة:٦١)، **(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا)** (الأحزاب:٥٧).

ثالثًا: في أولادها وأُمة أبيها صلى الله عليه وآله:

ففيما يخص أولادها: قال العلامة المجلسي في قصة فضة خادمة الزهراء عليها السلام:

(.... فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام... فناداها يافاطمة: كلميني فأنا ابن عمك علي بن أبي طالب. ففتحت عينيها في وجهه ونظرت إليه وبكت وبكى، وقال: ما الذي تجدينه؟ فقالت: يابن العم، إني أجد الموت الذي لابد منه ولا محيص عنه، وأنا أعلم أنك لا تصبر على قلة التزويج، - كما سيتبين لاحقًا وصيتها فيمن يتزوج عليه السلام- فإن أنت تزوجت امرأة اجعل لها يوماً وليلة، وأجعل لأولادي يوماً وليلة. يا أبا الحسن ولا تصح في وجههما، فيصبحان يتيمين غريبين منكسرين، فإنهما بالأمس فقدا جدهما واليوم يفقدان أمهما، فالويل لإمةٍ تقتلهما وتبغضهما)[١٠].

وفيما يخص أُمّة أبيها صلى الله عليه وآله: (أنها قالت في وصيتها لعلي عليه السلام: إذا دفنتني فادفن معي هذا الكاغدَ الذي في الحُقَّة، فقال لها سيد الوصيين: بحق النبي اخبريني بما فيه. قالت: حين أراد أن يزوجني أبي منك، قال لي: زوجتك من عليٍّ صداق أربعمائة درهم، قلت: رضيتُ عليًّا ولا أرضى بصداق أربعمائة درهم، فجاء جبرئيل فقال: يا رسول الله يقول الله عز وجل الجنة وما فيها صداق فاطمة. قلت: لا أرضى، قال: أي شيءٍ تريدين؟ قلت: أريد

أمتك، لأن قلبك مشغولٌ بأمتك، فرجع جبرئيل ثم جاء بهذا الكتاب، مكتوب: شفاعة أمة محمد صداق فاطمة. فإذا كان يوم القيامة، أقول: إلهي هذه قبالة شفاعة أمة محمد...)[11].

ولا نحتاج أن نذكر أن هذه الشفاعة لا تشمل كل من آذاها أو آذى أولادها وذريتها ومن رضي بإيذائهم في قول أو فعل إلى يوم القيامة.

رابعًا: في أموالها وأوقافها وصدقاتها:

عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام: (أن فاطمة عليها السلام أوصت لأزواج النبي صلى الله عليه وآله لكل واحدة منهن اثنتي عشرة أوقية، ولنساء بني هاشم مثل ذلك، وأوصت لأمامة بنت أبي العاص بشيء)[12].

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ - الباقر - عليه السلام: أَلاَ أُقْرِئُكَ وَصِيَّةَ فَاطِمَةَ عليها السلام، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَأَخْرَجَ حُقّاً أَوْ سَفَطاً فَأَخْرَجَ مِنْه كِتَاباً فَقَرَأَه: بِسْمِ اللّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَوْصَتْ بِهِ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللّه صلى الله عليه وآله أَوْصَتْ بِحَوَائِطِهَا السَّبْعَةِ الْعَوَافِ والدَّلال والْبُرْقَةِ والْمَيْثَبِ والْحُسْنَى والصَّافِيَةِ ومَا لأُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَإِنْ مَضَى عَلِيٌّ فَإِلَى الْحَسَنِ فَإِنْ مَضَى الْحَسَنُ فَإِلَى الْحُسَيْنِ فَإِنْ مَضَى الْحُسَيْنُ فَإِلَى الأَكْبَرِ مِنْ وُلْدِي. شَهِدَ اللّه عَلَى ذَلِكَ، والْمِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ، والزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وكَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وعَنْه عَنْ أَبِيه عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ مِثْلَه ولَمْ يَذْكُرْ حُقّاً ولا سَفَطاً وقَالَ: إِلَى الأَكْبَرِ مِنْ وُلْدِي دُونَ وُلْدِكَ)[13].

الخامس: في تزويج الإمام علي عليه السلام أُمامة بنت أبي العاص بعد وفاتها:

أُمامة بنت أبي العاص بن الربيع وأمها زينب ربيبة خديجة (أو كما يقال بنت خديجة من زوج سابق)، (يحملها رسول اللّه صلى الله عليه وآله في الصلاة فإذا ركع أو سجد تركها، وإذا قام حملها، وكان يحبها حبًا شديداً)[14]، عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله أهديت له هدية فيها قلادة من جزع، فقال: لأدفعنها إلى أحب أهلي إليّ، ... فدعا النبي صلى الله عليه وآله أُمامة بنت زينب فعلقها في عنقها، وتزوجها علي بعد موت خالتها فاطمة رضي الله تعالى عنها بوصية من فاطمة [15].

الخلاصة:

عند احتضار فاطمة عليها السلام (أخذ علي رأسها وضمه إلى صدره، ثم قال: أوصيني بما شئت فإنك تجديني فيها أمضي كما أمرتني به، وأختار أمرك على أمري. فقالت: جزاك الله عني خير الجزاء يا ابن عم رسول الله، أوصيك أولًا: أن تتزوج بعدي بابنة [أختي][16] أُمامة فإنها تكون لولدي مثلي، فإن الرجال لابد لهم من النساء.

فمن أجل ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: أربع ليس لي إلى فراقها سبيل، بنت [أبي العاص] أُمامة أوصتني بها فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله.

ثم قالت: أوصيك يا ابن عم أن تتخذ لي نعشًا فقد رأيت الملائكة صوروا صورته، فقال لها: صفيه لي، فوصفته، فاتخذه لها، فأول نعش عمل على وجه الأرض ذاك، وما رأى أحد قبله ولا عمل أحد.

ثم قالت: أوصيك أن لا يشهد أحد

جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني وأخذوا حقي فإنهم عدوي وعدو رسول اللّه ﷺ ولا تترك أن يصلي عليّ أحد منهم، ولا من أتباعهم، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار.

ثم توفيت صلوات اللّه عليها وعلى بعلها وبنيها. فصاح أهل المدينة صيحة واحدة واجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخوا صرخة واحدة كادت المدينة أن تتزعزع من صراخهن وهن يقلن: يا سيدتاه! يا بنت رسول اللّه! وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى علي عليه السلام: وهو جالس والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه يبكيان، فبكى الناس لبكائهما. ... واجتمع الناس فجلسوا وهم يضجون وينتظرون أن تخرج الجنازة فيصلّون عليها، وخرج أبو ذر وقال: انصرفوا فإن ابنة رسول اللّه ﷺ قد أُخّر إخراجها في هذه العشية، فقام الناس وانصرفوا.

فلما أن هدأت العيون ومضى شطر من الليل أخرجها علي والحسن والحسين عليهم السلام وعمار والمقداد وعقيل والزبير وأبو ذر وسلمان وبريدة ونفر من بني هاشم وخواصه صلّوا عليها ودفنوها في جوف الليل وسوى علي عليه السلام حواليها قبورًا مزورة مقدار سبعة حتى لا يعرف قبرها، وقال بعضهم من الخواص: قبرها سوي مع الأرض مستويا فمسح مسحًا سواء مع الأرض حتى لا يعرف موضعه[17] ■

---

(١) منهاج الصالحين/السيد الخوئي/ج٢ص٢٠٧.

(٢)الأمالي/الشيخ المفيد/ص٢٨١ - الأمالي/ الشيخ الطوسي/ص١٠٩ - بحار الأنوار/ المجلسي/ ج٤٣ص٢١١.

(٣)دلائل الإمامة/الطبري/ص١٣٣- البحار/ ج٤٣ص٢٠٨.

(٤) البحار/ج٢٩ص١١٢.

(٥) البحار/ج٧٨ ص٢٥٠ - علل الشرايع/الشيخ الصدوق/ج١ص١٨٥.

(٦)صحيح البخاري/ج ٥ص٨٣ - صحيح مسلم/ ج٥ص١٥٤- عمدة القاريء/العيني /ج١٧ص٢٥٧.

(٧)مسند أحمد/ابن حنبل/ج٤ص٥ - صحيح مسلم:ج٧ص١٤١- سنن الترمذي/ ج٥ص٣٦٠- المستدرك/ الحاكم النيسابوري/ج٣ص١٥٩- عمدة القاريء/العيني/ ج٢٠ص٢١٢.

(٨) المستدرك/الحاكم النيسابوري/ج ٣ ص ١٥٣.

(٩) روضة المتقين/المجلسي الأول/ج٥ص٣٤٦.

(١٠) البحار/٤٣ص١٧٨.

(١١)مجمع النورين وملتقى البحرين/الشيخ أبو الحسن المرندي/ص١٥٩، نقلا عن معراج النبوة.

(١٢)دلائل الامامة/الطبري/ص١٣٠- البحار/ ج٤٣ص٢١٨ .

(١٣)الكافي/الكليني/ج٧ص٤٨ - البحار/ج٤٣ص٢٣٥.

(١٤) ينظر: السيرة الحلبية/ج٢ص٤٥٢.

(١٥) مسند أحمد بن حنبل/ج٦ص١٠١.

(١٦) بعد التحقيقات التاريخية المعمقة توصل الباحثين أن زينب لم تكن بنت النبي ﷺ وكذلك ليست بنت خديجة، بل هي بنت أختها هالة وقد ربتها خديجة في بيت رسول اللّه ﷺ فكانت بمثابة أخت لفاطمة عليها السلام وليست أختها النسبية. يراجع: موسوعة الشيخ محمد حسن آل ياسين/مج١ هامش ص١٤٩.

(١٧) البحار/ج٤٣ص١٩٢.

وقفة مع
مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله
عند دفن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

بقلم الشيخ: حيدر الشكري
باحث وخطيب

تمهيد

من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام عند دفن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام يناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله.

(السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّه عَنِّي وعَن ابْنَتِكَ النَّازِلَة فِي جِوَارِكَ والسَّرِيعَة اللَّحَاقِ بِكَ، قَلَّ يَا رَسُولَ اللَّه عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ورَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ فِي التَّأَسِّي لِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وصَدْرِي نَفْسُكَ، فَـ(إِنَّا لِلَّه وإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ)، فَلَقَد اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ وأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّه لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ، وسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ واسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، هَذَا ولَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ ولَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ، والسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ ولَا سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ، وإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّه الصَّابِرِينَ)[1].

بيان رائع لسيد البلغاء أمير المؤمنين عليه السلام في هذه المناجاة التي توجه بها مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وآله بقلب كد وعينين تطفحان بالدموع وهو يدفن بضعة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وروحه التي بين جنبيه وثمرة فؤاده وأم الحسن والحسين عليهما السلام التي فارقت الدنيا وهي في عمر الزهور.

ويستهلّ الإمام عليه السلام خطابه للنبي صلى الله عليه وآله بالسلام والتحية عنه وعن فاطمة عليها السلام ويشكو إليه مصائب ابنته وظلمها من قبل القوم معبراً عن عميق الألم واللوعة بفراقها عليها السلام.

فقال عليه السلام: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّه عَنِّي وعَن ابْنَتِكَ النَّازِلَة فِي جِوَارِكَ...)، ماذا أراد عليه السلام بأنها عليها السلام نازلة في جوار النبي صلى الله عليه وآله؟

هناك عدة أطروحات في موضوع دفن الزهراء عليها السلام:

الأطروحة الأولى: أنها دفنت بالبقيع لأنه يصدق عليه لفظة جوار النبي صلى الله عليه وآله وهذا ما ذهب إليه ابن شهر آشوب.

الأطروحة الثانية: أنها دفنت في بيتها، حيث وردت روايات عن أهل بيت العصمة عليهم السلام تدعم هذه الأطروحة، ومنها:

سئل الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن قبر فاطمة عليها السلام فقال: (دفنت في بيتها فلّما زاد بنو أمية في المسجد صارت في المسجد)[٢].

ونفس هذا المعنى ورد في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام عن البزنطي[٣].

ويقول الشيخ الصدوق: (الصحيح عندي أنها دفنت في بيتها وحين زاد بنوا أمية في المسجد أصبحت جزءاً منه [٤].

ويميل إلى هذا الرأي العلامة المجلسي.

الأطروحة الثالثة: أنها دفنت بين قبر النبي صلى الله عليه وآله ومنبره، وفي هذا المعنى وردت روايات عن إبراهيم بن محمد الهمداني أنه قال: كتبت للإمام الهادي علي بن محمد التقي عليه السلام، أخبرني عن قبر فاطمة عليها السلام، فكتب إليّ: (هي مع جدي صلوات الله عليه وآله)[٥].

روي في البحار عن المناقب قال: قال أبو جعفر الطوسي: الأصوب أنها مدفونة في دارها أو في الروضة. يؤيد قوله قول النبي صلى الله عليه وآله: (إن بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)[٦].

الأطروحة الرابعة: إن المقصود بالجوار هو اجتماعها مع أبيها النبي صلى الله عليه وآله في عالم الآخرة اجتماعاً روحياً ومعنوياً.

ولمناقشة هذه الأطروحات الأربع نقول:

أ ـ هناك من الروايات ما ينفي دفنها بالبقيع ومنها ما جاء في كتاب الثقاة لابن حبان في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام قال: (أوصى إلى أخيه الحسين عليه السلام إذا أنا متّ، فاحفر لي مع أبي وإلّا ففي بيت علي وفاطمة وإلّا ففي البقيع ...)[٧].

وهنا أراد الأفضلية في الدفن على الترتيب: أن يدفن إلى جنب جده الرسول صلى الله عليه وآله لأن الأب هنا يعني الجد. أو أن يدفن إلى جنب أمه فاطمة عليها السلام في منزلها الذي عبر عنه في (بيت علي وفاطمة)، ثم إذا لم يكن هذا ولا ذاك ففي البقيع.

ويدعم هذا ما ورد في كتاب الكافي بسنده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (لما حضرت الحسن بن علي عليه السلام الوفاة قال للحسين عليه السلام: يا أخي أوصيك بوصية فاحفظها: إذا مُتُّ فهيئني ثم وجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لأحدث به عهداً، ثم اصرفني إلى أمي عليها السلام ثم ردني فادفني بالبقيع)[٨].

ويظهر من هذه الرواية أن قبر الزهراء عليها السلام ليس في البقيع، لأنه لو كان في البقيع لقال وادفني عند قبر أمي فاطمة، لكن الوصية كانت من باب زيارة جده صلى الله عليه وآله وأمه عليها السلام ثم يدفنه بالبقيع.

ب ـ من خلال ما سبق من الروايات نستطيع القول بأنها عليها السلام دفنت في بيتها أو بين قبر النبي صلى الله عليه وآله ومنبره. ولعل عبارة أمير المؤمنين عليه السلام: (النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ) تشير إلى هذا المعنى.

جـ ـ استبعاد الأطروحة الرابعة لأن عبارة (النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ) تعني النزول

في القبر وتوسّد البدن في ملحودته. ولو كان المراد الاجتماع الروحي والمعنوي فمن الأولى أن يكون التعبير هو (الصاعدة إلى جوارك) وخاصة إنه اجتماع روحين لمعصومين.

ثم يتابع الإمام عليه السلام مناجاته لرسول الله صلى الله عليه وآله فيقول:

(والسَّريعَة اللَّحَاق بكَ)، حيث أنها عليها السلام استشهدت في عمر الورد، ولها ثمان عشرة سنة، فلم تلبث بعد أبيها مدة قصيرة اختلفت فيها الروايات، ومنها:

١- (٤٠) يوماً كما في كشف الغمة وبحار الأنوار[٩].

٢- (٧٥) يوماً وفي هذا رواية معروفة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إن فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً)[١٠].

وفي عيون المعجزات للسيد المرتضى رحمه الله: روي أن فاطمة عليها السلام توفيت عن ثمان عشرة سنة وشهرين، وأقامت بعد النبي صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً، وروي أربعين يوماً[١١].

٣- (٩٥) يوماً كما في البحار. بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قبضت فاطمة عليها السلام في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشرة منه، وكان سبب وفاتها أن قنفذ مولى عمر لكزها بنعل سيفه بأمره فأسقطت محسناً، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً، ولم تدع أحدًا ممن آذاها يدخل عليها)[١٢]، وفي سرعة لحاقها بأبيها صلى الله عليه وآله روي في البحار عن المناقب عن البخاري ومسلم والحلية ومسند أحمد بن حنبل عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وآله دعا فاطمة في شكواه الذي قبض فيها فسارّها بشيء فبكت، ثم

عاد فسارّها فضحكت، فسئلت عن ذلك، فقالت: (أخبرني النبي (ص) أنه مقبوض فبكيت، ثم أخبرني أني أول أهله لحوقاً به فضحكت)[١٣].

ثم قال عليه السلام: (قَلَّ يَا رَسُولَ اللّه عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي)، وفي هذه العبارة أشار عليها السلام إلى أمرين:

الأول: قلة صبري على فقد الزهراء عليها السلام وفي هذا بيان عظم المصيبة بفقدها.

الثاني: بيان صفاتها وطهارتها، فهي مصفاة من الله تعالى كما اصطفى سبحانه مريم عليها السلام من قبلها، فقال عزوجل: (**إِنَّ اللّه اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**)(آل عمران:٤٢)، وفي هذا المعنى ورد في الأمالي بسنده عن سعيد بن المسيب عن أبيه عباس قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين، فقال: اللهم إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليَّ فأحبب من أحبهم، وابغض من أبغضهم، ووال من والاهم، وعاد من عاداهم، واجعلهم مطهرين من كل دنس معصومين من كل ذنب وأيدهم بروح القدس منك) ثم قال: (يا علي أنت إمام أمتي وخليفتي عليها بعدي وأنت قائد المؤمنين إلى الجنة، وكأني أنظر إلى ابنتي فاطمة قد أقبلت يوم القيامة على نجيب من نور، عن يمينها سبعون ألف ملك، وبين يديها سبعون ألف ملك، وعن يسارها سبعون ألف ملك، وخلفها سبعون ألف ملك، تقود مؤمنات أمتي إلى الجنة، فأيما امرأة صلّت في اليوم والليلة خمس صلوات، وصامت شهر رمضان، وحجّت بيت الله الحرام، وزكّت مالها، وأطاعت زوجها، ووالت علياً بعدي، دخلت الجنة بشفاعة ابنتي فاطمة، وإنها لسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإنها لتقوم في محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: (يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين).

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ورَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي).

رَقّ: أي ضعف.

التجلّد: يعني الصبر وتحمل المصيبة.

وفي هذه العبارة بيان مدى الألم واللوعة في قلبه الشريف عليه السلام لعظم المصاب حتى ورد عنه عليه السلام أنه قال:

نفسي على زفراتها محبوسة
يا ليتها خرجت مع الزفرات
لا خير بعدك في الحياة وإنما
أبكي مخافة أن تطول حياتي[١٤]

ثم عرّج عليه السلام إلى مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله ليبيّن عظمة هذه المصيبة، فيقول: (إِلَّا أَنَّ فِي التَّأَسِّي لِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ...).

والتأسي هنا بمعنى التصبر أو الاغتمام وليس الاقتداء، لأن جو الكلام يملؤه الهم والحزن.

فادح: من (فدح) بمعنى المثقل وتعني هنا عظم المصيبة.

تعزّ: تعني الصبر على المصيبة ومادته (عزاء).

ويبين عليه السلام هنا أن مصيبة فراق النبي صلى الله عليه وآله أعظم، وكما صبر عليها مع كونها أشدّ، فيكون الصبر على هذه أولى.

ولا يخفى أن النبي صلى الله عليه وآله وابنته فاطمة الزهراء عليها السلام يمثلان ركني أمير المؤمنين عليه السلام كما ورد في آمالي الشيخ

الصدوق بإسناده عن حماد بن عيسى عن الصادق عن أبيه عليهما السلام قال: (قال جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام قبل موته بثلاث: سلام عليك يا أبا الريحانتين، أوصيك بريحانتي من الدنيا. فعن قليل ينهدّ ركناك، والله خليفتي عليك)، فلما قُبض رسول الله ﷺ قال عليه السلام:(هذا أحد ركنيَّ الذي قال لي رسول الله ﷺ فلما ماتت فاطمة عليها السلام قال ﷺ: (هذا الركن الثاني الذي قال رسول الله ﷺ)[١٥].

وفي هذا المعنى قال:

أرى علل الدنيا عليّ كثيرة
وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة
وإن بقائي عندكم لقليل
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد
دليل على أن لا يدوم خليل[١٦]

ويستدل من هذه العبارات لأمير المؤمنين عليه السلام أن هناك مشروعية للبكاء عند فقد الأعزّة، فالإنسان يملك في قلبه عواطف ومشاعر تتأثر بما يجري عليه بحيث يضطرب القلب عند فقدان الأحبة، ويختنق الإنسان بعبرته، فتجري دموعه، وينطلق اللسان ليعبّر عن المصيبة بفقد العزيز والشوق إليه.

ثم قال عليه السلام: (فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ).

وسدتك: من (الوسادة) وهو ما يوضع تحت الرأس، وهو كناية عن دفنه له ﷺ بيده.

ملحودة: الجانب المشقوق من القبر يوضع فيه الميت حتى لا يصله التراب حين يمتلئ به القبر.

(وفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وصَدْرِي نَفْسُكَ)، ويقول عليه السلام في موضع آخر في نهج البلاغة (ولَقَدْ قَبَضَ رَسُولُ اللّه ﷺ وإِنَّ رَأْسَه لَعَلَى صَدْرِي، ولَقَدْ سَالَتْ نَفْسُه فِي كَفِّي فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي)[١٧].

وينقل: (أن رسول الله ﷺ قبض ورأسه في حجر علي عليه السلام)[١٨].

وهنا تبين بطلان دعوى ابن خلدون وغيره بأن (رسول الله ﷺ مات ورأسه في حجر عائشة)[١٩].

ثم استرجع الإمام عليه السلام بقوله: (فإنَّا للّه وَإِنَّـا إِلَيْه رَاجِعونَ) والاسترجاع عند المصيبة هو من مصاديق الهداية، كما في قوله تعالى: (**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للّه وَإِنَّـا إِلَيْه رَاجِعونَ* أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**)(البقرة:١٥٦- ١٥٧).

ثم يواصل عليه السلام مناجاته قائلاً: (فَلَقَد اسْتُرْجِعَت الْوَدِيعَةُ وأُخِذَت الرَّهِينَةُ)

ذهب البعض في أن الأرواح كالوديعة والرهن في الأبدان وهذا مستبعد، أو أن النساء كالودائع والرهائن عند الأزواج يجب الحفاظ عليهن.

في حين أن المقصود هنا من الوديعة والرهينة هي سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، ويدعم هذا ما جاء عن النبي ﷺ على أعتاب وفاته حين أخذ بيد فاطمة عليها السلام ووضعها بيد علي عليه السلام وقال: (يا أبا الحسن هذه وديعة الله ووديعة رسوله عندك، فاحفظ الله واحفظني فيها، وإنك لفاعله)[٢٠].

وقال عليه السلام: (أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ):

سرمد: أي دائم، مسهّد: ينقضي بالسهاد بلا نوم أي الأرق، وفي هذا كناية

عن شدة الآلام والأحزان التي تحول دون النوم.

(إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللّٰه لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ)، وهذه العبارة تدل على الترابط الروحي والجسدي بينهما وأنه عليه السلام معه حتى انتقاله صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى كما كان معه في حياته.

ثم أشار عليه السلام إلى المظلومية التي جرت على الزهراء عليها السلام بعده صلى الله عليه وآله بقوله: (وسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا).

التظافر والتظاهر بمعنى واحد وهو التعاون والتناصر.

هضمها: أي ظلمها وغصبها حقها.

وفي ظلال هذه العبارة تلمح ما جرى من المظلومية على الزهراء عليها السلام بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله من اغتصاب حقها في فدك التي وهبها صلى الله عليه وآله بأمر من السماء عند نزول قوله تعالى: (**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**) (الإسراء:٢٦)، وهذا ما ذكره المفسرون ومنهم السيوطي في الدر المنثور حيث قال في تفسير هذه الآية: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا فاطمة وأعطاها فدكاً ... ولما قبض النبي انتزعها أبو بكر من فاطمة)[٢١].

وكذلك اغتصاب حق زوجها علي عليه السلام في خلافة النبي صلى الله عليه وآله والهجوم على دارها وإضرام النار بباب الدار وكسر ضلعها وإسقاط جنينها، حتى أمست عليلة إلى وفاتها. وفي خطبتي فاطمة عليها السلام في مسجد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وفي علّتها عندما جاءت إليها نساء المهاجرين والأنصار يعدنها، خير شاهد على صور الظلم والمصائب التي تعرضت لها بعد أبيها صلى الله عليه وآله حتى إنها كانت تقول عند زيارة قبر أبيها النبي صلى الله عليه وآله:

صبت عليّ مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا

ثم تركها الإمام عليه السلام تخبر أباها صلى الله عليه وآله بنفسها عما لاقت من بعده وتفاصيل ما جرى عليها عليها السلام من قبل الأمة، حيث قال عليه السلام: (فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ واسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ) والإحفاء: الإصرار في السؤال والاستخبار في مسألتها، والتماس ما جرى عليها على التفصيل.

وقد قالت الزهراء عليها السلام للشيخين عندما جاءا إليها: (ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه)[٢٢]، وواصل عليه السلام كلامه قائلاً:

(هَذَا ولَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ ولَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ)، وفي هذا أشار إلى سرعة نقض عهود القوم مع الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله ونكثهم لبيعة علي عليه السلام يوم الغدير وكذلك هضمهم للزهراء عليها السلام.

وفي هذا المعنى يقول ابن قتيبة في كيفية بيعة أمير المؤمنين عليه السلام: (تفقد أبو بكر قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي عليه السلام فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي عليه السلام فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب، وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل له: إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن. فخرجوا فبايعوا إلّا علياً فإنه زعم أنه قال: حلفت ألا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن، فوقفت فاطمة على بابها، فقالت: (لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقاً)[٢٣]، ويذكر الجوهري عن الشعبي أنه قال: لما رأت فاطمة ما صنع عمر صرخت وولولت

واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهنّ. فخرجت إلى باب حجرتها ونادت (يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله)(٢٤).

وكما بدأ أمير المؤمنين عليه السلام خطابه ومناجاته بالتحية والسلام، كذلك ختمه بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وابنته فاطمة عليها السلام حيث قال:

(والسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ ولَا سَئِمٍ).

قالٍ: أي مبغض.

سئِم: من السآمة بمعنى الضجر والملالة.

ثم بيّن عليه السلام انصرافه ووداعه لهما، وكذلك علة الإقامة فيما لو أقام عند قبريهما، فقال: (فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ، وإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهَ الصَّابِرِينَ)، وهذا يعني أن انصرافه عليه السلام لا عن ملل، وكذلك إقامته عند قبره صلى الله عليه وآله وقبر فاطمة عليها السلام ليس من باب الجزع، بل يختار المقام مع الصبر، والرضا بقضاء الله وقدره، والحصول على ثواب الصابرين، كما في قوله تعالى: **(أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)**(البقرة: ١٥٧) ■

(١) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٣٢٠.
(٢) الكافي للكليني: ٤٦١/١ باب مولد الزهراء عليها السلام ح٩.
(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام/ ٢٧٨/٢ ح٧٦.
(٤) من لا يحضره الفقيه: ٥٧٢/٢.
(٥) البحار للعلامة المجلسي: ١٩٨/٩٧ ح١٨.
(٦) البحار للمجلسي: ١٨٥/٤٣.
(٧) كتاب الثقاة لابن حبان: ٢٨٣/١.
(٨) الكافي للكليني: ٣٠/١.
(٩) كشف الغمة: ٧٧/٢ ، البحار: ٧/٤٣ ح٨.
(١٠)دلائل الإمامة لأبي جعفر الطبري: ١٣٤ح٤٣، ١٧٠/٤٣ح١١.
(١١) البحار للمجلسي:٢١٢/٤٣ح٤١.
(١٢)البحار للمجلسي:١٧٠/٤٣١نقلاً عن دلائل الإمامة.
(١٣)البحار للمجلسي:١٨١/٤٣، صحيح البخاري:٢١٠/٤٧وفضائل فاطمة لابن شاهين.
(١٤) البحار للمجلسي: ٢١١/٤٣.
(١٥) البحار للمجلسي: ١٧٣/٤٣.
(١٦) البحار للمجلسي: ٢١٢/٤٣.
(١٧) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٣١١.
(١٨) الطبقات الكبرى لابن سعد:٣٦٣/٢، مسند أحمد:٣٥٦/١، الرياض النضرة في فضائل العشرة المبشرة للطبري:١٨٠/٢، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر:٣٩٣/٤٢، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي:١٦٣/٢، صحيح البخاري:١٨٦/٣، صحيح مسلم:٥ /٧٥ وغيرها من عشرات المصادر.
(١٩) تاريخ ابن خلدون: ٤٦٦/٢.
(٢٠) البحار للمجلسي:٤٨٤/٢٢ح٣١.
(٢١) الدر المنثور للسيوطي:١٧٧/٤.
(٢٢)الإمامة والسياسة/ابن قتيبة الدينوري/ج١ص٢٠.
(٢٣) ن.م/ص١٢.
(٢٤) السقيفة للجوهري: ٧٢.

فاطمة الزهراء عليها السلام في شعر العصر العباسي

د. شيرين سالم
جامعة فردوسي/مشهد/إيران

ينابيع لسنا بصدد التعريف بمقام ومنزلة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وابنة سيد المرسلين وزوج أمير المؤمنين وأم السبطين الحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين، فهي غنية عن التعريف، ولها منزلة في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله لا تضاهيها منزلة، فهي سر الأسرار وهي حبيبته وروحه التي بين جنبيه. وهي الأسوة والقدوة لنساء العالمين، فهي سيدتهن على الإطلاق.

والشعر الذي نظم حَولَ فاطمة الزهراء كثيرٌ، وفي كلِّ العصور، ابتداءً من صدر الإسلام والعصر الأموي ثم العباسي حتى العصر الحاضر.

لقد برز في العصر العباسي عدد من كبار الشعراء الموالين لأهل البيت عليهم السلام كدعبل الخزاعي، وديك الجن، والسيد الحميري، ومهيار الديلمي، والعبدي الكوفي، والشريف الرضي.. وغيرهم.

ولضيق المقام سنسلط الضوء حول ما قيل من أشعار بحق سيدة النساء عليها السلام لثلاثة من شعراء العصر العباسي، وهم: الشريف الرضي، السيد الحميري، ومهيار الديلمي.

اسم فاطمة:

جاء في المعجم الوسيط (فطم العدد أو الحبل فطماً: قطعه، ويقال: فطمَ فلاناً عن عادته: قطعه عنها، والمرضعُ الرّضيعَ: قطعت عنه الرّضاعة فهي فاطمٌ وفاطمة)[1]، وهكذا أصبح اسماً تسُمّى به البنات. وقد اشتهر هذا الاسم لبضعة النبي المصطفى الهادي صلى الله عليه وآله.

كما ولها أسماءٌ أخر مثل: الصديقة، الطاهرة، الطيبة، المباركة، الزكيّة، المحدثة، البتول، العذراء، و... ومن أسمائها المشهورة، الزهراء، (لقد سُميّت فاطمة عليها السلام بالزهراء لأنّها كانَت تتمتّعُ بوجهٍ مشرقٍ مستنيرٍ زاهر)[2]. ولكنّ الاسم الذّي اشتهرت به هو فاطمة. ولا ننسى أنّ هذه الصيغة على وزن الفاعل

بمعنى المفعول، أي: المقطوع.

عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (إنما سميت فاطمة فاطمة لأنها فطمت هي وشيعتها وذريتها من النار)[٣].

(لسيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام أسماء غير التي مرّت عليك وكلّ اسم يدلّ على فضيلة، ومزيّة امتازت بها السيدة الزهراء، منها: البتول و....)[٤]، ويذكر لكلٍّ اسم دلالته، على سبيل المثال في باب تسميتها بالحانية، يقول:(الحانية من الحنان بسبب كثرة حنانها على أولادها و ....) [٥].

العصر العباسي وميزات الشعر الشيعي و الفاطمي فيه:

العصر العباسي عصر ازدهار الأدب العربي وخاصةً الشعر في أهل البيت عليهم السلام. وبدأ هذا الشعر نشاطه قبل هذا العصر، أي في العصر الأموي وصدر الإسلام. فنرى الشعراء الذين أنشدوا حول فاطمة الزهراء عليها السلام هم في الواقع أجادوا في الشعر عموماً في هذا العصر. وكانت أشعارهم مختلفة باختلاف موضوعاتها، فنلاحظ أنّ شعراء هذا العصر أشاروا الى جوانب مختلفة من حياتها عليها السلام في شعرهم بأساليب مختلفة، منهم من جاء بالوصف والمديح، أو الرثاء و... وأكثرهم أدخلوا وصفها، أو رثاءها في بطن الأشعار التي أنشدوها حول أهل البيت عليهم السلام، وبعض منهم اكتفى بذكر اسمها في شعره، وبعض آخر اختصّ شعره كلّه حولها..

ونظراً للانفتاح الذي حصل في هذا العصر على الأمم والشعوب مما جعل (من ميزات الدولة العباسيّة، تعدّد الفرق، وشيوع المقالات المختلفة في الإلحاد والسياسة وتكاثر الجواري والغلمان، والاسترسال في الخلاعة والمجون، والتأنّق في الطعام واللباس، والتنافس في البناء والرياش، وفي محل ذلك أثر بيّنٌ في اللغة وآدابها)[٦]، فكان للشيعة دورهم المميز في إظهار عقيدتهم وحبهم لأهل البيت عليهم السلام ومنهم الشعراء والأدباء، وقد تناولوا في أشعارهم مختلف الأغراض رغم ما يحيطهم من مخاطر من قبل السلطات الحاكمة.

وهكذا دخلت في الأدب العربي فنون وأغراض ومعانٍ لم يألفها من قبل، وكان أدب الشيعة في العصر العباسي أعمق أثراً وأكثر نتاجاً، وأحرّ عاطفة، وأشدّ تغلغلاً في الحياة الشيعية والقضية الشيعية، عنه في العصر الأموي؛ إذ كان ظلم العباسيين للعلويين أبلغ في النفس، وأوقع على القلب من ظلم الأمويين للعلويين. وطوال التاريخ نجد أنّ الحكام العباسيّين والأمويين مارسوا أبشع الوسائل والأساليب في مطاردة الأئمة عليهم السلام وشيعتهم، كالقتل، والتشريد، والتهجير، والتجويع، والسجن و... . وهذه المشاهد الفجيعة دفعت أتباعهم إلى رثائهم وتصوير شهادتهم، ما أدى إلى دخول هذه الروح الباكية الموجعة في الشعر الشيعي. وأصبح هذا النوع من الشعر وسيلة لنشر ظلامتهم عليهم السلام ونقلها إلى الأجيال اللاحقة.

شعراء نظموا في فاطمة الزهراء عليها السلام:

الشريف الرضيّ

وُلدَ أبو الحسن محمّد بن الطاهر

الشريف الرضي في بغداد سنة ٣٥٩هـ، الموافق ٩٧٠م وينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام وتُوفّيَ في ١ محرم سنة ٤٠٦ هـ الموافق سنة ١٠١٥م، له مؤلفات كثيرة منها: الرسائل، نهج البلاغة، تلخيص البيان في مجازات القرآن، المجازات النبويّة، حقائق التأويل في متشابه التنزيل.

يكاد شعر الشريف الرضي أن يكون من أجود ما كتب في رثاء أهل البيت عليهم السلام ونجد في ديوانه قصائد كثيرة تجعله في المرتبة الأولى بين الشعراء في هذا المضمار، ولأنّ هذا العصر بطبيعته كان من أغنى العصور من حيث الشعر وخاصة شعر الرثاء الذي أظهر الشريف براعته فيه وصبغها بصبغة الألم والمرارة وبالأخص فيما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام[٧]، وقد أنشد هذا الشاعر في موضوعات ومضامين مختلفة، كالرثاء، والمدح و... ولكن يبدو أنّه لم يذكر في رثائه ومدحه شيئاً حول فاطمة الزهراء عليها السلام، ولكن في فخرياته التي تغنى بها بمكارم الأخلاق والفروسية توجد أبيات متفرقة حول فاطمة الزهراء عليها السلام. وبدأ ينشد هذا النوع من الشعر في طفولته، حين كان في العاشرة من عمره، وكان أبوه قابعاً في السجن.

في هذا النوع من الشعر يفتخر الشريف بجديه النبي محمّد صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام وبجدتّه فاطمة الزهراء عليها السلام، ويقول:

قومي هم النّاس لا جيلٌ سواسيةٌ
الجـودُ عندهـم عـارٌ إذا سُئلُـــوا
أبي الوصـي وأمـي خـير والـــدة
بنت الرسول الذّي ما بعدُه رسُلُ

وفي قصيدة أخرى يقول:

يفاخرُنا قومٌ بمن لم يلدْهُم
بتيم إذا عُدَّ السوابق أو عدي

وهكذا يسترسلُ في قصيدته حتى يقول:

أخذنا عليهم بالنبي وفاطم
طلاع المساعي من مقّام ومقعد[٨]

كما يبدو من دراسة شعره الّذي مضى أنّه لم يختصَّ مبحثاً كاملاً بمدحها، أو رثائها؛ بل إن قال بيتاً أو أبياتاً أورده داخل أبياته الأخرى في مدحه ورثائه، وفخره بأهل البيت عليهم السلام.

السيّد الحميري

هو إسماعيل بن محمد حفيد يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، ولدَ في البصرة سنة ١٠٥ للهجرة وتوفي سنة ١٧٣ للهجرة. روى أبو الفرج في (الأغاني ٧ ص ٢٣٠) بإسناده عن سليمان بن أبي شيخ: إن أبويّ السيد كانا إباضيين، وكان منزلهما بالبصرة، وكان السيد يقول: طالما سب أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغرفة، فإذا سئل عن التشيع عن أين وقع له؟ قال: غاصت عليّ الرحمة غوصًا، وروي عن السيد: أن أبويه لمّا علما بمذهبه هما بقتله، فأتى عقبة بن مسلم الهنائي فأخبره بذلك فأجاره وبوأه منزلًا وهبه له، فكان فيه حتى ماتا فورثهما.

أشار هذا الشاعر مثل بقية الشعراء إلى موضوعات مختلفة حول سيدتنا الزهراء عليها السلام: مثل نشأتها، زواجها، شهادتها و...

فقد أنشد هذا الشاعر حول زواج فاطمة الزهراء عليها السلام مصوراً هذا الحدث تصويراً رمزيّاً سماويّاً تشترك فيه الملائكة (مثل جبرئيل و ...)، وهم يدعون

للعروسين بدعاءِ الخيرِ ونساء الحور حولهما في سرورٍ وفرحٍ دائمين إلى يوم القيامة، فيقول:

نصب الجليل لجبرئيل منبرًا
في ظل طوبى من متون زبرجد
شهد الملائكة الكرام وربهم
وكفى بهم وبربهم من شهد
وتناثرت طوبى عليهم لؤلؤا
وزمردا متتابعا لم يعقد
وملاك فاطمة الذي ما مثله
في متهم شرف ولا في منجد

وقال أيضًا:

والله زوجّه الزكيّة فاطـماً
في ظلِّ طوبى مشهداً محضورا
كان الملائك ثمَّ في عدد الحصى
جبريلُ يخطبهم بها مســـرورا
يدعو له ولها وكانَ دعاؤه
لهما بخير دائمًا مذكـــورا
حتّى إذا فرغ الخطيب تَتابعت
طوبى تسُاقطُ لؤلؤاً منثورا
وتهيلُ ياقوتاً عليهم مرّةً
وتهيـل درّاً تارة وشـذورا

فترى نساء الحور ينتهبونه
حوراً بـذلك يهتدين الحـورا
فإلى القيامة بينهنَّ هديّةٌ
ذلك النثّار عشيّةً وبكـورا[9]

وفي البيت التالي يَنتقل الشاعر إلى زمن موتها، ويحكى عن لسان أبيها ﷺ، ويقول إنّها أول من تلحق به من أهل بيته عليهم السلام، ويُوصّي عليًا ألا يبكي بعدها كثيراً:

أنّهَا أسرع أهلي ميتةً
ولحاقاً بي فلا تكثر جزع[10]

أما فيما يخص وصيتها عليها السلام، فقد أنشد السيد الحميري:

وفاطم قد أوصت بأن لا يُصَليّا
عليها وأن لا يدنُوا من رجا القبر
عليّاً ومقداداً وأن يخرجوا بها
رُويداً بليل في سكون وفي سر

وفي الأشعار التالية هجا الشاعر الغاصبين فدكا في صورة منطقيّة، وأشار إلى سيرة الغاصبين وسلوكياتهم ونكرانهم فضل محمد ﷺ وتضحياته، بقوله:

قُل لابن عَبّاس سَميّ محمد
لَا تُعْطَينّ بني عَديّ درهَما
إحْرِمْ بني تَيْم بن مُرّةَ إنهم
شرُّ البريّة آخراً ومُقَدَّما
إن تُعْطِهِمْ لا يشكروا لك نعمةً
ويكافئوك بأن تُذَمّ وتُشْتما
وإن ائتمنتهمُ أو استعملتَهم
خانوك واتّخذوا خَراجك مَغْنما
ولئن منعتَهمُ لقد بدأوكمُ
بالمَنْع إذ ملكوا وكانوا أظلما
منعوا تُراثَ محمد أعمامَه
وابنَيْهِ وابنتَه عَديلةَ مَرْيما
وتآمَروا من غير أن يُسْتَخْلَفوا
وكفى بما فعلوا هنالك مَأْثَما
لم يشكروا لمحمد إنعامَه
أفيشكرون لغيره إن أنْعما
والله منّ عليهمُ بمحمد
وهداهمُ وَكَسا الجُنوبَ وأطْعما
ثم انبَروْا لوصيِّه ووليّه
بالمُنْكَرات فجرَّعوه العَلْقَما[11]

مهيار الديلميّ:

أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي البغدادي نزيل درب رياح بالكرخ هو أرفع راية للأدب العربي منشورة بين المشرق والمغرب، وأنفس كنز من كنوز الفضيلة، وفي الرعيل الأول من ناشري لغة الضاد، وموطدي أسسها، ورافعي علاليها، ويده الواجبة على اللغة الكريمة ومن يمت بها وينتمي إليها لا تزال مذكورة مشكورة يشكرها الشعر والأدب، تشكرها الفضيلة والحسب، تشكرها العروبة والعرب، وأكبر برهنة على هذه كلها ديوانه الضخم الفخم في أجزائه الأربعة الطافح بأفانين الشعر وفنونه وضروب التصوير وأنواعه، فهو يكاد في قريضه يلمسك حقيقة راهنة مما ينضده، ويذر المعنى المنظوم كأنه تجاه حاستك الباصرة، ولا يأتي إلا بكل أسلوب رصين، أو رأي صحيف، أو وصف بديع، أو قصد مبتكر، فكان مقدما على أهل عصره مع كثرة فحولة الأدب فيه... أسلم على يد سيدنا الشريف الرضي سنة ٣٩٤ هـ، وتخرج عليه في الأدب والشعر وعلى أئمة العربية من بيت النبوة وعاصرهم وآثر ولاءهم واقتص أثرهم كالعلمين الشريفين: المرتضى والرضي وشيخهما شيخ الأمة جمعاء (المفيد) ونظرائهم... وتوفي ليلة الأحد لخمس خلون من جمادى الثانية

سنة ٤٢٨هـ(١٢).

كانَ من الشعراء الذّين أنشدوا الشعر دون محاباة وبشجاعة، له ديوان شعر كبير ضمّنَ فيه قصائده الجميلة، وقد أوقف حياته في إحقاق حقوق أهل البيت عليهم السلام وبيان فضلهم في أيام لم يستطع الشيعة أن يُسمّوا أبناءهم باسمَ عليّ(١٣).

وكما يبدو فإنَّ هذا الشاعر الشيعي أيضاً قد ذكر فاطمة عليها السلام في شعره ضمن قصائده التي مدح أهل البيت عليهم السلام، أو رثاهم فيها، ولهذا نرى أنّ اسم فاطمة ورد في شعره بالأشكال التالية:

في شعره التالي يُهدّد مَن اختصمَ مع فاطمة عليها السلام، ولم ذكر عقوبته لبيان عظمتها، ولأنَّه يعلم ما بانتظار ذلك الشخص:

سيعلم مَن فاطمٌ خصمهُ
بأيِّ نكالٍ غداً يرتدي(١٤)

ويقول أيضًا:

يبكي النبيُّ ويستنيح لفاطم
بالطفِّ في أبنائها أيامها(١٥)

وهكذا يُشير إلى فدك ويقول:

أهوى عليّاً أمير المؤمنين ولا
أرضى بشتم أبي بكرٍ ولا عُمرا
ولا أقول وإن لم يُعطَيا فدكا
بنت النبيّ ولا ميراثها كفرا(١٦)

ونراه في مكان غير هذا وصفها بأنّها بنت خير البشر واللّه ارتضاها وارتضى بعلها للخلق، وفي الواقع يفتخر بها، وببعلها، وأبيها، وأهلها. فيقول:

يا ابنة المُختار من كل الأذى روحي فداك
يا ابنة المختار إنَّ اللّه بالفضل
اجتباك
وارتضى بعلك للخلق جميعاً وارتضاك
وعلى الأمّة جمعاً فضل الله أباك(١٧)■

(١)المعجم الوسيط/إبراهيم أنيس وآخرون.
(٢) فاطمة من المهد إلى اللحد/القزويني: ٢١.
(٣) دلائل الإمامة/ابن جرير الطبري/ص١٤٨.
(٤) قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء/ الزركلي، مادة فاطمة.
(٥) ن.م.
(٦)تاريخ الأدب العربي/أحمد حسن الزيّات/ص ١٩.
(٧) الشريف الرضي/حياته وشعره/نور الدين حسن جعفر. ص ٩١ و٩٤.
(٨)شرح نهج البلاغة/ابن ابي الحديد/ج٦ص٥٤.
(٩) المناقب/ابن شهراشوب/ج٢ص١٢٦.
(١٠)المناقب/ابن شهراشوب/ج٢ص٦٤.
(١١)الأغاني/لأبي فرج الاصفهاني/ج٧ص١٧٨.
(١٢)ينظر: موسوعة الغدير/الشيخ الأميني/ ج٤ص٢٣٨.
(١٣)تاريخ الأدب العربي/شوقي ضيف، ج٢، ص ٢١٢-٢١٩.
(١٤)المناقب/ابن شهراشوب/ج٣ص٤٩٨.
(١٥)موسوعة الغدير/ج٤ص٢١٢.
(١٦)شرح النهج/ابن ابي الحديد/ج١٦ص٢٣٢.
(١٧)المناقب/ابن شهراشوب/ج٣ص١٠٥.

قل... ولا... تقل

قل: اشتقت إليك.. ولا تقل: اشتقت لك.
لأن الفعل اشتاق يتعدى بـ (إلى) لا بـ (اللام).

قل: إحدى الشركات.. ولا تقل: أحد الشركات.
لأن العدد واحد يطابق المعدود في التذكير والتأنيث.

قل: محسّات.. ولا تقل: محسوسات.
لأن الفعل أحس رباعي.

تم

البنية العسكرية في الدولة عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

الباحث: نصير علي موسى
كلية الشيخ الطوسي الجامعة

ينابيع

حينما بويع الإمام علي عليه السلام خليفة للمسلمين بدأ أعداء الإسلام يعدّون العدة لمواجهة دولة الإمام ومحاربتها. فقد أخذ أعداء الإمام في داخل الدولة وخارجها يؤلّبون الناس عليه ويحرضونهم على قتاله، متخذين من قميص عثمان شعارًا كاذبًا وحجّةً آثمة لشن الحرب على دولة الإمام العادلة.

ومن البديهي أنّ يكون عماد كل دولة هو جيشها الذي تذود به عن أرضها وشعبها ومقدساتها، ولم يكن ذلك ليخفى على جندي الإسلام الأول وقائد جيش الرسول صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام؛ لذا شرع الإمام بتنظيم جيشه والاعتماد على خيرة الأصحاب المشهود لهم بالورع والتقوى، أمثال: مالك الاشتر، وعمار بن ياسر، وحجر بن عدي، وسليمان بن صرد الخزاعي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعدي بن حاتم، وصعصعة وأخيه زيد ابنا صوحان العبدي، وأويس القرني، وغيرهم من أشراف الأصحاب وساداتهم، وأسند إليهم مهام قيادة الجيش.

وكان لنقل الإمام عاصمة الخلافة من المدينة إلى الكوفة الأثر الكبير في التصدي لجرائم معاوية، حيث إنّ هذا الأخير رفض الامتثال لأوامر الخليفة الشرعي وشقّ عصى المسلمين، فكان لابدّ للإمام من مواجهة هذا الباغي الخارج عن القانون، لذا قام الإمام بنقل عاصمة الخلافة إلى الكوفة بسبب قربها المكاني من الشام ونظرًا لموقعها الاستراتيجي.

سنحاول هنا بيان بعض الجوانب التي تخصّ الفكر العسكري عند الإمام علي عليه السلام وكذلك ما يتعلق بأخلاقيات الحرب عند الإمام علي عليه السلام، وسنشير إلى بعض الأمور الهامة التي أوصى بها الإمام عليه السلام لكسب الحرب.

أخلاق الحرب عند الإمام علي عليه السلام:

شهد عصرنا الحاضر والعصور السابقة حروبًا مدمِّرة، أُزهقت بسببها ملايين الأنفس، ودمِّرت مدنًا ودولًا بالكامل، فكانت بحق حروبًا قذرة مجردة من القيم والأخلاق.

نسلط الضوء هنا على بعض القيم والأخلاقيات التي اتسمت بها حروب الإمام علي عليه السلام وأوصى بها جميع القادة العسكريين، بل وأفراد جيشه أيضًا:

١ ـ هداية الناس هي الهدف الأسمى:

قال عليه السلام: (فَوَاللّه، مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إلّا وأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بي طَائفَةٌ، فَتَهْتَدِيَ بي وتَعْشُوَ إلَى ضَوْئي، وذَلكَ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ

بآثَامِهَا)[1].

يشير الإمام في هذا النص المبارك إلى أنّ هدفه الأسمى الذي يسعى إليه هو إنقاذ الإنسان وهدايته لا قتله، فكثير من الجيوش التي تساق إلى المعارك هي جيوش ضالة لا تعرف الحقيقة، وربّما لو عرفت الحق لاتّبعته.

٢ ـ مكان القائد في جيشه:

قال عليه السلام: في جملة ما أوصى به معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام: (فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطًا، وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ، وَلَا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ)[2].

ففي هذا النص الشريف يعيّن الإمام عليه السلام مكان وقوف القائد في المعركة، بحيث لا يقترب من العدو كثيرًا اقتراب من يريد بدء الحرب، ولا يبتعد ابتعاد من يخاف العدو ويهابه.

٣ ـ عدم البدء بالقتال:

وقال عليه السلام مخاطباً جنده قبل لقاء العدو في صفّين: (لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ)[3].

يذكر المؤرخون أنّ أمير المؤمنين عليه السلام عندما خرج لمحاربة معاوية في صفّين، وكان جند معاوية قد غلبوا جند الإمام إلى شريعة الفرات؛ بغية منع الماء عنهم حتى يموتوا عطشًا، رفض الإمام أن يعامل العدو بالمثل بعدما أزاحه عن الفرات، مع قدرته على ذلك.

وهكذا كان الإمام في كل معاركه على أعلى درجة من النبل والكمال الإنساني؛ لأنّه كان واثقًا من نفسه أنّه على الحق ويقاتل من أجله، ولذلك كان يتقدّم نحو خصمه بقَدم ثابتة وبرباطة جأش، لا يأبه معها بالجيوش التي تريد النيل منه، والتي لا تجد حرجًا في منع الماء عنه وعن جنده، وتتّبع سياسة الغدر والخداع،

وتستفيد من الممارسات الدنيئة كملاحقة الأسرى والمدنيين والمدبرين من المعركة وإيذاء الجرحى.

وكانت الجيوش تلجأ إلى مثل تلك الأمور عند الإحساس بالهزيمة، أو بقصد إدخال الرعب والقلق النفسي في قلوب المقاتلين للسيطرة على أرض المعركة عند بدئها.

٤ ـ عدم قتل المدبر، والإجهاز على الجريح:

قال عليه السلام: (فَإِذَا كَانَت الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللّه فَلا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا، ولا تُصِيبُوا مُعْوَرًا، ولا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيح)[٤].

ولم تقف جرائم الأعداء عند الاعتداء على المجروحين والأسرى فحسب، بل تعدّت جرائمهم حتى شملت النساء والأطفال والشيوخ، مع أنّ النساء والأطفال والشيوخ لا حول لهم ولا قوة، ومن الدناءة بمكان الاعتداء على الضعيف، وليس هذا من خُلق المقاتل والفارس بغض النظر عن دينه ومعتقده، فكيف بمن كان يدّعي الإسلام!! كيف يجيز لنفسه ترويع وقتل النساء والأطفال.. وجرائم عاشوراء ضد النساء والأطفال تطفح بها كتب التاريخ والسير.

٥ ـ عدم التعرّض للنساء:

أشار الإمام عليه السلام إلى هذا الأمر في الوصية الرابعة عشرة، حيث قال: (ولا تَهيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى وإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ؛ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى والأَنْفُس والْعُقُول، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ وإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّة بِالْفَهْرِ أَو الْهِرَاوَة، فَيُعَيَّرُ بِهَا وعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِه)[٥].

يحذّر الإمام عليه السلام ـ في هذا النص المبارك ـ جنده وأتباعه من المساس بالنساء تحت أية حجة وذريعة كانت، حيث يوصي جنده ويذكّرهم بأنهنّ (ضعيفات)، ويذكّرهم عليه السلام أيضًا بأنّ عدم التعرض للنساء كان من أخلاق الجاهلية، فكيف اليوم والناس مسلمون! حيث كان ذلك يعدّ سُبّةً ومنقصةً وعارًا لمن يعتدي على المرأة في الجاهلية، بل يبقى ذلك العار يلاحقه أبناءه وأحفاده.

وصايا مهمة من الإمام عليه السلام لكسب الحرب:

١ ـ انتخاب المقاتلين:

لانتخاب المقاتل والقائد أثر عظيم في إدارة شؤون الحرب، فالمقاتل الشجاع المقدام له تأثير على من حوله من الجند، وبالتالي التأثير على سير المعركة، ولبيان ذلك نذكر هنا قول الشهيد عمار بن ياسر وعقيدته القتالية في معركة صفين حيث يقول: (والله لو هزمنا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل)[٦]، فهذه العقيدة الراسخة والإيمان الثابت والبصيرة الثاقبة ترفع من المعنوية القتالية لدى الجند وتحفزّهم، بعكس المقاتل المتخاذل الذي يقدّم رجلًا ويؤخر أخرى.

ففي عهده عليه السلام لمالك الأشتر يقول: (فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلّه ولِرَسُولِه ولإِمَامِكَ وأَنْقَاهُمْ جَيْباً وأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ ويَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ ويَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ ويَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ ومِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ ولَا يَقْعُدُ بِه الضَّعْفُ ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ والأَحْسَابِ وأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ والسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ والشَّجَاعَةِ والسَّخَاءِ والسَّمَاحَة)[٧].

٢ـ المشاركة الميدانية مع الجيش:

إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام وفي كل حروبه وغزواته كان مع جيشه، يشاركهم في كل شيء، ويتفقد عسكره، ويدلي بوصاياه في كبير الأمور وصغيرها، وهو معهم يتفقدهم ويواسيهم، بل كان أكثرهم عناءً، وهمًّا، وتضحيةً، وقد وصفه صعصعة بن صوحان بالتالي: (كان فينا كأحدنا)[٨]، وقد كان هكذا في كل أموره صلوات الله عليه.

الأسرار العسكرية:

قال عليه السلام: (أَلَا وإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرّاً إِلَّا فِي حَرْبٍ)[٩]، يبين الإمام صلوات الله عليه في هذه الجملة المختصرة أنّه لا يحجب شيئًا عن جنده ومقاتليه، إلا ما كان من الأسرار العسكرية، والتي من شأنها تغيير سير المعركة فيما لو عُرف أمرها. وكتمان مثل هذه الأسرار العسكرية فيه مصالح كبيرة وكثيرة، أولها الحفاظ على حياة الجند، وثانيها ضمان كسب المعركة، وثالثها عدم وصول الخطط والاستراتيجيات الهامة إلى العدو، حيث لا يستبعد أن يكون بعض المندسين من هم في جيش الإمام عليه السلام.

وصايا ثابتة:

من جملة ما أمر به الإمام عليه السلام جيشه هو:

حملة الراية:

يوصي الإمام بأن يكون حملة الرايات في الحرب من الشجعان الأكفاء، المعروفون ببسالتهم ونجدتهم، لأنّ الراية رمز الجيش وعنوانه، وهي من الأزل وإلى اليوم تمثل عزّ الدولة وشرفها، لذا يوصي الإمام عليه السلام بأن يتولّاها الكماة الذين يحيطونها ويحمونها بأنفسهم، يقول عليه السلام: (وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُخِلُّوهَا، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَالْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَهَا حِفَافَيْهَا، وَوَرَاءَهَا، وَأَمَامَهَا، لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا) عليه السلام.

المقاتل المتدرّع:

(فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ، وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ)[١١] فالمقاتل المتدّرع أثبت في القتال، وأكثر هيبة في عيون العدو. وكذلك لعدم إعطاء العدو فرصة لإيقاع الخسائر في صفوف المسلمين، حيث أنّه من المسلّم أنّ المقاتل المتدرّع يقي نفسه عند النزال بعكس المقاتل الحاسر.

التناصر والتعاون:

يحث الإمام عليه السلام على أن ينصر القوي الضعيف ويؤازره، ويذّكر المقاتل الشجاع بأن ذلك فضلٌ من الله سبحانه قد أنعم به عليه، فلا يدع نصرة أخيه الضعيف لكي يظهر نفسه ويتعالى على غيره، فالقصد والغاية التي جاؤوا لأجلها هي الجهاد ونشر دين الله، وليس التباهي والغرور، يقول عليه السلام: (وَأَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً، فَلْيَذْبُبْ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ)[١٢].

الاستعداد للمعركة:

هناك أمور هامة تسبق المعركة، ويجب على القائد الحذق مراعاتها، حيث إنّها من جملة الأمور التي تؤدّي إلى كسب المعركة

إذا ما رُوعيت بالشكل الصحيح، أو على الأقل إن لم يُكتب النصر، فلا أقلّ من تقليل الخسائر في صفوف الجيش.

وهنا سنذكر بعضها باختصار شديد، من جملة تلك الأمور:

أولًا: الاستطلاع.

ومعناه كسب المعرفة التامة بحال العدو، وعسكره، وعدده، وعدّته، ونوع أسلحته، وقيادته، وكل المعلومات العسكرية الهامة، وبالتالي يكون القائد على دراية تامّة بعدوّه، وهذا ما يُعتمد إلى اليوم في الحروب والمعارك، حيث يجري الاستطلاع وجمع المعلومات الكاملة قبل الدخول في أيّة حرب. ولقد استخدم الإمام عليه السلام أربعة طرق في ذلك من خلال:

الأفراد القريبين من العدو.

أمراء الولايات والمدن.

نشر العيون.

ثانيًا: اختيار الموقع العسكري:

(فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً وَدُونَكُمْ مَرَدًّا وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ وَمَنَاكِبِ الْهِضَابِ)[١٣].

نلحظ في هذا النص الشريف من كلام الإمام عليه السلام النظر الثاقب له وكيف يولي الموقع العسكري أهمية بالغة، بل ويعيّن وبدقّة مختلف الحالات، فإن كان الموقع جبليًا، أو قرب الأنهار، أو في الهضبات، حيث نلاحظ عبارات (الأشراف)، (سفاح)، (صياصي الجبال)، (مناكب الهضاب).

ثالثًا: الحيطة والحذر:

(وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ - وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً - وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً - وَإِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً - وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً)[١٤].

كم من جيش أُخذ على حين غرّة، وكم من سرايا تم الفتك بها لغفلتها؛ لذا نجد الإمام عليه السلام يوصي جيشه بأن يكون (العيون) و(الطلائع) في المقدّمة، لاستطلاع الأمور واستكشاف الطريق. ويحذّرهم من التفرّق حين الحل والترحال. وإذا جنّ عليهم الليل يوصيهم بأن يجعلوا رماحهم (كفّة)، أي بمثابة السور الحامي للجيش، ومع هذا كله يجب أن يكون نومهم في الليل (غرارًا)، أي قليلًا جدًا، لكي لا يُؤخذوا على حين غرّة.

ختامًا، بات واضحًا من خلال ما مر أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سعى إلى وضع أسس ودعائم الدولة القوية بجيشها ومقاتليها، المستقرة بعدلها وإنصافها، التي تقوم على احترام حقوق الإنسان واحترام إنسانية الإنسان، وقد سعى الإمام عليه السلام سعيًا حثيثًا في سبيل تحقيق ذلك، الأمر الذي كلّفه حياته الشريفة.■

---

(١) نهج البلاغة ، الخطبة : ٥٥.
(٢) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٣٧٢.
(٣) ن.م/ص٣٧٣.
(٤) ن.م.
(٥) ن.م.
(٦) الاختصاص/الشيخ المفيد/ص١٤.
(٧) نهج البلاغة: ص٤٣٣.
(٨) نهج البلاغة/ج١ص٢٥.
(٩) نهج البلاغة: ص٤٢٤.
(١٠) ن.م/ص١٨٠.
(١١) ن.م.
(١٢) ن.م.

المفيد مع القاضي عبد الجبار

بينما القاضي عبد الجبار ذات يوم في مجلسه في بغداد ومجلسه مملوء من علماء الفريقين، إذ حضر الشيخ وجلس في صف النعال. ثم قال للقاضي: إن لي سؤالا، فإن أجزت بحضور هؤلاء الأئمة؟ فقال له القاضي: سل، فقال: ما تقول في هذا الخبر الذي ترويه طائفة من الشيعة «من كنت مولاه فعلي مولاه»؟ أهو مسلَّم صحيح عن النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير؟ فقال: نعم خبر صحيح، فقال الشيخ: ما المراد من لفظ «المولى» في الخبر؟ فقال: هو بمعنى «أولى» فقال الشيخ: فما هذا الخلاف والخصومة بين الشيعة والسنة؟ فقال الشيخ: أيها الأخ، هذه رواية وخلافة أبي بكر دراية، والعادل لا يعادل الرواية بالدراية.

فقال الشيخ: ما تقول في قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «حربك حربي وسلمك سلمي»؟ قال القاضي: الحديث صحيح، فقال: ما تقول في أصحاب الجمل؟ فقال القاضي: أيها الأخ، إنهم تابوا، فقال الشيخ: أيها القاضي، الحرب دراية والتوبة رواية! وأنت قررت في حديث الغدير أن الرواية لا تعارض الدراية. فبهت الشيخ القاضي ولم يحر جوابا، ووضع رأسه ساعة، ثم رفع رأسه وقال: من أنت؟ فقال: خادمك محمد بن محمد بن النعمان الحارثي، فقام القاضي من مقامه وأخذ بيد الشيخ وأجلسه في مسنده، وقال: أنت المفيد حقا! فتغيرت وجوه علماء المجلس. فلما أبصر القاضي ذلك منهم قال: أيها الفضلاء، إن هذا الرجل ألزمني وأنا عجزت عن جوابه، فإن كان أحد منكم عنده جواب عما ذكر فليذكر، ليقوم الرجل ويرجع مكانه.

(مواقف الشيعة/ الأحمدي الميانجي/ ج١ص٥٠، نقلاً عن: الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٢٥. وروضات الجنات: ج ٦ ص ١٦٩)

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س شخص من أب شيعي وأم مخالفة تعلّم العبادات من أمّه وعمل على أساسها مدة طويلة فكان يغتسل من الجنابة بدون نية ويتوضأ ويصلي على طريقة العامة جهلاً قصورياً ـ بحسب تعبيره ـ ويصرح بأنهم إمامية، لكن الآن يسأل: ما حكم الصلاة والوضوء لما جاء أعلاه من غسل الصلاة ووضوؤه على مذهب السنة، كوننا رجعنا إلى مذهبنا الأصلي التشيع؟

ج **إذا كان الشخص المذكور مؤمناً بإمامة أهل البيت عليهم السلام حين أعماله، فعليه القضاء إذا كان الخلل في الطهارة ونحوها مما يبطل الصلاة ولو مع الخطأ والجهل.**
وأما إذا كان حين العمل غير مؤمن بإمامة الأئمة عليهم السلام فلا قضاء عليه.

س الولد الأكبر مؤمن شيعي اثني عشري، توفي والده وهو مخالف، ولكن الولد يريد أن يقضي الصلاة والصيام عن والده، هل يجوز القضاء عن المخالف؟

ج يجوز ذلك برجاء المشروعية واستفادة الأب بذلك.

س شخص غير ملتزم بالصلاة والصيام بصورة صحيحة لعدّة سنوات، ومات ولم يوصِ لفقده الوعي قبل الموت، وله ولدان توأمان، فكيف تقضى عنه الصلاة والصيام؟

ج **يجب على ولي الميت الذَكَر أن يقضي ما على الميت من الصلاة والصيام، وإذا تعدد كما في مفروض السؤال فيجب القضاء على كلّ ذكر منهم، ويسقط بفعل واحد منهم عن الآخرين، أو بإجازة من قبل الوليّ أو غيره، ولا يتوزع القضاء عليهم بالنسبة.**

س سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق الجو، وكانت مدّة الطيران في الجو حوالي (١٦ساعة) متواصلة، وكان فارق الوقت بين بلدي البحرين وأمريكا (١٠ ساعات)، حيث إن الوقت في أمريكا يسبق وقت البحرين بـ (١٠ساعات).

هذه المسافة مجتمعة مع فارق الوقت سببت لي بعض الإشكالات في أحكام الصلاة، وذلك بسبب الطيران، حيث أنه عند الذهاب إلى أمريكا كانت الطائرة تسير باتجاه معاكس للشمس، وكانت الطائرة في الظلام طوال الرحلة، فقد سافرت في الصباح الباكر بعد صلاة الصبح مباشرة ووصلت إلى أمريكا ظهر نفس اليوم، وذلك بسبب سبق الوقت هناك، فأصبح فارق الوقت من حين سفري من البحرين لحين وصولي إلى أمريكا ما يقارب (٦ ساعات) فقط، وبهذا أمكنني أداء صلاة الظهر في وقتها دون اللجوء للقضاء.

ولكن واجهت مشكلة عند الرجوع حيث كان كلّ شيء بالعكس، ذلك بأني سافرت ظهر يوم الرجوع بعد أداء صلاة الظهرين، وعندما ركبت الطائرة وسرنا إلى البحرين كانت الشمس ساطعة طوال الرحلة، حيث أن الطائرة كانت تسير مع مسير الشمس، وبما أن المسافة هي (١٦ ساعة) وفارق الوقت (١٠ ساعات) أصبح فارق الوقت من حين السفر من أمريكا إلى البحرين حوالي (٢٦ ساعة) أي أكثر من يوم كامل، وذلك أني وصلت إلى بلدي البحرين بعد أن مرّ يوم كامل، ولكن عند دخول البلد كان الوقت وقت الغروب لليوم التالي، وبما أن الشمس لم تغب طوال السفر فلدي بعض الأسئلة المتعلقة بأمور وأحكام الصلاة كالآتي:

١. متى يكون وقت صلاة المغرب والعشاء لليوم الذي سافرت فيه؟ علماً بأن الشمس كانت ساطعة طوال الوقت.

٢. متى يكون وقت صلاة الصبح لليوم التالي؟ ذلك بأن الشمس لم تغب.

٣. كذلك متى يكون وقت صلاة الظهرين لليوم التالي؟

لا يجب عليك قضاء الصلوات المذكورة إلا إذا مرّ عليك وقت من أوقات الصلاة وأنت في الطائرة، كما إذا كانت الشمس مشرقة وأنت في الطائرة ثم غابت فعليك القضاء.

س هناك حالة اعتادت عليها نساؤنا وخاصة في الريف بأن المرأة بعد الولادة تبقى (٤٠ يوماً) ومن ثم تغتسل وتصلي، بينما المعروف من النفاس أقله لحظة وأكثره عشرة أيام، والآن ما حكم هذه المرأة التي اعتادت على هذه الحالة طيلة حياتها وأدركها الموت، فماذا يعمل الورثة؟ هل تعتبر ذمتها مشغولة بهذا الجانب، وكيف نستطيع حساب ما فاتها من صلاة وصوم؟ خصوصاً إذا كان عندها مثلاً (٨ أو ١٠) أولاد، وكذا ما حكم أمهات آبائنا خصوصاً أنا وصي والدي في جميع أموره؟

ج **يجب على المرأة قضاء ما فاتها تلك الفترة، ولا يجب على الورثة القضاء عنها، لكن إبراء ذمتها يخفف عنها وينفعها إن شاء الله تعالى، فيحسن بمن يحبها الاهتمام بذلك.**

س إذا نسي قضاء السجدة حتى دخل في صلاة أخرى فريضة أو نافلة، فهل يقطعها ليتدارك؟

ج **لا يجب القطع**

س إذا كان شخص مطلوب (خمس سنوات) قضاء ما في ذمته مثلاً، فهل يصح أن يقضي صلاة الصبح (خمس سنوات)، حتى يكملها، ثم الظهر وهكذا بالنسبة لبقية الفرائض وهكذا حتى تفرغ ذمته؟ أو أنه لابد أن يصلي يوم كامل؟

ج **يجوز له القضاء بكلتا الصورتين، ولكن القضاء أياماً كاملة أولى وأحوط.**

س أنا شيعي وفي فترة من الفترات عدلت عن التشيع إلى التسنن، والآن استبصرت، وفي تلك الفترة التي كنت فيها سنياً صليت وصمت على الطريقة السنية، فهل يجب عليّ قضاء الصلاة والصوم في تلك الفترة؟ لأني صليت على طريقتهم وأفطرت على حسب أحكامهم؟

ج **ليس عليك قضاء.**

س هل يصح أن أصلي صلاة الليل نيابة عن أكثر من شخص تطوعاً مني، أم أن نية النيابة لا تصح لأكثر من شخص؟

ج **نعم تصح**

س هل يصح للإنسان إهداء ثواب أعماله الواجبة للغير حياً أو ميتاً؟

ج **نعم يصحّ.**

س إذا كان رجل لا يصلي أبداً ومات، فهل على الولد الأكبر قضاء ما بذمة والده من صلاة، أم لا يجوز؟

ج **إذا لم يكن الأب مهتماً بالقضاء فلا يجب على أوليائه القضاء عنه، وهم أولاده وجميع ورثته الذكور.**

س إذا سها إمام الجماعة فجهر في موضع الإخفات أو بالعكس، فما هي وظيفة المؤتمين به؟

ج **ليس عليهم شيء، ولا يخل ذلك بالجماعة.**

س هل يجوز الصلاة فرادى في الجامع إذا كان في الجامع صلاة جماعة وإمام جماعة من الثقات؟

ج **نعم يجوز ذلك، ولكن أداء الصلاة جماعة مع اجتماع شرائطها أفضل.**

س هل يجوز الصلاة خلف الإخباري؟ وما هي أهم الفروقات بين الأصوليين والاخباريين؟

ج **الفروقات بين الإخباريين والأصوليين ليست إلّا فروقات اجتهادية، لربّما تقع بعضها بين الأصوليين أو الإخباريين أنفسهم، والصلاة خلف الإخباري لا مانع منها إذا كان على حجة شرعية في اجتهاده وتقليده، وكان في مقام جمع كلمة المؤمنين وتبديد الفوارق فيما بينهم.**

قرية فاطمة عليها السلام في البرتغال

ما علاقة القرية المسماة بـ (فاطمة) في البرتغال بالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام؟

للوهلة الأولى يصاب الإنسان بالذهول عندما يسمع بوجود قرية في أوربا تحمل اسم فاطمة بنت محمد النبي صلى الله عليه وآله ولا يكاد يصدق هذه الحقيقة، ولعله يتساءل كيف تسنى لهذا الاسم الطاهر تجاوز الحدود الاقليمية وتخطى كل الموانع لكي يصل إلى هذه البقعة الأوربية ويفرض وجوده في بلاد أهلها يدينون بغير الإسلام!!

لكن المتتبع لتاريخ القرية المسماة بـ (فاطمة) أو (فاطيما) البرتغالية يجد أن تسميتها مأخوذة من اسم بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام، وهي حقيقة لا يمكن إنكارها، فالقرية موجودة و هي تحمل هذا الاسم المبارك، ومن لا يصدق يسعه الذهاب إلى هذه القرية ليرى بأم عينه أن اسم فاطمة الزهراء عليها السلام ظل اسماً مباركاً ومتألقاً على ربوع هذه القرية البرتغالية الأوربية أكثر من نصف قرن، رغم أن الفاتحين المسلمين لهذه المنطقة غادروا البرتغال منذ زمن طويل، ورغم أن المنائر والقباب الإسلامية تغيرت وطرأ عليها ما طرأ، إلا أن اسم فاطمة عليها السلام لا زال يبعث بشعاعه النوراني على تلك المنطقة وغيرها من المناطق، الاسم الذي يتمتع بقدسية كبيرة ليس لدى أهل تلك المنطقة فحسب، بل لدى الملايين من الوافدين لهذه القرية الدينية سنوياً للزيارة ولطلب الشفاء والشفاعة من صاحبة هذا الاسم المبارك عليها السلام).

وجهة نظر الفاتيكان

يقول الدكتور بولس الحلو المسيحي: فاطمة الزهراء ... لها منطقة خاصة في البرتغال تسمى (فاتيما)، وقد اعترف الفاتيكان بقداستها، حيث يقال إن فاطمة الزهراء قد تجلّت فيها في زمن ما.

وهناك كتب ألفت في هذا الموضوع، منها:

اسم الكتاب: FATIMA MAGICA. المؤلف: MOISES ESPIRITO SANTO. الناشر: BESA EDITRICE. سنة النشر: ١٩٩٩م.

قصة هذه التسمية

من الواضح أن تسمية هذه القرية لم تأت من فراغ ومصادفة، نعم إن لإطلاق هذه التسمية المباركة على هذه القرية الدينية قصة واقعية وكرامة مشهودة للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ظهرت لبعض أهالي القرية عام ٩١٧ م.

لكن ماذا حدث حتى أصبحت القرية تعرف بمدينة فاطمة؟

في عام (١٩١٩م)، قرّر الأهالي بناء مزار ديني في قريتهم باسم (فاطمة)، فقام بعض الحاقدين بإحراقه وتفجيره، لكن الأهالي أعادوا إعماره مجدّداً.

وفي سنة (١٩٣٨م) وضعت أولى لبنات الموقع الحجرية.

وفي عام (١٩٤٠م) منح أسقف إيبيريا رخصته لإنشاء المزار المطهّر لسيدتنا فاطمة عليها السلام بعدما سبقته الكنيسة بذلك.

وفي عام (١٩٥٢م) أقيمت مراسم خاصة بسيدتنا الزهراء عليها السلام و تُوّجت هذه الخطوة بتبني المزار رسميّاً عام (١٩٥٣م) من قبل الحكومة البرتغالية، ومنذ ذلك الحين وفي الثالث عشر من أيار من كل عام، يأتي محبّو فاطمة ومريدوها من أنحاء البرتغال ومناطق الدول المجاورة إلى المنطقة التي سمّيت بمدينة (فاطما) لطلب الشفاعة والشفاء والتوبة وتزكية الروح، وكل شخص من أتباع هذا المذهب أو ذاك يقوم بمراسم زيارة (فاطمة) بأسلوبه وطريقته الخاصّة، فواحد يأتي ماشياً على قدميه لأداء الزيارة، وآخر ينذر الشموع، فيما تقام أماسي الدعاء ومجالس الذكر، وتحتل تمتمات وهمهمات التسابيح الجانب الأهم والرواج الأكبر والشهرة الواسعة.

نعم، إنّ الأوروبيين يجتمعون حول المزار الذي يمثّل عندهم (كنيسة فاطما)، ويطلبون منها تبديل حياتهم بحياة أخرى، ويؤكّدون أنه ما من زائر عاد من البقعة المباركة وهو خالي الوفاض.

في جانب الكنيسة الأيسر هناك جناح خاص للزوّار المرضى طالبي الشفاء، الذين يقضون الليل في الدعاء والتسبيح، ولا توجد لهم لغة يمكن لها أن توضّح حقيقة تلك الجاذبية العميقة التي يشعر بها الزوّار وتوسّلهم العجيب؟

أليس عجيباً سفر أولئك الناس من عالم المسيحية إلى عالم الإسلام للدخول في دائرة الحُب والإخلاص القلبي لابنة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله؟!

إنهم يسبّحون تسبيحات فاطمة وهم يضعون الصليب على صدورهم؟!

يسبّحون تسبيحات الزهراء ويبنون كنيسةً باسمها؟!

يسبّحون تسبيحات الزهراء ويطلبون النجدة والمساعدة منها؟!

لا ليس عجيباً ما يقومون به لأن قدرة فاطمة وقوّة فاطمة وطُهْر فاطمة ونزاهة فاطمة بنت الرسول فاقت كل تصوّر حتى غدت تسيطر على قلوب الملايين.

كيف لا نقتنع بذلك ونحن نرى هذه الجموع تنذر لفاطمة وتمشي المسافات من أجل زيارتها والتبرّك ببقعتها، وتركع في محرابها طلباً للمغفرة وللحصول على الطهر والروحانية.

ولعلّ زيارة البابوات لـ (فاطما) ليست ظاهرة بسيطة، كما أن اهتمام وتعلّق الآباء اليسوعيين بسيدة نساء العالمين ظاهرة توضح بنور ساطع للعيون المؤمنة بفاطمة أحقيّة هذا الطريق، وهي ظاهرة تشير إلى عمق نفوذ سيدة نساء الإسلام الكبرى في عالم المسيحية.

نقل بتصرف من: (موقع: مركز الإشعاع الإسلامي للبحوث والدراسات)

النموذج التربوي الأخلاقي عند أهل البيت عليهم السلام

باسم الدولة الحمداني

ينابيع

للمحيط الذي يعيش به الإنسان أثر كبير في تكوين شخصيته وتوجيه سلوكه[1] ابتداءً من صياغة أفكاره المكتسبة وتعليمه، فالأسرة والمدرسة والشارع ووسائل الإعلام والمناهج التدريسية المتبعة في المدارس والجامعات تؤثر في ذلك، وخصوصاً الحاضن الأول وهو الأسرة والأم. فعبر مراحل النمو والتكامل يشتد الطفل ليصبح إنساناً بعد مروره في أنماط معينة من التوجيه، لكي يتم إعداده وتنشئته للمستقبل، وهذا هو معنى التربية.

وعند أهل البيت عليهم السلام يوجد النموذج الأكمل لتربية الفرد الإنساني، ولو لاحظنا الأبعاد الاجتماعية والحياتية لهم صلوات الله عليهم، لاستفدنا من ذلك في بيان بعض المفاهيم الأخلاقية والتربوية وتوجيه السلوك لبناء الفرد والأسرة المتماسكة والمجتمع الصالح. فعلى مستوى تعليم الفرد، علينا تربية وتقويم أبنائنا بالصفات التي تحلى بها نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وغرسها في أهل بيته، ودعا بها الناس برسالته السمحاء والتي تجلت بالإسلام، الدين القيم، دين الأخلاق، دين المعاملة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والابتعاد عن المعاصي، والالتزام بالصدق، وحفظ الأمانة، والإيثار، وبر الوالدين، واحترام الجار، والابتعاد عن كبائر الذنوب، وصلة الرحم، وطلب العلم، والتعلم لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذه الأمور وغيرها هي التي تنشئ الفرد بصورة متوازنة، أي ابتداءً من معرفة الشريعة والأخذ بها لتقوية الجانب الروحي، إضافة إلى تقوية الجانب البدني من الإنسان الذي اعتاد الناس التركيز عليه، لأن فقدان الجانب النفسي والروحي

أو نقصانه أو الخلل به له أثر في ظهور الأمراض النفسية والبدنية، والتي منها العلل والاضطراب النفسي وغير ذلك.

ولو سلطنا الضوء على علاقة الأسرة بالفرد، من خلال مشاعر الانسجام وعدم الكراهية، التي لها الخطر على تمزيق الأسرة وتشتيت الأفراد ونمو معدلات الجريمة والانحراف، بسبب نقصان التوجيه واضطراب السلوك.

والفرد يتأثر بالجو الأسري بحكم علاقته بأبويه أو أجداده وما يضفيه هؤلاء المحيطون من مشاعر، فمثلاً علاقة سيدة نساء العالمين الزهراء عليها السلام بابنها الحسين عليه السلام على سبيل المثال لا الحصر، لقد عنيت سيدة النساء بتهيئة ولدها الحسين عليه السلام فغمرته بالحنان والعطف لتكون له شخصية مستقلة، وليشعر بذاتياته، وأدبته بآداب الإسلام، وعوّدته الاستقامة والاتجاه نحو الخير، يقول العلائلي في كتاب الإمام الحسين عليه السلام[٢]: والذي انتهى إلينا من مجموعة أخبار الحسين عليه السلام إن أُمَّه عنيت ببث المثل الإسلامية الاعتقادية لتشيع في نفسه فكرة الفضيلة على أتم معانيها وأصح أوضاعها، ولا بدع فإن النبي صلى الله عليه وآله أشرف على توجيهه أيضاً في هذا الدور الذي يشعر الطفل فيه بالاستقلال، فالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أنمت في نفسه فكرة الخير والحب والمطلق والواجب ومدّت في جوانحه وخوالجه أفكار الفضائل العليا، بأن وجهت المبادئ الأدبية في طبيعته الوليدة من أن تكون نقطة دائرتها ترتكز إلى الله تعالى.

ورسمت له والدته دائرة غير متناهية حيث جعلت فكرة الله نقطة الارتكاز ثم أدارت المبادئ الأدبية والفضائل عليها، فاتسعت نفسه لتشمل وتستغرق العالم بعواطفها المهذبة وتأخذه بالمثل الأعلى والخير والجمال. لقد نشأ الإمام الحسين عليه السلام في جو تلك البيئة الإسلامية الواعية التي فجرت النور وصنعت حضارة الإنسان وقادت شعوب الأرض، قال تعالى: (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**) (الأحزاب:٣٣).

ولو نظرنا أيضاً إلى وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى ولده الحسن عليه السلام التي كتبها إليه عند انصرافه من صفين، وهي وصية (جامعة لمكارم الأخلاق مشتملة على بليغ المواعظ والأمثال تضع الفرد المسلم على الطريق الصحيح وتهديه إلى الصراط المستقيم وهي الكفيلة لمن أخذ بها ونهج على منوالها أن يحظى بسعادة الدارين والفوز الحقيقي ويعيش حالة الاطمئنان النفسي وقوة القلب ورباطة الجأش، وهي خير دستور يقدمه الوالد إلى ولده، ليسير عليه ويباهي به الأمم، وما أحوج الإنسانية إلى مثل هذه الوصايا والإرشادات التي تضم بين ثناياها خير الدنيا والآخرة والسعادة الأبدية... ولو نظرت المدنية المعاصرة إلى هذه الوصية الغراء للإمام عليه السلام لتعرفت على الإسلام الحقيقي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام في التربية والتهذيب والإصلاح الاجتماعي الذي أسس من أوائل القرن الأول الهجري)[٣].

وثمة مقطع لافت في وصية الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: (وإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْه فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ)[٤].

أما على مستوى الأسرة فهناك فرق بين الأسرة الملتزمة إسلاميًا ودينيًا وغيرها، فالنموذج الملتزم يهيئ الأجواء الملائمة لإنتاج الجيل الملتزم، وذلك من خلال

العناصر التالية:

١. بث أجواء الإيمان والعقيدة في داخل الأسرة، فإن الآباء والأمهات يتحملون المسؤولية في حماية وتحصين أبنائهم وبناتهم إيمانياً وعقيدياً.

٢. تغذية الطفل بالأخلاق الفاضلة.

٣. الآداب الاجتماعية والحياتية والتي منها أدب التعامل مع الوالدين وأدب صلة الأرحام، وأدب معاشرة الناس، وعدم إيذاء وإهانة أحد، وخدمة الناس وقضاء حوائجهم وغير ذلك[٥].

(فالأسرة إذن مكلفة بتربية الطفل وتهيئته جسماً ونفساً وخلقاً للقيام بوظائفه المختلفة في خدمة قومه ووطنه، وإن العناية بالأولاد وتربيتهم تلك التربية الصالحة من أكبر واجبات الأبوين التي فرضها الشرع ونظام الاجتماع عليهما، كما أن إهمالهم والتفريط في تربيتهم من أكبر الجنايات التي يمقتها الشارع...[٦]، قال ﷺ: (أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم يغفر لكم)[٧].

أما لو نظرنا إلى ملامح البناء الأخلاقي من خلال أدعية أهل البيت عليهم السلام والتي هي مدرسة متكاملة من المعرفة فإننا من خلال تلك المناجاة وجمل الأدعية نجد حالات من التوجه المعنوي بين العبد وخالقه والتي تضمنت كثيراً من الأساليب البيانية التي ترشد الداعي والسالك إلى الله تعالى إلى منهج تربوي وأخلاقي وروحي. وإن تسليط الضوء على مضامين تلك الأدعية يعطينا دروساً في مجال توعية الفرد والمجتمع لبناء التوازن الأخلاقي، منها ما نراه في الصحيفة السجادية وهي مجموعة من الأدعية رواها الأصحاب عن الإمام زين العابدين عليه السلام، حيث ورد في بعض الأدعية أو مضامينها ما يخص الجانب الاجتماعي أو علاقة الفرد بالمجتمع وعلاقاته بذويه، أو ما يخص الجانب النفسي وسلوك الفرد في دينه ودنياه، فمنها وكما ورد في أدعية السجاد عليه السلام في مكارم الأخلاق أو دعائه لأبويه عليه السلام أو دعائه لولده عليه السلام. وكان من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآله ، وحَلِّنِي بحلْيَةِ الصَّالحينَ ، وأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ ، وكَظْمِ الْغَيْظِ ، وإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ ، وضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ ، وإِصْلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ ، وسَتْرِ الْعَائِبَةِ ، ولِينِ الْعَرِيكَةِ ، وخَفْضِ الْجَنَاحِ ، وحُسْنِ السِّيرَةِ ، وسُكُونِ الرِّيحِ ، وطِيبِ الْمُخَالَقَةِ ، والسَّبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ ، وإِيثَارِ التَّفَضُّلِ ، وتَرْكِ التَّعْيِيرِ... الخ).

حيث وردت هنا الإشارة إلى بعض الصفات المطلوبة للإنسان وهو يعيش في دار الدنيا ويسلك طريق التكامل للوصول إلى الآخرة، وهذه الصفات منها:

١- التحلي بزينة الصالحين، أي: أهل الصلاح والإيمان والتقوى حتى يستطيع الإنسان من أداء الحقوق المسؤول عنها في نفسه والأسرة والمجتمع.

وبسط العدل في المجتمع كما في الأسرة. وكظم الغيظ عما تكرهه النفس وإطفاء النائرة، وهي العداوة، وضم أهل الفرقة، أي: إيجاد وحدة الكلمة بين الجميع ضمن الخطوط العامة المتفق عليها، وإفشاء العارفة، أي: إشاعة العمل المعروف لما فيه خير العامة، وستر العائبة، وهي العيوب، ولين العريكة: التواضع وقلة الخلاف، والعريكة: هي الطبيعة، وخفض الجناح، استعارة عن التواضع، وحسن السيرة، وهي الطريقة التي يسير بها الإنسان، وسكون الريح، وهو كناية عن الوقار، والريح كناية عن الخفة والحركة، وطيب المخالقة، أي: المعاشرة، والسبق إلى

الفضيلة، أي : الدرجة العالية من الفضل، وإيثار التفضل، فالإيثار هو الاختيار، والتفضيل والتفضل فعل ما لا يلزم من الإحسان، ويعبر عنه بالتطول، وترك التعيير، أي: نسبة الآخرين إلى [٨] العار، إلى آخر ما ورد من بقية هذا المقطع من الدعاء. وأنت لا يخفى عليك ما لأهمية هذه الصفات في حياة المجتمع المؤمن.

ومنها قوله عليه السلام في نفس الدعاء: (اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِيَ الطَّرِيقَةَ الْمُثْلَى ، واجْعَلْنِي عَلَى ملَّتِكَ أَمُوتُ وأَحْيَا). والطريقة المثلى هي الأفضل وهي طريق الأنبياء إلى الله تعالى والالتزام بالشريعة والملة، لأن الالتزام بهذه الشريعة والأعمال العبادية في هذه الدنيا تظهر نتائجه في الآخرة وهو ما يحدد مصير الإنسان وغايات أعماله هناك وهذا ما ينعكس على الجانب الأخلاقي وهذا يعني تجسد الإسلام في حياة الإنسان كذلك لأنه يؤدي رسالة، وبسلوكه يطبق الإسلام عملياً في حياته حتى مماته[٩].

أما في دعائه عليه السلام لأبويه عليهما السلام في الصحيفة السجادية فيقول عليه السلام: (اللَّهُمَّ وإِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لَهُمَا فَشَفِّعْهُمَا فِيَّ ، وإِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لِي فَشَفِّعْنِي فِيهِمَا حَتَّى نَجْتَمِعَ بِرَأْفَتِكَ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ ومَحَلِّ مَغْفِرَتِكَ ورَحْمَتِكَ...)، حيث ختم الدعاء بما هو أمل كل من الأولاد والآباء والأمهات، وهو وحدة العائلة وجمع أفرادها في مصير واحد يشتركون فيه، وكل منهم يتقاسم ما له وما عليه لحفظ هذه الوحدة في المسير العائلي ومصيره، فإذا كان الوالدان مغفوراً لهما فهما يشفعان للأولاد وإن كان الولد مغفوراً له فهو الشفيع لهما، تجتمع العائلة في الآخرة التي هي محل دار الكرامة ومحل المغفرة والرحمة والشفاعة، كما اجتمعت العائلة في دار الدنيا التي هي دار الامتحان ومحل العمل، ومن ختم هذا الدعاء بهذه الكيفية يشير إلى أن تلاحم الرابطة في العائلة الدم والرحم مما يؤثر في مسير الإنسان ومصيره، ولا يمكنه أن ينقطع عنهما مهما كانت الظروف والأسباب، حيث أن رابطة الدم تفوق أية رابطة أخرى، وتستمر جارية في عروق الأجيال المتعاقبة[١٠].

أما في دعاء الإمام السجاد عليه السلام لولده، فيقول عليه السلام: (وأَعِنِّي عَلَى تَرْبِيَتِهِمْ وتَأْدِيبِهِمْ، وبِرِّهِمْ ...) وهنا تذكير بثلاثة أمور:

١ـ التربية والتي تكون من الولادة إلى السابعة من العمر لإعداد الأولاد الأصحاء في الجسم.

٢ـ التأديب من الثامنة حتى الرابعة عشرة من العمر بالتعليم بالنظام الابتدائي.

٣ـ والبر من الخامسة عشرة إلى سن الحادية والعشرين من العمر، بتدريبهم على السلوك الصحيح. فإن الإنسان البالغ من العمر (٢١ سنة) ينبغي أن يكون عضواً صالحاً ومستقلاً في المجتمع[١١].■

---

١. أصول علم النفس: د. أحمد عزت راجع، دار المعارف/٥ ١٩٨.

٢. الإمام الحسين عليه السلام ص٢٨٩. وانظر حياة الإمام الحسين عليه السلام للحجة القرشي ج١ ص٥٤.

٣. الوصية الذهبية ص١٠ـ ١١ مجيد الصائغ.

٤ـ نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٣٩٣.

٥ـالجواهر الروحية ص٣٧٨ السيد حسن القبانجي.

٦ـ انظر: كيف نربي أبناءنا السيد عبدالله الغريفي ص٢٢.

٧ـ وسائل الشيعة/ج٢١ص٤٧٦.

٨ـ شرح الصحيفة السجادية السيد محمد حسين الجلالي (ج١ ص٣٧٠).

٩ـ انظر شرح الصحيفة السجادية ج١ ص٣٨٣.

١٠ـ شرح الصحيفة السجادية ج١ ص٤٦١.

١١ـ انظر شرح الصحيفة السجادية ج١ ص٤٦٩.

الزواج من منظور آيات الأحكام

محمد دعيبل
كاتب وإعلامي

ينابيع لقد خص الباري عز وجل الإسلام بجملة من الأحكام التي أفرد لها القرآن الكريم آيات عديدة سميت بآيات الأحكام، والتي صنف العلماء فيها المؤلفات، فمنهم من أوصلها إلى خمسمائة آية، ومنهم من قال إنها ثلاثمائة، في حين لم يحددها آخرون بعدد معين، قائلين إن القرآن كله أحكام، رعاية منه تعالى لحفظ النظام لدى منتحلي الإسلام. ومن تلك الأحكام، الأحكام التي تتعلق بالزواج، ذلك النظام الذي يمكن للإنسان من خلاله بناء ذاته فضلًا عن مجتمعه، ولم يسن الإسلام نظامًا كنظام التزويج، ولولاه لما سعدت البشرية، ولتمزقت عرى الأمم والمجتمعات.

لقد شرع الإسلام ثلاثة أنواع من الزواج، وهي كما يلي :

الأول: الزواج الدائم

ويعني اصطلاحًا : العلاقة الزوجية الناتجة عن عقد دائم بين الزوجين مع توفر الشروط[1].

وقد وردت آيتان في الكتاب العزيز ذكرفيهما هذا النوع من أنواع الزواج وهي:

١. (**وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**) (الروم:٢١).

٢. (**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ**)(النساء:٣).

الحكم المستنبط من الآيتين :

١. يستفاد من الآيتين أعلاه استحباب الزواج مؤكدًا، كما أشار إلى ذلك جملة

من الفقهاء، منهم الشيخ المفيد والعلامة الحلي[٢] وغيرهما، هذا في الحكم الأولي، وقد يتحول إلى الوجوب إذا غلبت على المرء شهوته خوفًا من الوقوع في الحرام.

٢. وهو المراد في المقام، من أن ذكر العدد في الآية الثانية هو في خصوص النكاح الدائم دون غيره[٣].

مع أن الآيتين لم تشرا إلى النكاح الدائم فحسب.

٣. النتيجة : إن إشارة الآية إلى مثنى وثلاث ورباع يستدل منه على استحباب الزواج بالعقد الدائم.

الثاني: النكاح المنقطع أو (المتعة):

ويقصد به اصطلاحًا : العلاقة بين الزوجين المترتبة عن العقد بينهما بين الزوجين لفترة مؤقتة مع توفر الشروط[٤].

وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى :

(وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً)(النساء:٢٤).

الحكم المستنبط من الآية:

انقسم الفقهاء على عدة آراء في مشروعية واستحباب زواج المتعة، وكما يلي:

١. الإمامية : يستدلون بالآية وجملة من الروايات على الاستحباب.

٢. جمهور الفقهاء من المذاهب الإسلامية الأخرى لا يرون ذلك، بل يحرمونها[٥].

٣. استند فقهاء الجمهور إلى قول الخليفة عمر بن الخطاب (متعتان كانتا في عهد رسول الله ﷺ وأنا أُحرمهما وأُعاقب عليهما)[٦].

٥. الرأي الأرجح :عند مقابلة رأي الإمامية ورأي الجمهور يتبين أن الأرجح هو رأي الإمامية، استنادًا لما ورد في الآية الشريفة، كما أن السُنّة لا يمكن أن تنسخ الكتاب، لأنها في رتبة ثانية بعده، ويؤيد ذلك ما ورد من الروايات التي أكدت صحة رأي الإمامية والتي منها ما ورد عن الإمام علي عليه السلام : (لولا ما سبق من رأي عمر بن الخطاب لأمرت بالمتعة، ثم ما زنى إلا شقي)[٧].

الفروق بين النكاح الدائم والمنقطع:

ذكر الفقهاء جملة من الفروق بين النكاح الدائم والمنقطع وهي[٨]:

١. يشترط في كليهما التلفظ بصيغة عقد الزواج من الإيجاب والقبول. ففي الدائم، تقول المرأة للرجل: زوّجتك (أو أنكحتك) نفسي على المهر المعلوم. فيقول الرجل لها: قبلت. وفي الموقّت، تقول المرأة للرجل: متّعتك (أو انكحتك) نفسي على المهر المعلوم في المدة المعلومة. فيقول الرجل لها : قبلت.

٢. يشترط في كليهما تعيين المهر. ولا فرق بين أن يكون المهر مالاً - كألف دينار أو درهم - أو غير مال كمنفعة أو عمل أو تعليم أو غير ذلك.

٣. يشترط في كليهما إذن الولي - الأب والجد من طرف الأب - إذا كانت البنت بكراً أو من بحكمها، كمن فقدت بكارتها بغير عقد شرعي، ولا يشترط في كليهما إذن الولي إذا كانت المرأة ثيبًا.

٤. يشترط في كليهما العدّة بالمدخول بها، لمن تريد أن تتزوّج ثانية.

٥. يشترط في الدائم النفقة على الزوجة،

ولا يشترط في الموقّت، إلاّ مع الشرط ضمن العقد.

٦. يشترط في الموقّت ذكر مدّة التمتّع، كسنة أو شهر أو يوم أو غير ذلك.

٧. يشترط في الدائم التوارث بين الزوجين.

٨. يشترط الإشهاد في طلاق الزوجة الدائمة.

٩. لا طلاق في زواج الموقّت، وإنّما تبين المرأة بانقضاء المدّة المقرّرة أو بهبة بقية المدّة لها.

١٠. لا يشترط في كليهما الإشهاد حال العقد، بل هو أمر مستحب.

الثالث: (ملك اليمين)

ملك اليمين اصطلاحًا: هم الأرقاء المملوكون لمن ملكهم عبيداً، ذكوراً أو إناثاً. والمقصود به في المقام النساء من الرقيق، وهنّ الإماء، إذ يحقّ لمالكهنّ أن يطأهنّ من غير عقد زواج، ولا شهود، ولا مهر، فهنّ لسن أزواجاً، فإذا جامعهن سُمّيْنَ (سراري) جمع: سُرّية[٩].

وقد وردت في الكتاب العزيز عدة آيات تذكر هذا النوع من الزواج، وهي:

١. قوله تعالى:(**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**) (النساء:٢٤).

٢. (**وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) (النساء:٢٥).

٣. (**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**)(المؤمنون:٥- ٧).

٤. (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا**) (الأحزاب:٥٠).

الحكم المستنبط من الآيات الشريفة:

مشروعية زواج الإماء بل واستحبابه، وقد فعله الأنبياء، فقد تسرّى إبراهيم عليه السلام من هاجر فولدت له إسماعيل عليه السلام. وفعله نبينا صلى الله عليه وآله، وفعله الصحابة والصالحون والعلماء وأجمع عليه العلماء كلهم ولا يحل لأحد أن يحرمه أو أن يمنعه، ومن يحرم فعل ذلك فهو آثم مخالف لإجماع العلماء. ولا خلاف في إباحة التسري ووطء الإماء؛ لقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ).

وقد كانت مارية القبطية أم ولد، وهي

أم إبراهيم ابن النبي ﷺ التي قال فيها (أعتقَها ولدُها)، وكان لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام أمهات أولاد، وكان لعمر بن الخطاب أمهات أولاد أوصى لكل واحدة منهن بأربعمائة، كما كان لكثير من الصحابة، وكان علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله من أمهات الأولاد[10].

مما تقدم يمكننا أن نستنتج جملة من الأمور، وهي:

١. أنه ثمة ثلاثة أنواع من الزواج، هي الدائم والمنقطع وملك اليمين.
٢. مشروعية تلك الأنواع بل استحبابها .
٣. مما تقدم يتبين مشروعية نكاح المتعة كما ذهب إليه الإمامية.
٤. الظاهر أن الحكمة من تشريع نكاح المتعة هو القضاء على جريمة الزنا التي تؤول بالمجتمع إلى الهاوية في وقت لم يتمكن الرجل من تغطية نفقات الأسرة .
٥. لعل الحكمة من تشريع زواج الإماء هو بث روح السلم والتعاون بين طبقات المجتمع وإلغاء مسألة الرق تدريجيًا، والتي كانت سائدة في المجتمع آنذاك كأعراف اجتماعية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■

١)الصابوني : احكام الزواج في الإسلام،ص١٢ .
٢)الشيخ المفيد: المبسوط ، ص٦٧ . وكذلك اورده العلامة الحلي في شرائع الإسلام ٤/٣.
٣)المصدر نفسه .
٤)أحكام الزواج في الإسلام ،ص٤٠ .
٥)محمد جواد مغنية: الفقه على المذاهب الخمسة ، ص ١٠٩.
٦)البخاري: صحيح البخاري ،ج ٦ ، باب حرمة نكاح المتعة.
٧)كنز العمال/المتقي الهندي/ج١٦ص٥٢٣.
٨)الفقه على المذاهب الخمسة، ص ٤١.
٩)شرائع الإسلام :١٢/٣ .
١٠)المصدر نفسه،

من تواضع النبي ﷺ:

عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: مَا أَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئاً مُنْذُ بَعَثَه اللهُ عَزَّ وجَلَّ إِلَى أَنْ قَبَضَه، وكَانَ يَأْكُلُ إِكْلَةَ الْعَبْدِ ويَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، قُلْتُ: ولِمَ ذَلِكَ ؟، قَالَ : تَوَاضُعاً للهِ عَزَّ وجَلَّ.

الكافي: ج٦، ص٢٧١

العناصر الفنية في وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم

أ.م.د خليل خلف بشير
جامعة البصرة – كلية الآداب

تمهيد

تعرف الوصية بأنها كلام يوجهه الموصي إلى شخص محدد تنفيذاً لعلم أو إرشاداً لسلوك عبادي معين بالتزامه به في حياة الموصي أو بعد وفاته، وتتم الوصية في حياة الموصي إلى والٍ أو قاضٍ أو عامل أو قائد عسكري، في حين تتم الوصية في ما بعد الوفاة بالمطالبة بتنفيذ عمل عبادي يتحدد بأولاده أو أقاربه أو غيرهم[1]، وقد تكون على شكل رسالة تُكتب إلى أحد الأشخاص، أو خطاب يُوجه إلى طرف، وتتميز بوحدة الموضوع أو بتنوع الموضوعات، وكل موضوع يتميز بموضوع جزئي بحيث تلتقي الموضوعات الجزئية عند مصب فكري متجانس[2].

ويعنينا من ذلك، أن نقدم نموذجاً من أدب الإمام الكاظم عليه السلام في ميدان الكلمة أو التوصية،... متمثلاً في خطابه المعروف الذي وجهه إلى هشام بن الحكم، وهو خطاب يخضع لوحدة موضوعية هي سمات الشخصية الإسلامية العقلية والنفسية والاجتماعية، فلم يقتصر الإمام الكاظم عليه السلام على رسم السمات النفسية بل تجاوز إلى رسم السمات الشاملة للشخصية وفي مقدمتها السمات العبادية

فلم يفصل بين ما هو عبادي من (الإيمان، والطاعة، ...) ،وما هو نفسي مثل (الكآبة ، وما يضادها) أو ما هو عقلي مثل (الحفظ أو النسيان) بل يجمعها في وحدة سلوكية على أن هذا التصنيف للسمات أقرب من خلال مسألة الإيمان والكفر والضلال والاستقامة والانحراف، سلبيات السلوك وإيجابياته من خلال تحريكه أو تجميده ثم دخوله في التفاصيل العملية المتنوعة لأوضاع الإنسان الفردية والاجتماعية

إلى العلم منه إلى الفن، بيد أنّ الإمام لم يعرض لهذا التصنيف إلا في سياق فني هو فن الكلمة أو التوصية فقد أخضع الإمام الكلمة إلى وحدة الموضوع من جانب مع توشيحها بلغة الفن من جانب آخر، ولعل أهم ما عالجته هذه الوصية هو دور العقل من خلال النهج القرآني الذي أكد دور العقل كحجة لله على العباد فالعقل لم يعد مجرد قوة تتصل بالكليات العامة بل تحول قاعدة للوعي التفصيلي المحدد للإنسان مواقع الحكمة في حياته بحيث يضع الأشياء في موضعها المناسب، ويدرس الأمور بطريقة واعية وبحسابات دقيقة ولا يكتفي بالنتائج الفكرية فلا بد أن يتحرك في خط النتائج العملية. ثم انطلقت الوصية لتربط الخوف

من الله والعمل للآخرة والتوازن في السلوك الاجتماعي، والاتزان في الكلام بالعقل مما يجعل من هذه الوصية وثيقة إسلامية للمنهج القرآني في تقييم العقل، وفي مسؤولية تحريكه، وفي الأفق الواسع الذي يتحرك من خلاله الإنسان في عالم الفكر والعمل، وبذا يتداخل المنهج الأخلاقي مع المنهج العقلي فلا يقع المسلم في قبضة الخرافة، ولا يتحرك في أجواء الوهم والخيال.

وقد احتشدتْ في وصية الإمام الكاظم عليه السلام إلى هشام بن الحكم مجموعة من العناصر الفنية المتنوعة المتمثلة بالعناصر الإيقاعية والصورية واللفظية والبنائية، ويمكن أن نلمع إلى هذه العناصر بالآتي[٣]:

١ـ العبارة المسجّعة أو المجنّسة التي طغتْ على نص الوصية من ذلك مثلاً قوله: (يا هشام من صدق لسانه زكى عمله، ومن حسنت نيته زيد في رزقه، ومن حسن بره بإخوانه وأهله مدّ في عمره. يا هشام لا تمنحوا الجهال الحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم. يا هشام كما تركوا لكم الحكمة فاتركوا لهم الدنيا. يا هشام لا دين لمن لا مروّة له، ولا مروّة لمن لا عقل له، وأنّ أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً، أما إنّ أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها ...)[٤].

٢ـ العناصر الصورية المتمثلة بعناصر التشبيه والاستعارة والتمثيل والرمز، والتشبيه هو فن من فنون علم البيان في البلاغة العربية يقوم على عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر وجعل أحدهما مشابهاً للآخر لاشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة تشبيه لغرض يقصده المتكلم[٥] فمن التشبيهات قوله عليه السلام: (يا هشام إن مثل الدنيا مثل الحية مسها لين وفي جوفها السم القاتل، يحذرها الرجال ذوو العقول ويهوي إليها الصبيان بأيديهم ... يا هشام مثل الدنيا مثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله)[٦] ، إذ تضمنت الصورة التشبيهية تشبيهين للدنيا: الأول: تشبيهه الدنيا بالحية التي تقتل الإنسان بسمها، والثاني: تشبيهه الدنيا بماء البحر الذي لا يروي الظمآن حتى يموت من الظمأ وكذا قوله: (يا هشام إنّ الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا. كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار...)[٧]، وكذا قوله: (يا هشام إنّ كل الناس يبصر النجوم ولكن لا يهتدي بها إلا من يعرف مجاريها ومنازلها. وكذلك أنتم تدرسون الحكمة ولكن لا يهتدي بها منكم إلا من عمل بها)[٨].

ومن الاستعارات قوله: (يا هشام لا تمنحوا الجهال الحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم)[٩] ، وثمة استعارة مكنية فيها تشخيص فضلاً عن تشبيه بليغ في قوله: (يا هشام إياك والطمع ، وعليك باليأس مما في أيدي الناس، وأمت الطمع من المخلوقين، فإن الطمع مفتاح الذل، واختلاس العقل، واختلاف المروات، وتدنيس العرض، والذهاب بالعلم،...)[١٠]، فقد استعار للطمع موتاً إذ شبّه الطمع بشخص حي دلّ عليه بذكر لازم من لوازمه، ومع هذه الاستعارة وغيرها من الاستعارات (نعايش تلاقياً بين سياقين ودلالتين فالكلمة المستعارة من محيط بعيد عما يجري في السياق الأساسي لا تنفصل دلالتها، وتتحول

بل هي تحمل ظلال السياق القديم، وتكتسب من هذا الإطار الدلالي الجديد فتغدو كلمة جديدة إذ لا تبقى على حالتها السالفة)[11] ، ثم جاء بتشبيه بليغ حُذفَتْ أداته ووجه الشبه فقد شبّه الطمع بمفتاح الذل واختلاس العقل وغيرهما، ومن التمثيل قوله: (يا هشام إن ضوء الجسد في عينه، فإن كان البصر مضيئا استضاء الجسد كله. وإن ضوء الروح العقل...))[12]، وهي صورة استعارية مركبة، فضوء الجسد في البصر، وضوء الروح في العقل أو البصيرة، الصور الجزئية الموجودة في الوصية تشكل بمجموعها صورة كلية إذ الصورة المركبة من (الزرع وعلاقته بالسهل والصفا)، ومن شموخ الرأس وخفضه وعلاقته بالجرح، وعلاقة أولئك بالحكمة، وبالتواضع تشكل صورة كلية، وكذلك تفسر سبب اللجوء إلى العناصر الفنية لتقديم الحقائق المرتبطة بفاعلية العقل، لذا ينتهي الإمام من تقرير هذه الحقائق إلى التعبير عن سمات الشخصية الإسلامية بالمقابلات بذكر الصفة وضدها، وهو ما يسميه البلاغيون بالطباق حتى يوصل هذه الصفات إلى أكثر من سبعين صفة فالإيمان يقابله الكفر، والرجاء يقابله القنوط ، والحفظ يقابله النسيان، والفهم يقابله الغباوة، وغيره[13] كما في قوله لهشام: (إنَّ اللّٰه عَزَّ وجَلَّ خَلَقَ الْعَقْلَ وهُوَ أَوَّلُ خَلْقٍ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ مِنْ نُورِهِ فَقَالَ لَه أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ثُمَّ قَالَ لَه أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ فَقَالَ اللّٰه تَبَارَكَ وتَعَالَى خَلَقْتُكَ خَلْقاً عَظِيماً وكَرَّمْتُكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي...)[14].

٣ـ التضمين أو الاقتباس من القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ، وأقوال أمير المؤمنين عليه السلام، وبعض الأئمة عليهم السلام، وهذا مما يشد تماسك النص بنائياً ونصياً لاسيما وأنّ القرآن والعترة صنوان لا يفترقان بنص النبي ﷺ إذ يقول في ذلك: (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب اللّٰه، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض[15] ، ويعرّف الاقتباس بأنه فن يقوم على تضمين الشعر أو النثر آية قرآنية أو حديثاً أو مثلاً، إما باللفظ والمعنى، وإما بالمعنى دون اللفظ، وذلك بجعل النص المقتبس متداخلاً مع دلالة النص المقتبس له[16]، بحيث لا يفهم منه النقل عن القائل الحقيقي[17]، ويسمى هذا الفن في الدراسات الحديثة بالتناص وظهرت مصطلحات أخرى مرادفة للتناص هي التناصي والتناصية وتداخل النصوص بفعل التأثير الاصطلاحي الذي ظهر في اللغة والنقد[18]. ويعزو كثير من النقاد المعاصرين سبب ظهور هذا الفن واستخدمه في الخطاب النقدي المعاصر إلى تأثير المدرسة البنيوية وما فرضته من قيود صارمة على دراسة النص الأدبي فقد رفضتْ كل أثر يشير إلى المبدع وآرائه ورؤاه الفكرية موكّدة أن النص الأدبي بناء لغوي قائم بذاته ويفسر نفسه بنفسه فلا يحتاج إلى مؤثرات خارجية[19].

ومن اقتباسات الإمام القرآنية قوله: (يا هشام إن اللّٰه تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالأدلة، فقال: **(وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا**

أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة:١٦٣- ١٦٤).

يا هشام قد جعل الله ذلك دليلا على معرفته بأن لهم مدبرا، فقال: (**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**)(النحل:١٢))[٢٠].

ومن تضمين الإمام أحاديث النبي ﷺ قوله: (يا هشام قال رسول الله ﷺ: إذا رَأيتُمُ المُؤمنَ صَموتًا فَأدنوا منهُ فَإنَّهُ يُلقي الحكمَةَ. والمؤمنُ قَليلُ الكَلامِ كَثيرُ العَمَلِ والمُنافقُ كَثيرُ الكَلامِ قَليلُ العَمَلِ)[٢١].

ومن تضمين الإمام أقوال أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (يا هشام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: مَا عُبِدَ اللهُ بشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ ومَا تَمَّ عَقْلُ امْرِئٍ حَتَّى يَكُونَ فيه خِصَالٌ شَتَّى الْكُفْرُ والشَّرُّ منْه مَأْمُونَانِ والرُّشْدُ والْخَيْرُ منْه مَأْمُولَانِ، ...))[٢٢].

٤- الإجمال والتفصيل: ويعرف الإجمال بأنه صياغة الدلالة بعبارات عامة لا تتضح جزئياتها ومعالمها إلا بالتفصيل الذي تتبين من خلاله معالم الشيء وجزئياته[٢٣]، ومثال ذلك في الوصية قوله عليه السلام: (يا هشام إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: لا يَجْلِسُ في صَدْرِ الْمَجْلِسِ إلَّا رَجُلٌ فيه ثَلَاثُ خِصَالٍ، يُجيبُ إذَا سُئِلَ، ويَنْطِقُ إذَا عَجَزَ الْقَوْمُ عَنِ الْكَلَامِ، ويُشيرُ بالرَّأْيِ الَّذي يَكُونُ فيه صَلَاحُ أَهْلِه، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ فيه شَيْءٌ منْهُنَّ فَجَلَسَ فَهُوَ أَحْمَقُ)[٢٤].

ومن ذلك أيضاً في تضمينه قول الإمام الحسن عليه السلام، وقول الإمام السجاد عليه السلام قوله: (وقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام: إذَا طَلَبْتُمُ الْحَوَائِجَ فَاطْلُبُوهَا منْ أَهْلِهَا، قِيلَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّه ومَنْ أَهْلُهَا؟ قَالَ: الَّذينَ قَصَّ اللَّه فِي كِتَابِه وذَكَرَهُمْ، فَقَالَ: (إنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) قَالَ: هُمْ أُولُو الْعُقُولِ، وقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام مُجَالَسَةُ الصَّالحينَ دَاعِيَةٌ إلَى الصَّلَاحِ وآدَابُ الْعُلَمَاءِ زِيَادَةٌ فِي الْعَقْلِ وطَاعَةُ وُلَاةِ الْعَدْلِ تَمَامُ الْعِزِّ واسْتِثْمَارُ الْمَالِ تَمَامُ الْمُرُوءَةِ وإرْشَادُ الْمُسْتَشِيرِ قَضَاءُ لحَقِّ النِّعْمَةِ وكَفُّ الْأَذَى منْ كَمَالِ الْعَقْلِ وفِيه رَاحَةُ الْبَدَنِ عَاجِلاً وآجِلاً))[٢٥] ■

---

١)ينظر: تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي/ د.محمود البستاني ٤٧٦.

٢)ينظر: أدب الشريعة الإسلامية / د.محمود البستاني ٣١١.

٣)ينظر: تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي/ د.محمود البستاني ٤٧٨-٤٧٩.

٤)الكافي/ الكليني ١٥٥/٢، وينظر: تحف العقول/ ابن شعبة الحراني ٣٨٨.

٥)ينظر: أساليب البيان في القرآن / السيد جعفر الحسيني ٢٠٥والبلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي/ د.محمود البستاني ٩٣.

٦)تحف العقول٣٩٦.

٧)المصدر نفسه ،المكان نفسه.

٨)ينظر: المصدر نفسه٣٩٢.

٩)ينظر: المصدر نفسه٣٨٩.

١٠)ينظر: المصدر نفسه ٣٩٩.

١١)جماليات الأسلوب – الصورة الفنية في الأدب العربي/د. فايز الداية ١٢٠.

١٢)تحف العقول ٣٩٦.

١٣)ينظر: تاريخ الأدب العربي ٤٧٩-٤٨٠.

١٤)الكافي للكليني/ ج١ص٢١.

١٥)بحار الأنوار ١٠٠/٢.

١٦) ينظر: البلاغة الحديثة ١١٢.
١٧) ينظر: البلاغة والتطبيق /د.أحمد مطلوب ود. كامل حسن البصير ٤٣٩.
١٨) ينظر: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي/ د. أحمد محمد قدّور١٢٠.
١٩) ينظر: التناص بين النظرية والتطبيق – شعر البياتي نموذجاً / د.أحمد طعمة حلبي ١٣.
٢٠) الكافي للكليني/ ج١ص١٣.
٢١) تحف العقول ٣٩٧.
٢٢) الكافي للكليني/ ج١ص١٨.
٢٣) ينظر: البلاغة الحديثة ٦٤-٦٥.
٢٤) بحار الأنوار ١٤١/١.
٢٥) الكافي للكليني/ج١ص١٩.

الحلم سيد الأخلاق

كان الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى كثير العفو والحلم، وكان يقول: ما آذاني أحد إلّا أخذت في أمره بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفت له فضله، وإن كان مثلي تفضلت عليه، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه. وكان مشهوراً بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته وكان يقول: وجدت الاحتمال أنصر لي من الرجال. وقيل له: ممن تعلمت الحلم فقال: من قيس بن عاصم. كنا نختلف إليه في الحلم، كما يختلف إلى الفقهاء في الفقه، ولقد حضرت عنده يوماً وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فجاؤوا به مكتوفاً، فقال: ذعرتم أخي أطلقوه، واحملوا إلى أم ولدي ديته، فإنها ليست من قومنا، ثم أنشأ يقول:

أقول للنفس تصبيرًا وتعزية ... إحدى يدي أصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

(المستطرف في كل فن مستظرف/الأبشيهي/ج١ص٣١١)

الأستاذ الهاشمي بن علي بن رمضان

حكاية مستبصر

لقد شيَّعني الحسين عليه السلام .... !!

مولده ونشأته:

ولد في مدينة قابس بتونس عام ١٩٦٨م، ونشأ في أسرة تعتنق المذهب المالكي، حصل على شهادة الليسانس في اللغتين الإنجليزية والإيطالية سنة ١٩٩٤م من جامعة تونس، كما أنه يجيد اللغة الفرنسية.

كان الهاشمي منذ طفولته متعلقاً بالدين والمذهب وكان يرى وفق ما أملته عليه البيئة الاجتماعية أن المذهب المالكي هو أفضل المذاهب الإسلامية الأربعة، فيقول: كنت أفاخر بأن المذهب المالكي هو روح الإسلام ولبه، وأنه المذهب الوسط بين المذاهب الإسلامية.

بقي الهاشمي على هذه الحالة حتى دخل مرحلة التعليم الثانوي، فاتجهت رغبته وأنصب شوقه إلى المطالعة التي كان المعلمون يشجعون طلبتهم عليها ويوفرونها لهم مجاناً في المدرسة، ويقول الهاشمي: كان المعلمون يرغبوننا بالمطالعة لتقوية زادنا في العربية والفرنسية، وكان إعطاؤنا القصص يتجاوز المنحى الترفيهي إلى المنحى التعليمي.

التوجه إلى مطالعة التاريخ: يقول الهاشمي: سرعان ما استعضت عن هذه الروايات بشيء أكثر بريقاً وأكثر إمتاعاً، حيث وجدت في التاريخ ضالتي المنشودة التي تحقق لي حاجتي إلى التسلية والتحليق في فضاء أرحب وأوسع، لكن شغفي بالتاريخ فتح عيني على حقيقة عظمى وغيّر من حياتي الشيء الكثير.

المفاجأة بحقائق التاريخ الإسلامي: لاحظ الهاشمي حين قراءته للتاريخ الإسلامي أن فيه تناقضات غريبة وعجيبة من بينها خلاف الصحابة واقتتالهم ومخالفة البعض منهم للكتاب وللرسول صلى الله عليه وآله، فيقول: شعرت بتمزق نفسي كبير بين ما نشأت عليه من عقائد ومقدسات وبين ما أرى بعيني من حقائق. وكانت من جملة الحقائق التي اصطدم بها الهاشمي، أنه سمع ذات يوم من أستاذ مادة التاريخ، حينما مرَّ على معركة صفين أنه قال مبتسماً: فاقترح الداهية عمرو بن العاص فكرة رفع المصاحف حتى يخدعوا جيش علي وينجوا من الهزيمة المنكرة التي بدأت تلوح لهم، فيقول الهاشمي: صعقني جداً هذا الكلام،

فقلت: في نفسي: أعمرو بن العاص يفعل هذا؟! هذا الصحابي الجليل ـ الذي عرفناه من أقطاب الصحابة كما قال لنا شيوخنا ـ يخدع ويمكر؟! إذن أين تقوى الصحابة وإخلاصهم الذي ذكره لنا شيوخنا؟! شعرت حينها بتمزق نفسي شديد بين ثقافتي الإسلامية التي تقدم كل الصحابة وترفعهم إلى صفوف الملائكة وبين حقائق التاريخ إن كانت حقة؟! هل يمكن أن يمارس المؤمن العادي الخداع والمكر؟! فكيف بالصحابة؟! وبحث الهاشمي عن هذه المسألة قليلاً، لكنه لم يجد أي تفاعل ممن حوله، فلم يصل إلى الجواب المقنع، فيقول: قفلت عليها في صدري وألقيت حبلها على غاربها ومضيت.

بداية التعرف على التشيع:

مضت على هذه الحادثة التي واجهها الهاشمي سنوات، حتى شاءت الأقدار أن تجمعه مع صديق قديم وزميل دراسة كان قد افترق عنه مدة من الزمن وإذا به يسمع أنه شيعي! يقول الهاشمي بعد استغرابه من تشيع زميله: كنت قاطعاً ببطلان مذهب الشيعة وإنهم متطرفون في عقائدهم، وكنت أسمع ما كان ينقله البعض حول بكائهم على الحسين وسبهم للصحابة، فيزداد عجبي، وكنت أتمنى أن التقي بواحد منهم لأقنعه أو على الأقل لأعرف لماذا هم هكذا. ومن هنا بدأ الهاشمي يناقش صديقه الشيعي، وخاض معه نقاشات عديدة، حتى بان له الحق، وتعرف على واقع الأمر، واتضح له أحقية مذهب أهل البيت عليهم السلام فيقول: رأيت أن الشيعة مذهب صاف عقلاني مليء بالحجج الدامغة من القرآن الكريم والسنة المحمدية ولا مجال للخرافات والتحريفات والأكاذيب فيه، وهكذا إذًا!! بينما كنت أنسب إلى الشيعة كل قبيح، استفقت على أن مذهبهم حق.

الشيعة والصحابة: إنّ الشيعة لا يسبّون كما قال أعداؤهم، لكن الشيعة أخذت طريقاً وسطاً وعقلانياً ينطبق مع الكتاب والسنّة، فلم يقولوا بعصمتهم جميعاً كأهل السنّة، وكيف يقولون ذلك وفي الصحابة من زنى ومن شرب الخمر ومن قتل النفس ومن حارب سنّة الرسول ومن أشعل الفتن؟! ثم إنّ الرسول صلى الله عليه وآله نفسه كان يقيم الحدود كحدّ السرقة والزنا وشرب الخمر، فعلى من كان يقيم تلك الحدود؟! أليس على أصحابه المسلمين، وإلّا فالكافر بعيد عن المجتمع المدني بطبيعة الحال.

ولو نظرت إلى كتب الشيعة لرأيتها مليئة بمدح الصحابة الذين لم يغيّروا ولم يتغيروا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فهذه الضوضاء التي يُثيرها بعض الغوغاء على الشيعة ليست بأكثر من زوبعة في فنجان، وهكذا كلّ عقائد الشيعة في الواقع كلّها متطابقة مع العقل والنقل، لكن الأعراب أبوا إلّا التهريج وجعلوا أصابعهم في

آذانهم، وكما عرفت فإنّه تسقط بعد هذا عدّة أحاديث مكذوبة، كحديث: أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم، فالصحابة اختلفوا وتنازعوا وأفتى بعضهم خلاف الآخر، فبأيّ واحد أم بأي فريق نقتدي؟!

نعم لقد أوصانا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى بأن نتّبع أهل بيته عليهم السلام، فقال ﷺ: تركت فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما، لن تضلّوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، وهكذا حدّد لنا لمن نرجع بعده ﷺ، والرسول ﷺ: ما كان ليخفى عليه ما سيقع في أمته من الفتن خاصة ما سيحدث بين أصحابه، ولهذا كان من غير المعقول أن يوصي رسول الله والله من ورائه بجميع الصحابة، فهذا بمثابة اجتماع النقيضين كما يقال.

كلمة أخيرة لكل إنسان حر: يقول الهاشمي: أنا من موقعي هذا أدع كل إنسان حر أن يطلع على كتب الشيعة وعلى آرائهم من دون واسطة، ويدعو الهاشمي جميع أبناء العامة إلى البحث حول التشيع، فيقول: جرِّبوا أن تطالعوا عن التشيع والشيعة الاثني عشرية، فليس في ذلك بأس ولا ضرر ولا فتنة ولا سمّ كما يدعي بعض (العلماء) المتحجرين.

كتب بحوثاً حول الشيعة وعقائدهم والتشيع وطبع له كتابان: (الصحابة في حجمهم الحقيقي)، و (حوار مع صديق شيعي).

نقل بتصرف عن: (موسوعة من حياة المستبصرين ـ مركز الأبحاث العقائدية ـ ج٣ ص٥١١).

من تواضع النبي ﷺ:

عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: مَا أَكَلَ رَسُولُ الله ﷺ مُتَّكِئاً مُنْذُ بَعَثَه الله عَزَّ وجَلَّ إِلَى أَنْ قَبَضَه، وكَانَ يَأْكُلُ إِكْلَةَ الْعَبْدِ ويَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، قُلْتُ: ولِمَ ذَلِكَ ؟، قَالَ : تَوَاضُعاً للهِ عَزَّ وجَلَّ.

الكافي: ج٦، ص٢٧١

أحاديث في حق فاطمة الزهراء عليها السلام:

قال رسول الله (ص):

* فاطمة سيّدة نساء العالمين.
* فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني.
* فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي.
* فاطمة بضعة مني وسيدة نساء العالمين، ثم قال سيدة نساء أهل الجنة.
* وقال (ص) مخاطباً فاطمة (ع): ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء أهل الجنة، وفي رواية: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة.
* فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها.
* إن فاطمة بضعة مني، وهي روحي التي بين جنبي، يسوؤني ما ساءها، ويسرني ما سرها.
* يا علي إن فاطمة بضعة مني وهي نور عيني وثمرة فؤادي يسوؤني ما ساءها ويسرني ما سرها وإنها أول من يلحقني من أهل بيتي فأحسن إليها بعدي.

عن عائشة، أنها قالت: أقبلت يوما فاطمة بنت رسول الله (ص)، تمشي - كأن مشيتها – مشيته، فلما رآها رسول الله (ص) قال: مرحبا يا بنتي.

ثم أجلسها إلى جانبه، فأسرّ إليها سرًا. فبكت.

فقلت لها: سبحان الله، خصك رسول الله (ص) بسره وتبكين!

ثم أقبل عليها رسول الله (ص)، فأسرّ إليها سرًا أيضًا، فضحكت.

فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن وضحكًا أقرب من بكاء.

ثم سألتها بعد ذلك عما أسرّهُ إليها رسول الله (ص).

فقالت: ما كنت لأفشي سِرّه في أيام حياته.

فلما قبض رسول الله (ص) سألتها عن ذلك.

فقالت: إنه أسرّ إليّ: يا فاطمة، إن جبرائيل (ع) كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة، وإنه عارضني به في هذا العام مرتين، لا أراني إلا وقد حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحوقا بي، فبكيت.

ثم أسرّ لي ثانيًا، فقال لي: يا فاطمة، إني لك نعم السلف أوما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو قال: نساء المؤمنين، فسررت بذلك، وضحكت.

(شرح الأخبار/القاضي النعمان المغربي/ج٣ص٢٣)

للصديقة الزهراء
قصيدة في ذكرى استشهاد الزهراء عليها السلام

المرحوم الشيخ عبد المنعم الفرطوسي

شجونٌ تستهل لها الدموعُ ... وتحرق من لواعجها الضلوع
وقفت على البقيع فسال طرفي ... وقلبي فالدموع هي النجيع
كأن مصيبة الزهراء بيتٌ ... بقلبي للأسى وهو البقيع
أمثلُ البضعة الزهراء تجفى ... ويعفا قبرها وهو الرفيع[1]
ويغصب حقها جهرًا وتؤذى ... بحيث وصية الهادي تضيع
تُصدّ عن البكاء على أبيها ... فتحبس في محاجرها الدموع
وتقتطع الأراكة حين تأوي ... لظل غصونها كفٌ قطيع
ويحرق بيتها بالنار حقداً ... ويُهتك سترها وهو المنيع
ويُكسر ضلعها بالباب عصراً ... فيسقط حملها وهو الشفيعُ
ويدمي صدرها المسمار كسراً ... فينبع بين ثدييها النجيع
ويُنثر قرطُها لطماً ويُلوى ... عليها السوط والسيف الصنيع[2]
وحمرة عينها للحشر تبقى ... بها من كف لاطمها تشيع
تنوح فتسمع الشكوى وتدعو ... وما في المسلمين لها سميع
مصائب بالفظاعة قد تناهت ... وكل مصيبة خطب فظيع[3]
قضت ألماً من الزهراء فيها ... حشاشة قلبها وهو المروع[4]

* * * * *

١ـ عفا (يعفو) الشيء: انمحى ودرس أثره.
٢ـ الصنيع: السيف الصقيل.
٣ـ الفظيع: شديد البشاعة.
٤ـ المروع: الخائف.

عقيل اللواتي

أم البنين عليها الله قد سدلا ... جلباب فضلٍ به جبريلُ قد نزلا
تجلببت فاطمٌ جلباب خالقها ... لما استقرت ببيتٍ آلهُ فُضلا
عاشت مكرمةً في حِضنِ حيدرةٍ ... كما يعيشُ الذي للخلد قد وصلا
أضحتْ تُربي بني الزهراءِ تخدمهم ... كالأم صارت لهم ، أنعم بها مثلا !
و استأثرتْ اسمها أكرم بما نطقتْ: ... (أم البنين أنا لا أرتضي بدلا)
اسمي يهيجُ عليهم حزن أُمهمُ ... إن قيل: فاطم قال: الدمع حيٍّ على
فلا أحبُّ بأنْ تبكي لهم مقلٌ ... و لا أحبُّ لهذا الحزن أنْ يصلا
أم البنين أنا و الكلُّ يعرفني ... في كنيتي نبأٌ بالغيب قد وُصلا
أم البنين أنا و الله أيدني ... بأنجم نورها تا الله ما أفلا
علمتهم حب أهل البيت في صغرٍ ... فاستعصموا بالولا و القصدُ قد حصلا
قد قدموا النفس في مرضاة خالقهم ... فالبذلُ شيمتهم ، أعظم بما بُذلا!
و استرخصوا الروح في إنقاذ سيدهم ... أعني الحسين و لكن بالظما قُتلا
يا ليتني قد طواني الموتُ قبلهمُ ... و لا سمعتُ بناعي الطف قد دخلا
إلى المدينة ينعى و هو منتحباً ... يا أهل يثرب عنكم عزكم رحلا
سائلتُهُ و فؤادي نارُهُ اضطرمتْ ... أين الحسين ؟ و دمع العين قد همل
تصبري فاطمٌ أشبالكم قتلوا ... و ذاك مربعهم بعد الأنيس خلا
أين الحسين ؟ سؤالي هل تجاوبني؟ ... فإن قلبي من الأحزان قد شعلا
فقال: عذرا فعباسُ الإباءِ رقى ... عرش الشهادة لما خرَّ منجدلا
ناديتُهُ و هو باكٍ أين سيدهم ؟ ... فقال : سيدهم في كربلا قُتلا
ثاوٍ على الأرض و الأملاكُ تحرسُهُ ... ملقى ثلاثاً و لا شُلوٌ له حُملا
و عندها صحتُ وا حزني على ولدي ... و بعدهُ لم أزل في كربةٍ وبلا

في الذاكرة

شهر جمادى الأولى

٥ مولد السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام سنة ٥ هـ.

٦ واقعة مؤتة وشهادة جعفر الطيار عليه السلام سنة ٨ هـ.

٨ وفاة السيد محمد باقر الخونساري صاحب كتاب (روضات الجنات) سنة ١٣١٣ هـ.

٩ استشهاد الشهيد الأول (محمد بن مكي العاملي) سنة ٦٨٧ هـ.

١٠ واقعة الجمل سنة ٣٦ هـ.

١١ ولادة الخواجة نصير الدين الطوسي سنة ٥٩٧ هـ.

١٣ شهادة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله (على رواية) سنة ١١ هـ.

١٤ دفن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ليلًا حسب وصيتها.

١٥ ولادة الإمام زين العابدين عليه السلام (على رواية) سنة ٣٨ هـ.

١٥ فتح البصرة لأمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل سنة ٣٦ هـ.

١٦ غزوة ذات الرقاع التي استمرت ثلاثة أيام وصلى بها المسلمون صلاة الخوف سنة ٤ هـ.

١٩ شـــهادة زيد بن صوحان رضي الله عنه مـــن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في حـــرب الجمل عام ٣٦ هـ.

٢٧ وفاة عبد المطلب جد النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وللرسول ثماني سنوات وشهران وعشرة أيام،

٢٧ الفاجعة الثانية في تفجير منارتي الإمامين العسكريين عليهما السلام عام ١٤٢٨ هـ .

٢٩ وفاة السفير الثاني محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه سنة ٣٠٥ هـ.

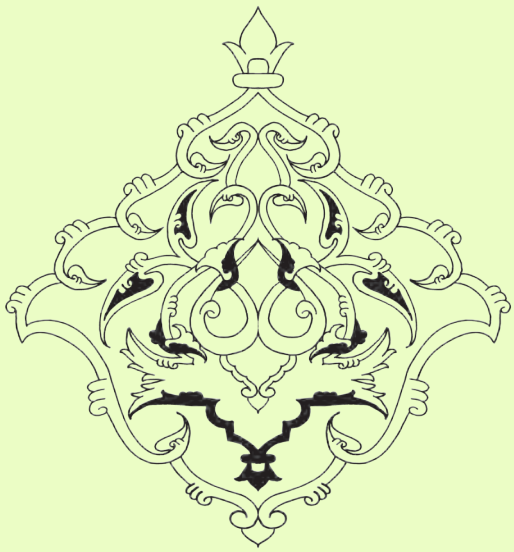

في الذاكرة

شهر جمادى الآخرة

٣ استشهاد فاطمة الزهراء عليها السلام (على رواية) سنة ١١ هـ.

٣ هلاك هارون (الرشيد) سنة ١٩٣ هـ.

٩ وفاة السيد عبد الحسين شرف الدين (صاحب كتاب المراجعات) سنة ١٣٧٧ هـ.

١٢ خروج النبي صلى الله عليه وآله إلى خيبر سنة ٧ هـ.

١٣ وفاة فاطمة بنت حزام (أم البنين) زوجة أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٦٤ هـ.

١٥ ولادة الإمام السجاد عليه السلام سنة ٣٨ هـ (على رواية).

١٥ هلاك الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ.

١٨ وفاة الشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره سنة ١٢٨١ هـ.

٢٠ ولادة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام السنة الخامسة للبعثة.

٢١ وفاة السيدة أم كلثوم بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٦١ هـ بعد ٤ أشهر من واقعة الطف ورجوعها إلى المدينة.

٢٣ وفاة الشيخ جعفر بن سعيد (المحقق الحلي) (على رواية) سنة ٦٧٦ هـ.

٢٦ استشهاد الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام (على رواية) سنة ٢٥٤ هـ.

٢٩ وفاة السيد محمد البعاج (سبع الدجيل) ابن الإمام الهادي عليهما السلام سنة ٢٥٢ هـ.

وصاة

وقفة مع الذكرى

واقعة مؤتة وشهادة جعفر الطيار رضي الله عنه

في السادس من جمادى الأولى عام ٨ هـ.

جعفر بن أبي طالب الطيّار ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأخو الإمام عليّ عليه السلام لأبويه، كان أشبه الناس برسول الله خَلقًا وخُلقًا، أسلم بعد إسلام أخيه، وله هجرتان، هجرة إلى الحبشة وهجرة إلى المدينة، لمّا قدم من الحبشة بعد فتح خيبر اعتنقه رسول الله صلى الله عليه وآله وقبّل بين عينيه، وقال: (ما أدري بأيّهما أنا أشدّ فرحًا بقدوم جعفر أم بفتح خيبر)[1].

أرسل النبي صلى الله عليه وآله في السنة السادسة رسائل إلى ملوك العالم، ومنها إلى هرقل الروم، فأجابه هرقل جواباً ليناً، لكنه أخذ يستعد لغزو المدينة، ويجمع قواته في دومة الجندل في الجزيرة وفي الشام. فكانت غزوة مؤتة عملية استشهادية لإثبات القوة النوعية للمسلمين، ليتراجع هرقل عن خطته. واختار لها النبي صلى الله عليه وآله ثلاثة قادة أبطال: جعفر بن أبي طالب، فإن قُتل فزيد بن حارثة، فإن قتل فعبد الله بن رواحة. واختار لها مكاناً قريباً من القدس،

حيث كان هرقل نذر أن يحج ماشياً شكراً للمسيح عليه السلام لأنه بزعمه نصره على كسرى!

وكان جيش المسلمين ثلاثة آلاف، فاشتبكوا مع الروم في مؤتة، وكان قد تجاوز المائة ألف مقاتل، وكان النبي صلى الله عليه وآله على منبره في المدينة يصف معركتهم. وتقدم القادة الثلاثة وأظهروا بطولة نادرة، وقاتلوا حتى استشهدوا رضوان الله عليهم، وبعد شهادتهم وقعت الهزيمة في المسلمين[٢].

كان جعفر بن أبي طالب عليه السلام يحمل الراية، فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء، فعرقبها، ثم قاتل القوم حتى قتل، فكان جعفر أول رجل من المسلمين عرقب فرساً له في سبيل الله.. وهو يقول:

يا حبـــذا الجنـــة واقترابهـــا
طيبـــة وبـــارداً شـــرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافـــرة بعيـــدة أنســـابها
عليَ إذ لاقيتهـــا ضرابهـــا

كان جعفر بن أبي طالب يحمل اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل (رحمه الله تعالى، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. ولمّا قطعت يداه، قال النَبيّ صلى الله عليه وآله: (أبدله الله جناحين يطير بهما في الجنّة). ولما قتل وجد به بضع وسبعون جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح[٣]. ■

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

لما ولد رسول الله صلى الله عليه وآله أُلقيت الأصنام في الكعبة على وجوهها، فلما أمسى سمع صيحة من السماء: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا.

بحار الأنوار: ج١٥، ٢٧٤.

١ـ منتهى المطلب/العلامة الحلي/ج٥هـ ص٤٥٩.
٢ـ قراءة جديدة للفتوحات الإسلامية/علي الكوراني/ج٢ص١٩.
٣ـ أسد الغابة/ابن الأثير/ج١ص٢٨٨.

للفضيلة نجومها

السفير الثاني محمد بن عثمان العمري دراسة في سيرته ومكانته العلمية

ساجد صباح العسكري
ذي قار- العراق

ينابيع

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

محمد بن عثمان بن سعيد العمري بفتح العين، يكنى أبو جعفر[1]، تشرف بخدمة صاحب الزمان والنيابة الخاصة عنه، وأبوه عثمان بن سعيد السفير الأول للإمام المهدي (عج).

ولقب بالعمري، اعتماداً على ما قيل في حق أبيه، نسبةً إلى جده، فقد روى الشيخ الطوسي في الغيبة (قال قوم من الشيعة: إن أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام قال: لا يجمع على امرئ بين عثمان وأبو عمرو. وأمر بكسر كنيته، فقيل العمري، ويقال له: العسكري أيضًا، لأنه كان من عسكر سر من رأى، ويقال له: السمّان، لأنه كان يتجر في السمن تغطية على الأمر)[2].

ولقب بالخِلّاني، نسبة إلى بيعه الخلّ، حيث كان يكتسب به تستراً بالكسب عن ضغط بعض المتعصبين من أهل الخلاف، كما كان والده عثمان بن سعيد يبيع السمن حتى عرف بالسمّان، وقيل: إن من حلمه وورعه وعقليته الجبارة، ووداعته وصفائه، وكان لا يحمل حقدًا على أحد قط فهو خِلٌ لكل إنسان، صاحب وصديق، فاشتهر عند الناس بالخِلّاني[3].

وينتسب لقبيلة بني أسد لذا لُقب بـ (الأسدي)، وقبيلة بني أسد من القبائل العربية العدنانية العريقة التي يرجع نسبها

إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان سكنوا نجد ثم سكنوا العراق في الكوفة تحديداً في بداية ظهور الإسلام[٤]، ولقبيلة بني أسد مواقف مشرفة مع الرسول ﷺ ومع الأئمة المعصومين عليهم السلام[٥].

مكانته العلمية والاجتماعية:

أجمع المترجمون لحياته على وثاقته وعدالته وأن له منزلة عظيمة عند الشيعة، وخصوصاً بعد أن تولى شؤون السفارة والنيابة الخاصة عن الإمام المهدي (عج)، وتضافرت الروايات الدالّة على جلالة شأنه وعظم مقامه[٦].

كان أبوه من خواص أصحاب الإمام الهادي عليه السلام، وبابه، ووكيله، ثم تشرف بمقام النيابة الخاصة، فكان السفير الأول للإمام المهدي (عج).

جاء في حق الشيخ محمد بن عثمان وأبيه كثير من نصوص المدح والثناء على لسان المعصومين، وأصحاب التراجم والسير، ومما جاء في حقهما:

ما رواه الكليني عن الإمام العسكري أنه قال: (العمري وابنه ثقتان، فما أديا إليك عني فعني يؤديان وما قالا لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعمها فإنهما الثقتان المأمونان، فهذا قول إمامين قد مضيا فيك)[٧].

وما رواه الشيخ الطوسي بسنده إلى عبد الله بن جعفر الحميري قال: خرج التوقيع إلى أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري في التعزية بأبيه، وفيه: (أجزل الله لك الثواب، وأحسن لك العزاء، رزئت ورزئنا وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسرَّه الله في مُنقلبه، وكان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخلفُه من بعده، ويقوم مقامه في أمره، ويترحم عليه...) إلى أن يقول له: (أعانك الله وقوّاك وعضدك ووفّقك، وكان لك ولياً وحافظاً وراعياً وكافياً)[٨].

وفي حديث آخر يرويه الشيخ الطوسي: (إنا لله وإنا إليه راجعون تسليمًا لأمره ورضىً بقضائه، عاش أبوك سعيدًا ومات حميدًا فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام، فلم يزل مجتهدًا في أمرهم، ساعيًا فيما يقربه إلى الله عز وجل وإليهم، نضر الله وجهه، وأقاله عثرته)[٩].

ومنه أيضًا ما جاء بتوقيع الإمام المهدي (عج): (... وأما محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل، فإنه ثقتي وكتابه كتابي ...)[١٠].

وروى الشيخ الطوسي بسنده عن محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي أنه خرج إليه بعد وفاة أبي عمرو: والابن وقاه الله لم يزل ثقتنا في حياة الأب رضي الله عنه وأرضاه ونضر وجهه، يجري عندنا مجراه، ويسد مسده، وعن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل...)[11].

فهذا الثناء من المعصوم والترضي عليه يدل على عظيم المنزلة، وكونه أهلاً لأن ينوب مناب الإمام في الغيبة الصغرى.

فقد ورد أنه: (لم تزل الشيعة مقيمة على عدالة عثمان بن سعيد رحمه الله تعالى وغسله ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان، وتولى القيام به، وجعل الأمر كله مردودًا إليه، والشيعة مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته لما تقدم له من النص عليه بالأمانة والعدالة، والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن عليه السلام وبعد موته في حياة أبيه عثمان بن سعيد، لا يختلف في عدالته، ولا يرتاب بأمانته، والتوقيعات تخرج على يده إلى الشيعة في المهمات طول حياته بالخط الذي كانت تخرج في حياة أبيه عثمان، لا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره، ولا يرجع إلى أحد سواه، وقد نقلت عنه دلائل كثيرة، ومعجزات الإمام ظهرت على يده، وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم في هذا الأمر بصيرة، وهي مشهورة عند الشيعة)[12].

وروى الشيخ محمد بن عثمان العمري عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام والإمام المهدي (عج)، وله كتبٌ مصنَّفة في الفقه ممّا سمعه منهما ومن أبيه عثمان عن الإمامين الهادي والعسكريّ عليهما السلام، منها كتاب (الأشربة).

وقد ذُكر أنّها صارت في يد أبي القاسم الحسين بن روح عند الوصية إليه، ثمّ إلى أبي الحسن محمد بن علي السمري[13].

تحمل الشيخ العمري أعباء السفارة وسار بها بأحسن ما يكون رغم أن مدة سفارته من أطول السفارات، وكثر فيها المدعون للسفارة كذباً، الأمر الذي تطلب منه المواجهة الحاسمة معهم، ثم مهد بعد ذلك لسفارة الحسين بن روح من خلال أساليب عديدة سنذكرها لاحقاً إن شاء الله.

فكان حقيقاً بأن يكون الشخص المناسب في تلك المرحلة، بتأدية ما كلف به من قبل المعصوم على أكمل وجه.

التمهيد لمن يخلفه في السفارة

كان من ضمن الواجبات المناطة بالسفير محمد بن عثمان رضي الله عنه هو التمهيد والتهيئة لمن يخلفه بالسفارة والنيابة عن الامام (عج) وإعلام الشيعة بذلك وترويضهم عليه، وقد قام بعدة أعمال تلفت النظر لدى الشيعة بالشخص الذي سيخلفه وبأهميته، وقد ابتدأ تلك الأعمال قبل رحيله بسنتين أو أكثر، ومما قام به:

١- حدث أبو عبد الله جعفر بن محمد المدائني ... قال: كان من رسمي إذا حملت المال الذي في يدي إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري قدس سره أن أقول له: ما لم يكن أحد يستقبله بمثله: هذا المال ومبلغه كذا وكذا للإمام عليه السلام، فيقول لي: نعم دعه فأراجعه، فأقول له: تقول لي: إنه للإمام؟ فيقول: نعم للإمام عليه السلام فيقبضه.

فصرت إليه آخر عهدي به قدس سره ومعي أربعمائة دينار، فقلت له على

رسمي، فقال لي: امض بها إلى الحسين بن روح، فتوقفت فقلت: تقبضها أنت مني على الرسم؟ فرد علي كالمنكر لقولي، وقال: قم عافاك الله فادفعها إلى الحسين بن روح.... (فتلكأ في الذهاب) .... فقال لي وهو مغضب: قم عافاك الله، فقد أقمت أبا القاسم حسين بن روح مقامي ونصبته منصبي، فقلت: بأمر الإمام؟ فقال: قم عافاك الله كما أقول لك، فلم يكن عندي غير المبادرة. فصرت إلى أبي القاسم بن روح وهو في دار ضيقة فعرفته ما جرى فسر به وشكر الله عز وجل ودفعت إليه الدنانير، وما زلت أحمل إليه ما يحصل في يدي بعد ذلك (من الدنانير)[١٤].

٢ـ حدث أبو جعفر محمد بن علي الأسود ﷺ قال: كنت أحمل الأموال التي تحصل في باب الوقف إلى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري ﷺ فيقبضها مني، فحملت إليه يومًا شيئًا من الأموال في آخر أيامه قبل موته بسنتين أو ثلاث سنين، فأمرني بتسليمه إلى أبي القاسم الروحي رضي الله عنه، فكنت أطالبه بالقبوض، فشكا ذلك إلى أبي جعفر رضي الله عنه فأمرني أن لا أطالبه بالقبوض، وقال: كل ما وصل إلى أبي القاسم فقد وصل إلي، فكنت أحمل بعد ذلك الأموال إليه ولا أطالبه بالقبوض[١٥].

٣ـ وقبل وفاته رضوان الله عليه فقد أوصى بأبي القاسم حسين بن روح أن يكون خلفاً له، وقد وردت عدة روايات بهذا الصدد وللاختصار نكتفي بهذه الرواية:

(....لما اشتدت حاله ـ يعني محمد بن عثمان العمري ـ اجتمع جماعة من وجوه الشيعة،... والأكابر ، فدخلوا على أبي جعفر ـ يعني محمد بن عثمان العمري ـ ﷺ فقالوا له: إن حدث أمر فمن يكون مكانك؟ فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر ﷺ والوكيل له، والثقة الأمين، فارجعوا إليه في أموركم وعوّلوا عليه في مهماتكم فبذلك أمرت وقد بلغت)[١٦].

وهكذا قد أتم الحجة وبلغ عن الإمام ﷺ ما ينبغي عليه أن يبلغه، وبذلك يكون قد ختم سفارته، وسلّم مقاليد الأمانة التي أوكلت إليه إلى من يكمل السفارة بعده بأفضل ما يكون.

٤ـ وفاته ومرقده:

كان الشيخ محمد بن عثمان العمري على علم بزمن موته، إذ حفر لنفسه قبراً وسواه بالساج قبل شهرين من وفاته، فقد روي الشيخ الطوسي بسنده عن أبي الحسن علي بن أحمد الدلال القمي قال: (دخلت على أبي جعفر محمد بن عثمان ﷺ عنه يومًا لأسلم عليه، فوجدته وبين يديه ساجة ونقاش ينقش عليها ويكتب آيًا من القرآن وأسماء الأئمة ﷺ على حواشيها. فقلت له: يا سيدي ما هذه الساجة؟ فقال لي: هذه لقبري تكون فيه أوضع عليها أو قال: أسند إليها وقد عرفت منه، وأنا في كل يوم أنزل فيه فأقرأ جزءًا من القرآن فيه فأصعد، وأظنه قال: فأخذ بيدي وأرانيه، فإذا كان يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا صرت إلى الله عز وجل ودفنت فيه وهذه الساجة معي.

فلما خرجت من عنده أثبت ما ذكره ولم أزل مترقبًا به ذلك فما تأخر الأمر حتى اعتلّ أبو جعفر، فمات في اليوم الذي

ذكره من الشهر الذي قاله من السنة التي ذكرها، ودفن فيه)[١٧].

واختلف في تاريخ وفاته، فقد روي أنّه وجد بخط أبي غالب الزراري أنه توفي في آخر جمادي الأولى سنة ٣٠٥هـ، وروي أنه توفي سنة ٣٠٤ هـ[١٨].

دفن في بغداد في الرصافة، في باب الكوفة قديماً في محلة الخلّاني التي سميت نسبةً إليه، وهو أحد المراكز الشيعية المهمة في بغداد، واليوم يطل مرقده على شارع الجمهورية العام يراه الرائي من بعيد، وله حرم مجلل إلى جانب جامع عامر بالمصلين سمي بجامع الخلاني نسبة إليه، أمامه صحن واسع.

يتميز الجامع عن جوامع العراق والعالم الإسلامي في أن قبته أعلى من منارته حيث لم يلتفت من جدد القبة إلى ذلك إلّا بعد الانتهاء من التجديد، وفيه مكتبة عامرة ذات كتب ومخطوطات قيمة، تعرف بمكتبة الخلاني تأسست سنة ١٣٦٤ هـ [١٩].

ذكر الرحالة مصطفى بن كمال الدين الصديقي الدمشقي قبر الشيخ محمد بن عثمان العمري في كتابه (كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان، الورقة ٥٧)، عند نزوله في بغداد سنة١١٣٩هـ -١٧٢٦م[٢٠].

جُدد مرقده سنة ١٣٤٩هـ، ثم جددت قبته وحرم الشيخ من قبل المتبرع الحاج إبراهيم بن حسن بن وهيب الحمامي عام ١٣٩١هـ -١٩٧١م[٢١].

لم يسلم المزار والمسجد من الاعتداءات الإرهابية التي لحقت المزارات في العراق، فقد تعرض لاعتداء إرهابي بشاحنة مفخخة بتاريخ ٢٠٠٧/٦/١٩م، أدت إلى استشهاد ٧٨ شهيداً وجرح أكثر من ٢٠٠ آخرين، وأسفر أيضا عن تدمير جزءٍ كبيرٍ من جامع الخلاني[٢٢]■

---

١)ينظر خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ٢٥٠.
٢)الغيبة/الشيخ الطوسي :ص ٣٥٤.
٣)مراقد المعارف، حرز الدين : ١/ ٢٧٨.
٤)ينظر معجم قبائل العرب، عمر كحاله: ٢١/١.
٥)ينظر سلسة القبائل العربية في العراق/الشيخ علي الكوراني:٥/١٧-٧٤.
٦) ينظر موسوعة طبقات الفقهاء : ٤٢٦/٤.
٧) الكافي، الكليني: ٣٣٠/١.
٨) ٨- الغيبة/الشيخ الطوسي/ص٣٦١.
٩) ن.م.
١٠) ن.م/ ص٢٩١.
١١) ن.م.
١٢) ن.م/ ص٣٦٣
١٣) ن.م.
١٤) ن.م/ص٣٦٨
١٥) ن.م.
١٦)ن.م.
١٧) ن.م/ص٣٦٥.
١٨)ن.م.
١٩) ينظر مراقد المعارف : ٦٢/٢.
٢٠) الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) على الموقع : ar.m.wikipedia.org\ جامع- الخلاني/ \wiki//https:.
٢١) موقع المجمع العالمي لمعرفة الشيعة والتشيع على الرابط:
٢٢) http://shiastudies.net/article/arabic/ Article.php?id=٧٩٢٧.
٢٣) موقع طريق كربلاء على الموقع:
http://www.tariq- a. ١٩=part& .karbala.net/?cat

البهلول والرشيد

علي بن ربيعة الكندي قال: خرج الرشيد إلى الحج، فلما كان بظاهر الكوفة إذ بصر بهلولا المجنون على قصبة وخلفه الصبيان، وهو يعدو.

فقال: من هذا؟

قالوا: بهلول المجنون.

قال: كنت أشتهي أن أراه فأدعوه من غير ترويع.

فقالوا له: أجب الخليفة. فعدا على قصبته.

فقال الرشيد: السلام عليك يا بهلول.

فقال: وعليك السلام يا أمير.

قال: كنت إليك بالأشواق.

قال: لكني لم أشتق إليك.

قال: عظني يا بهلول.

قال: وبم أعظك هذه قصورهم وهذه قبورهم.

قال: زدني فقد أحسنت.

قال: يا أمير من رزقه الله مالا وجمالا، فعف في جماله وواسى في ماله كتب في ديوان الأبرار، فظن الرشيد أنه يريد شيئًا.

فقال: قد أمرنا لك أن يقضى دينك.

فقال يا أمير لا يقضى الدين بدين، أردد الحق على أهله، وأقض دين نفسك من نفسك.

قال: فإنا قد أمرنا أن يجرى عليك.

قال: يا أمير، أترى الله يعطيك وينساني؟ ثم ولى هاربا.

(مواقف الشيعة/ الأحمدي الميانجي/ ج٣ص٢١٥)

للفضيلة نجومها

الشيخ محمد رضا المظفر رائد التجديد

الدكتور عادل عباس النصراوي
كلية التربية الأساسية ـ جامعة الكوفة

ينابيع

النجف الأشرف مدينة قلّ نظيرها في دنيا الله على هذه المعمورة، أنجبت الفحول من العلماء والرواد من أهل المعرفة والعلم. لم تخل ساحة من ساحات السباق العلمي إلا ووجدت فيها عالمًا قد استقى علمه من نميرها العذب، هي مدينة العلم والعلماء، ومدينة السهل الممتنع في كلّ ذلك، لا تبارى بما عندها، ولا يباريها أحد خجلًا وحياءً؛ لأنها استمدت جلّ علمها من علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته الكرام، وهي وريثة الكوفة ومدرستها العلمية التي شغلت الدنيا بعلمها وحلقات درسها ومشايخها.

الشيخ محمد رضا المظفر واحد من أولئك الأبناء البررة الذين ولدوا على أرضها وتربوا وترعرعوا فيها، ونهلوا من علمها، وتفضلت عليه بكلّ ذلك، فأرجع الفضل فضلين، فأهداها أن يكون علمًا من أعلامها، وأن يكون مجددًا في منهجها ودرسها العلمي العتيد.

والشيخ محمد رضا هو ابن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ أحمد، وُلد في مدينة النجف عام ١٩٠٤م، الموافق لسنة ١٣٢٣هـ، بعد وفاة والده بستة أشهر، فلم يكحل ناظريه برؤيته، غير أنه كان يراه في بصيرته بما أهدى له من علم وفهم وكرامة. وله ثلاثة إخوة من أمه وأبيه هم: الشيخ محمد حسن والشيخ

محمد حسين، والشيخ محمد علي وكان تاجرًا، وقد كفلهم جميعا أخوهم الأكبر الشيخ عبد النبي الذي أصبح عالما مجتهدًا فيما بعد.

تتلمذ الشيخ محمد رضا على ثلة من علماء عصره في بدء دراسته وهم:

١ـ الشيخ محمد حسن المظفر (أخوه الأكبر).

٢ـ الشيخ محمد طه الحويزي.

٣ـ مرتضى الطالقاني.

وحضر الأبحاث العالية في الفقه والأصول والفلسفة على العلماء الأعلام:

١ـ الشيخ محمد حسين النائيني (ت١٣٥٥هـ).

٢ـ الشيخ ضياء الدين العراقي (ت١٣٦١هـ).

٣ـ محمد حسين الأصفهاني (ت١٣٦١هـ).

٤ـ الشيخ محمد حسن المظفر.

٥ـ السيد عبد الهادي الشيرازي.

ودرس العلوم الرياضية ومبادئ العلوم الطبيعية على الطريقة الحديثة، فضلًا عن دراسته الدينية، وبرع في فنون العربية وعلومها كالشعر والعروض والبيان وغيرها. وكان ذا قلم جميل وأسلوب رائع، وكان يقرض الشعر، وله كثير ومنه القصيدة التي قالها في رثاء الإمام الجواد عليه السلام واستهلها بقوله:

أيها المدجلون للمنهل العذ
ـب قفوا لي فللرفيق أناة
أنا ذيّاك مثقل طوت بي
للتواني الآهات والعاهات
وخذوا في يد الضعيف رفقا
هذه في طريق العثرات
أوقدوا لي من الحياة ولا مصبا
ح فقد أظلمت بي الطرقات
ظلمات هذي الحياة ولا مصبا
ح إلا ما أوقدته الهداة
عنصر في الوجود كوّنه الله
فكانت بنوره النيرات
مثل النور والزجاجة
والمصباح أنتم وأنتم المشكاة
أنتم النور للكليم على الطور
وأنتم لآدم الكلمات
أنتم باب حطـّة من أتاه
كان أدنى الجزاء فيه النجاة
وكفى مفخرا بغير ولاكم
لا يتمّ الصيام والصلوات

آثاره العلمية:

اشتغل الشيخ محمد رضا المظفر

بالدرس والتأليف بعد أن استكمل أدواته العلمية تدعمه ذاكرة وقّادة وحسّ مرهف بما يعمل، فهو لا يترك صغيرة ولا كبيرة في ما يدرس إلّا أشبعها درسًا وفهمًا ومراجعة، فبرع في فنون عصره من فقه وأصول ومنطق وفلسفة، حتى بزّ كثيرًا من أقرانه، وخلّف مجموعة من كتب الأصول والمنطق والفقه وغيرها منها:

١.السقيفة ألفه عام ١٩٥٢م.
٢.المنطق.
٣.عقائد الشيعة، وطبع فيما بعد باسم عقائد الأمامية.
٤.على هامش السقيفة، وهو رسالة في جواب على بعض الردود.
٥.أصول الفقه.
٦.حاشية المكاسب على الخيارات فقط.
٧.أحلام اليقظة في ترجمة الحكيم صدر الدين الشيرازي صاحب (الأسفار).
٨.فلسفة ابن سينا (في ترجمته ونقد بعض آرائه).

مساهماته التجديدية في الحركة الفكرية بالنجف:

أسهم الشيخ محمد رضا المظفر إسهامة كبيرة في حقل المعرفة العلمية، وقد وجّه جل اهتمامه إلى تجديد المنهج العلمي الذي شغل الدرس في حاضرة النجف الأشرف منذ أكثر من ألف عام، فرأى أن ينفث فيه من روح العصر ما يجعله مواكبًا لتطوراته، إذ رأى أن هناك فجوة حاصلة بين ما عليه الدرس الحوزوي النجفي، وبين الدرس العلمي المعاصر، ووجد أن البقاء على ذلك سيؤدي إلى توسيع الهوة بينهما، وأنه لابد من أن يبعث الحياة فيها مرة أخرى كي تساير تقدّم العلوم والفنون العصرية، فتقدم خطوة تجاه تجديد الدرس العلمي في النجف الأشرف، فلمع في ذهنه تأسيس مؤسسة علمية تعنى بتدريس العلوم الدينية، فاتفق مع مجموعة من العلماء الأعلام على تأسيس جمعية باسم (منتدى النشر)، وهم الشيخ عبد الحسين الحلي والسيد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الحجامي وكانت برئاسة الأخير وسكرتارية الشيخ محمد رضا المظفر، ولكن بعد ذلك دبّ الخلاف بينهم فأنسحب أكثرهم ولم يبق منهم إلّا الشيخ محمد رضا المظفر وحده في الميدان، وكان ذلك عام (١٩٥٤م)، وانتخب المظفر لرئاستها منذ سنة ١٣٥٧هـ وجدّد انتخابه في كلّ دورة.

وكان هدفه من إنشاء هذه الجمعية (منتدى النشر) إصلاح النظام التعليمي في النجف، وفي هذا السبيل وضع كتابيه أصول الفقه، والمنطق اللّذين أصبحا وما يزالان محور الدراسة في أكثر الحوزات العلمية في العراق وبلاد الحجاز والبحرين ولبنان وإيران وغيرها من الحوزات العلمية الشيعية في العالم.

لكن عندما بدأ الشيخ بهذا المشروع العلمي التربوي الضخم بدأ الصراع بين الذين يريدون أن تبقى المناهج على ما هو عليه من القديم، وبين الذين يرون أن تجري الأمور وفق أهداف الدين الصحيح التي لا تتنافى مع التطور والتجديد، وقد لقي الشيخ المظفر عقبات كبيرة وأذى في طريقه، لكن من حسن الحظ وبتوفيق من اللّه تعالى أن هذه الفكرة قد لقيت رضا وتأييدا لدى السيد أبي الحسن الأصفهاني حتى أفتى بإنفاق الوجوه الشرعية على هذه الدراسة، وهذا مما

دفع بمشروعه بخطوات متقدمة نحو الأمام وبعث في الشيخ المظفر الأمل مرة أخرى، فازداد حماسة أكثر تجاه مشروعه التجديدي، ومن ثم آمن بفكرته كذلك الشيخ عبد الحسين الحلي فسدّد للمنتدى ومدرسته الخطى، وأقسم من أدارها وعمل بها أن يعملوا مخلصين متبرعين ودون أن يهدفوا إلى شيء سوى تحقيق الفكرة ونجاح المشروع.

أما في الجانب الآخر من حياته العلمية الزاخرة فقد أهمل الشيخ دروسه الخاصة بعد أن كان درسه يغصّ بالطلاب والمريدين، بل كان كثير من الطلبة يتوسطون لديه بأن يكونوا تلامذة عنده قصد الإفادة والتعلّم، وكان حينها أستاذًا ومجتهدًا وربما كانت المرجعية ستؤول إليه، لكنه ألقى وراء ظهره هذه الفكرة وأقبل بكلّه على المنتدى يغذيه بروحه ويحدب عليه كالوليد، فلولا المنتدى لما كان بينه وبين أن يكون مرجعًا روحيًا كبيرًا ما يمكن أن يحول دون ذلك، إذ بلغ درجة الاجتهاد، حتى بدأ المؤتمون يأتمون به على هذا الأساس، إذ شغل بعد أخويه الشيخ محمد حسن والشيخ محمد حسين ـ رحمهما الله تعالى ـ مكانهما في الصلاة والتصدّي للمراجعات الدينية، لكن المنتدى قد أخذ منه كلّ شيء.

إذ اتخذ منه منبرًا للإصلاح والتجديد، فبعد أن امتلك كل الأدوات لذلك شرع في تطبيق أسس التجديد والتطوير في الدرس العلمي، وكان يسانده في ذلك صديقه وجاره الشيخ محمد شريعة، الذي تولى مديرية منتدى النشر، وكان هذا الشيخ مصلحًا ومجدّدًا فالتقى الشيخان على منهج واحد، فعملا سوية بهذا الاتجاه التطويري الجديد، ورافقه في تأسيس المنتدى كأعضاء إداريين ما لا يزيد على بضعة أشخاص، منهم السيد هادي فيّاض الذي لم يألُ جهدًا في تطوير المدرسة حتى تطورت فأسس (كلية الفقه)، وكان الشيخ المظفر أول عميد لها حتى وفاته، ثم تلاه في عمادتها مؤسسوها وبعدهم تلامذته الذين تخرجوا فيها من بعد.

لقد تخرج في المنتدى وكلية الفقه ثُلة ممّن جمع بين فضيلة العلم والتجارة منهم الأديب الحاج محمد صادق القاموسي، والتاجر محمد رضا المسقطي، والسيد محمد حسن القاضي والسيد محمد حسين الصافي، ومن الوعاظ وخطباء المنابر الشيخ أحمد الوائلي والسيد جواد شبر، والسيد عبد الحسين الحجار، والشيخ محمد جواد قسّام، والشيخ مسلم الجابري وغيرهم.

ومنهم من دخلوا الجامعات وحصلوا على الدرجات العليا في دراسة الماجستير والدكتوراه كالشيخ أحمد الوائلي، والسيد محمد بحر العلوم ومحمود المظفر والسيد مصطفى جمال الدين والشيخ عبد الحميد الحر.

حاولت الهيئة المشرفة في المنتدى التي يرأسها الشيخ المظفر أن توسّع من نشاط المنتدى، فأسست مجموعة من المدارس سميت بـ (منتدى النشر) فضلًا عن تأسيس مستوصف صحي باسم المنتدى كذلك.

وأهم ما أسند إلى المنتدى جريدة (الهاتف) التي كانت اللسان الناطق عنه، وكان الشيخ المظفر من أعزّ أصدقاء الجريدة، وآزرها كثيرًا وكتب فيها كثيرًا

وبمواضيع شتى، وكانت منبرًا للشيخ بحق إذ كانت حواراته العلمية تدور من على صفحاتها، حتى أن من أراد أن يعرف حياته ودراسته وأفكاره فمنها، ومن هذه الحوارات ما كان يجري بينه وبين الدكتور مصطفى جواد عن كلمة (فوضى) التي قال عنها المظفر: إنه لا يجوز تعريفها بدخول الألف واللام عليها، في حين كان يرى الدكتور مصطفى جواد بجواز ذلك، عبر أعدادها، وبقي النقاش طويلًا والحوار متجدّدًا بينهما، وكل منهما مصرٌ على رأيه، ولكن عندما علم الشيخ المظفر بأن موقف الدكتور مصطفى جواد كان منه اجتهادًا، استراح من ذلك العناء، غير أنهما أثريا المجلة بعلمهما وأفادا طلبة العلم كثيرًا بما باحت قريحتهما.

بدأ المشوار العلمي للشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في التأليف والكتابة في سنيّ عمره الأولى عندما كان شابًا يافعًا، إذا بدأ يكتب سلسلة من النماذج الأخلاقية تحت عنوان (اسمعني) وهو لم يزل في السنة الثالثة عشرة والرابعة عشرة من عمره. ثم ألف سلسلة كتبه ومؤلفاته التي ذكرت سابقًا.

كان الشيخ المظفر اجتماعيًا يتواصل مع أصدقائه وأقربائه ويحضر مجالس أفراحهم ووفياتهم والمجالس الحسينية، بل كان يدعو لها ويشجع القائمين عليها ويدعمها ـ بل إنه لما ثارت الفتنة حول أداء الطقوس الخاصة بواقعة الطف من لطم وسيوف وتطبير وغيرها كان يدعو إليها مع تهذيبها وإظهارها بشكل حسن، وكان أول من أثارها وأشعل أوارها عالمان كبيران في البصرة هما الشيخ عبد المهدي المظفر والسيد مهدي القزويني، وكانت بينهما منافسة كبيرة، إذ إنّ السيد القزويني قد حرّمها، في حين كان الشيخ عبد المهدي المظفر يدعو إلى التمسك بضرب السيوف والسلاسل وغيرها.

واتسعت هذه المسألة بين التحريم وعدمه حتى ظهرت آثارها في بلاد الشام فاشتعل أوارها بين السيد محسن الأمين ومعارضة السيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ عبد الحسين صادق.

كان آل المظفر يدعون إلى هذه الطقوس حتى استطاعوا أن يستخرجوا فتوى الشيخ حسين النائيني باستحباب هذه الطقوس والحث على إقامتها أحياءً لذكرى أبي عبد الله الحسين عليه السلام. وكان الشيخ محمد رضا المظفر واحدًا من أولئك الداعين إلى التمسك بها.

فهكذا بقي الشيخ دؤوبًا في عمله وموزعًا نفسه بين التدريس والكتابة ومراعاة العادات والتقاليد الاجتماعية والتواصل مع الأهل والأقرباء والأصدقاء وحضور المجالس العلمية المحلية والعربية والعالمية فانتخب عضوًا في المجمع العلمي في العراق، فأثرى المجمع بعلمه وفضله وشارك في اجتماعاته واتصل بالمجامع العلمية العربية والإسلامية من باب التعاون والتلاقح الفكري.

وقد شارك في عدة مؤتمرات علمية عربية وعالمية، فمثل العراق في مؤتمر باكستان عام ١٣٧٦هـ، ومؤتمر جامعة القرويين بمراكش عام ١٣٧٩هـ.

توفي الشيخ المظفر (رحمه الله تعالى) في يوم الجمعة ١٦ رمضان من سنة ١٣٨٣هـ ودفن في مدينة النجف بتشييع مهيب وسط حشود من آلاف المشيعين من أصدقائه ومحبيه وطلبته

وعامة الناس.

أهم المصادر

١)أعلام الشيعة، الدكتور الشيخ جعفر المهاجر، دار المؤرخ العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م).

٢)الأعلام، الزركلي، دار الملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة ١٣.

٣)طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر في القرن الرابع عشر، أغا بزرك الطهراني، المطبعة العلمية في النجف، (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م).

٤)ماضي النجف وحاضرها، الشيخ جعفر محبوبة، مطبعة الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

٥)معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، بيروت ـ لبنان.

٦)معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، تأليف الشيخ محمد هادي الأميني، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ ـ١٩٩٢م).

٧)هكذا عرفتهم، جعفر الخليلي، انتشارات الشريف الرضي، قم، الطبعة الأولى، مطبعة أمير، ١٩٦٣م.

قل... ولا... تقل

قل: نياته حسنة.. ولا تقل: نواياه حسنة.

لأن نيّة تُجمع على نيّات، كما في الحديث الشريف: (إنما الأعمال بالنيات).

قل: أنا مشتاق لرؤيتك.. ولا تقل: أنا متلهف لرؤيتك.

لأن التلهف هو الحزن والحسرة، لا الشوق والحنين.

قل: أعتذر عن عدم الحضور.. ولا تقل: أعتذر عن الحضور.

لأن الاعتذار لا يكون إلّا عن خطأ.

المستشرقون وبشرية النص القرآني

م. م يعقوب يوسف خلف الياسري
كلية التربية / جامعة ذي قار

ينابيع أغلب الباحثين المستشرقين يرون أن النص القرآني هو نتاج من صنع النبي محمد ﷺ، وما المكي والمدني إلا دليل على ذلك، إذ أن المكي والمدني أفرزا لنا أسلوبين قرآنيين مختلفين وما سبب اختلاف هذين الأسلوبين إلا لتأثر النبي محمد ﷺ ببيئة كل مجتمع عاش فيه، فالمجتمع المكي أمي ذو مستوى ثقافي متدني وبعكس ذلك في المدينة فالمجتمع المدني هو مجتمع متحضر فانعكس ذلك على ثقافة النبي فأنتج قرآناً بهذا المستوى وهو القرآن المدني.

وفي هذا البحث بعد أن عرف بالمكي والمدني والمقصود منه في اصطلاح العلماء قدم دراسة نقدية لهذا الاتجاه الذي لا يؤمن بالوحي الإلهي المحمدي.

التعريف بالمكي والمدني

برزت ثلاثة اتجاهات في تحديد مصطلح المكي والمدني وهي:

الاتجاه الأول: إن المكي هو ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة.

الاتجاه الثاني: إن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة وقد جاء الخطاب فيه بقوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أما المدني فهو ما كان الخطاب فيه لأهل المدينة وقد جاء الخطاب بـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ).

الاتجاه الثالث: ومقتضاه جعل الهجرة أساساً للتمييز فصار المكي ما نزل من القرآن قبل الهجرة إلى المدينة وإن كان نزوله في غير مكة، والمدني ما نزل بعد

الهجرة وإن كان نزوله في مكة[1].

وقد رجح العلماء الاتجاه الثالث في تحديد المكي والمدني لأسباب لا مجال للتفصيل فيها هنا [2].

كما أن العلماء بحثوا في الطرق للوصول إلى معرفة المكي والمدني أما بالاعتقاد على ما ورد من روايات عن الصحابة والتابعين التي تؤرخ إلى السورة أو الآية وتشير إلى نزولها قبل الهجرة أو بعدها[3]. أو بالاعتماد على خصائص أسلوبية أو موضوعية يمتاز بها القرآن المكي عن القرآن المدني، وسنحاول أن نعرض لخصائص القرآن المكي والمدني على نحو موجز وفقاً لما أوردته كتب علوم القرآن.

الخصائص الأسلوبية والموضوعية للمكي والمدني

أولاً :- خصائص القرآن المكي:

١- قصر الآيات والسور وإيجازها وتجانسها الصوتي.

٢- الدعوة إلى أصول الإيمان بالله واليوم الآخر وتصوير الجنة والنار.

٣- مجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم.

٤- استعمال السورة لكلمة (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) وعدم استعمالها للكلمة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ).

٥- كل سورة فيها (كلا) فهي مكية.

٦- كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

٧- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي

مكية سوى سورة البقرة.

ثانياً: خصائص القرآن المدني:

١ـ طول السور وإطنابها.

٢ـ تفصيل البراهين والأدلة على الحقائق الدينية.

٣ـ مجادلة أهل الكتاب ودعوتهم إلى عدم الغلو في دينهم.

٤ـ التحدث عن المنافقين ومشاكلهم.

٥ـ التفصيل لأحكام الحدود والفرائض والحقوق والقوانين السياسية والاجتماعية والدولية.

٦ـ كل سورة فيها إذن بالجهاد وبيان لأحكام الجهاد فهي مدنية[٤].

إن ذكر العلماء لخصائص المكي والمدني لم يكن على نحو القطع والجزم وإنها مثبتة ومفيدة للتمييز، بل ذكروا أن هذه الحقائق تلقى ضوءًا على الموضوع وقد تؤدي إلى ترجيح أحد الاحتمالين على الآخر في السور التي لم يرد نص بأنها مكية أو مدنية ولكن الاعتماد على تلك المقاييس إنما يجوز إذا أدت إلى العلم ولا يجوز الأخذ بها لمجرد الظن، فحين نجد سورة تتفق مع السور المكية في أسلوبها وإيجازها لا نستطيع أن نقول بأنها مكية لأجل ذلك إذ من الممكن أن تنزل سورة مدنية وهي تحمل بعض خصائص الأسلوب الشائع في القسم المكي[٥] فهذه الخصائص ليس فيها كشف تام عن المكي والمدني بقدر ما تفيد الاطمئنان لإثباته بمعونة المقاييس الأخرى.

لقد حاول المستشرقون أن يوظفوا المكي والمدني للطعن في إلهية النص القرآني، فقد رأى هؤلاء أن الفروق والميزات التي تلاحظ بين المكي والمدني تدعو للاعتقاد بأن القرآن خضع لظروف بشرية مختلفة اجتماعية وشخصية تركت آثارها على أسلوب القرآن، فالنص القرآني عندهم هو نتاج شخصي للنبي محمدﷺ وسنعرض بعض الشبهات التي طرحها المستشرقون حول المكي والمدني ومنها:

١ـ إن أسلوبي القرآن المكي والمدني متعارضان فالأسلوب القرآني المكي يتسم بالعنف والشدة والحدة والقسوة بينما يتسم الأسلوب المدني بالليونة والصفح والعفو[٦]، لذلك يرى (نولدكه) أن :(التأمل الهادئ حل أكثر فأكثر محل الخيال العنيف والإثارة والحماس في الفترة الأولى)[٧].

٢ـ إن القسمين المكي والمدني منقطعا الصلة، فالقرآن المكي تتسم سوره وآياته بالقصر، وأما المدني فتتسم سوره وآياته بالطول وهذا يدل على تأثر النبي محمد ﷺ بالبيئة فهو كان أمياً في مكة لذلك جاءت سوره وآياته قصيرة، ولما وجد في المدينة بين مثقفين مستنيرين جاءت سور المدني وآياته طويلة[٨]

٣ـ إن القسم المكي خلا من التشريع والأحكام بينما القسم المدني مشحون بتفاصيل التشريع والأحكام وذلك يدل أيضاً على أن القرآن من وضع محمد وتأليفه تبعاً لتأثره بالوسط الذي يعيش فيه فهو في مكة كان أمياً خالياً من المعارف والعلوم ولما حل بالمدينة بين أهل الكتاب والمثقفين جاء قرآنه المدني مليئاً بتلك العلوم والمعارف العالية[٩].

٤ـ إن القرآن المكي خلا من الأدلة والبراهين والحجج بخلاف المدني فقد جاء مليئاً بمثلها وهذا يعني أن القرآن تأثر بالوسط الذي كان فيه محمد ﷺ بالنحو الذي بيّناه في الشبهة السابقة[١٠].

هذه نماذج لشبهات المستشرقين التي حاولوا من خلالها أن يقدموا إشكاليتهم لفهم طبيعة المكي والمدني، إذ أن جهدهم كان منصباً لإثبات أن هناك أسلوبين مختلفين في القرآن الكريم، أسلوب مكي والآخر مدني، ولذلك ظن المستشرقون أن بوسعهم ترتيب القرآن ترتيباً زمنياً تبعاً لاختلاف الأسلوب وقد ظهر ذلك واضحاً في دراسة المستشرق نودلكه والذي تأثر بدراسته عدد كبير من المستشرقين في عالم الدراسات القرآنية وسيتبين من خلال البحث أن اختلاف الأسلوب بالنحو الذي بينه المستشرقون لا يصمد أمام البحث العلمي.

شبهات المستشرقين في الميزان النقدي

يمكن الإجابة عن شبهات المستشرقين التي ساقوها حول المكي والمدني بجوابين:

الأول: بيان المغالطات والافتراءات في هذه الشبهات، كل واحدة على حدة وهذا هو الطابع العام والغالب على دراسات المستشرقين، إذ أن الكثير من هذه الدراسات (لم تخل من الحقد والتعصب والافتراءات والمغالطات والبعد عن الموضوعية، وهي تجعل من مجمل التراث العربي الإسلامي والحضارة الإسلامية تبعاً للمسيحية والفلسفة اليونانية)[11].

وقد تصدى العلماء لبيان طبيعة هذا المغالطات والافتراءات بنحو مفصل، ويمكننا أن نوجز بعض ردودهم على شبهات المستشرقين الآنفة على النحو الآتي:

١- إن قولهم بأن القسم المكي قد تفرد بالعنف والشدة هو قول باطل، إذ أن في القسم المدني شدة وعنفاً كما في قوله تعالى: (**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**)(البقرة:٢٤) فهذه آية من سورة البقرة وهي سورة مدنية، ومن ذلك ما جاء في سورة آل عمران وهي سورة مدنية قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئاً وَأُولَـئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ* كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**)(آل عمران:١٠-١١)، وغير ذلك في القسم المكي، كما أن القسم المكي لم ينفرد بالعنف والشدة - كما يزعم المستشرقون - بل إن في السور المكية آيات نراها تفيض ليناً وصفحاً وتقطر سماحة وعفواً ومن ذلك ما جاء في سورة فصلت المكية، قال تعالى:(**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**) (فصلت:٣٣) وغير ذلك كثير في القسم المكي[12].

ثم إنه ليس في القسم المكي ولا في القرآن كله سباب وشتم كما يفتري المستشرقون، فقد نهى القرآن نفسه عن السب والشتم إذ قال تعالى: (**وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّواْ اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ**)(الإنعام:١٠٨) نعم يوجد في القرآن تقريع وتأنيب عنيف وهو موجود في المدني كما في المكي، وإن كان يكثر وجوده في المكي بالنظر لمراعاة ظروف الاضطهاد والقسوة التي كانت تمر بها الدعوة، الأمر الذي اقتضى أن يواجه القرآن ذلك بالعنف والتقريع أحياناً لتقوية معنويات المسلمين[13].

٢- وأما قولهم إن أسلوب القسم المكي يمتاز بقصر السور والآيات وهو يدل على انقطاع الصلة بينه وبين القسم المدني فجوابه من وجهين:

الوجه الأول: - إنه مع الإقرار بصفة القصر المكي والطول للمدني فإننا لا نشعر بأي تفاوت أو انقطاع بينهما بل بكمال الصلة والتناسق وجمال الانسجام، ولو كان الأمر كما يدعون لما غاب ذلك عن أئمة الفصاحة والبيان من العرب والذي نزل فيهم وتحداهم فلم يجرؤوا على القول بانقطاع الصلة بين قسميه المكي والمدني.

وما القصر للمكي، والطول للمدني إلا شاهد بياني وبلاغي في أسلوب المخاطبة والتناسب مع الأحوال، فأهل مكة اتسموا بالتشدد والغلظة والصلافة فكان أسلوب الزجر المتسم بشواهد القصر مناسباً لهم، وعلى العكس من ذلك فأهل المدينة اتسموا باللين والسماحة والقبول فكان أسلوب الإطناب والإسهاب المتصف بشواهد الطول مناسباً لهم[١٤].

الثاني: إن القصر والإيجاز ليسا مختصين بالقسم المكي، بل توجد في القسم المدني سور قصيرة أيضاً كالشمس والزلزلة والبينة، كما أن الطول والتفصيل ليسا مختصين بالقسم المدني، بل توجد في المكي أيضاً سور طويلة كالأنعام والأعراف فالمقصود بتميز المكي بالقصر والإيجاز ليس الاختصاص بل الغالب والشائع فيه[١٥].

٣- أما شبهتهم بأن المكي لم يتناول في مادته التشريع والأحكام ، فقد رد علماؤنا عليها بوجهين:

الأول: إن القسم المكي لم يهمل جانب التشريع، وإنما تناول أصوله العامة وجملة مقاصد الدين، كما جاء في قوله تعالى: **(قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ* وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** (الأنعام:١٥١- ١٥٣) فهذه الآيات من سورة الأنعام وهي مكية - ناقشت العديد من التشريعات.

الثاني: إن هذه الظاهرة يمكن أن تطرح في تفسيرها نظرية أخرى تنسجم مع الأساس الموضوعي لوجود الظاهرة القرآنية نفسها، وهذه النظرية هي أن يقال أن الحديث عن التشريع في مكة كان شيئاً سابقاً لأوانه، حيث لم يستلم الإسلام حينذاك زمام الحكم بعد، بينما في المدينة على العكس فالقسم المكي لم يتناول التشريع لأن ذلك لا يتفق مع المرحلة التي تمر بها الدعوة، وإنما تناول الجوانب الأخرى التي تنسجم مع الموقف العام[١٦].

٤- أما قولهم أن القرآن المكي خلا من الدلالة والبراهين، فهذا كذب صريح ومكشوف، لأن القسم المكي حافل بأقوى الأدلة وأعظم الحجج على عقيدة الإسلام في الإلهيات والنبوات، استمع إليه في سورة المؤمنون المكية وهو يرفع

قواعد التوحيد ويزلزل بنيان الشرك، إذ يقول: (**مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ**)(المؤمنون:٩١)، وإذ يقول في سورة الأنبياء المكية: (**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**) (الأنبياء:٢٢) وغيرها من الأدلة القوية والبراهين الساطعة في باب الألوهية والنبوة والمعاد [١٧] وهي تناقض تماماً فرية المستشرقين المفضوحة.

فالقرآن الكريم برأي المستشرقين لم يكن سوى مظهراً ثقافياً بيئياً متمثلاً تارة ببيئة مكة، وببيئة المدينة تارة أخرى فتمخض عنه قرآنٌ مكيٌ ومدنيٌ، ومغزى المستشرقين من ذلك هو الطعن بحقيقة الوحي الإلهي، فالوحي عندهم لم يكن سوى نتاجاً بشرياً (محمدياً).

ولا يخفى أن هدف المستشرقين عموماً من هذا كله هو الوصول إلى نتيجة مفادها أن العقيدة الإسلامية جاءت نتيجة تطور في ثقافة الرسول كأي تطور فكري في حياة أي مفكر عادي[١٨]

وعليه فإن إشكالية المكي والمدني التي طرحها المستشرقون تتبع من فكرتهم في رفض الوحي.

كما أننا نجد (أن مناقشة الشبهات التي تثار حول الوحي القرآني لابد وأن تعتمد بصورة رئيسية على نتائج بحث إعجاز القرآن)[١٩] لأننا نتعرف من خلال ذلك البحث على أن القرآن ليس ظاهرة بشرية، وبالتالي ليس من صنع محمدﷺ وإنما يكشف بجوانب التحدي فيه عن ارتباطه بعالم الغيب، وما وراء الطبيعة[٢٠]

وعليه فكل ما توصل إليه المستشرقون حول مسألة الوحي لا يتطابق مع حقيقة الوحي ويفتقد للمنهج الموضوعي العلمي، وتصوراتهم عن الوحي هي تفسيرات خاطئة أملاها حقد ودجل وافتراء والذي يعزز من هذا الاعتقاد أن بعض المستشرقين أنفسهم قد انبرى للرد على مثل هذه الأباطيل ومنهم هنري لامنس، وفون هامر وفي طليعة الرادين والمفندين لمزاعم المستشرقين وليم موير في كتابه (حياة محمد)[٢١] ■

١- ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي: ١٣٥/١.
٢- ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن/ الزرقاني:/١٤٣.
٣- ينظر: المصدر نفسه.
٤- ينظر: مناهل العرفان: ١٤٣/١- ١٤٤.
٥- ينظر: بحوث في علوم القرآن:٨٢.
٦- ينظر: مناهل العرفان: ١٥٠/١.
٧- تاريخ القرآن:١٠٥/١/١.
٨- ينظر: مناهل العرفان:١٥٦/١.
٩- ينظر مناهل العرفان: ١٥٨/١.
١٠- ينظر: م. ن:١٧١/١.
١١- الخطاب العربي المعاصر تجاه الإسلام والمسلمين، د. مهدي فضل الله:١٢٤.
١٢- ينظر: مناهل العرفان:١٥٠/١- ١٥١.
١٣- ينظر: بحوث في علم القرآن:٥٩- ٦٠.
١٤- ينظر شبهات حول القرآن وتقييدها، د. غازي عناية:٨٠.
١٥- ينظر: بحوث علم القرآن:٦٢.
١٦- ينظر: بحوث في علوم القرآن: ٩٤- ٩٥).
١٧- ينظر مناهل العرفان: ١٧١/١- ١٧٢.
١٨- ينظر: بحوث في الاستشراق واللغة، إسماعيل أحمد عمايرة:٤٤٥.
١٩- علوم القرآن، محمد باقر الحكيم:١٤٣.
٢٠- علوم القرآن، محمد باقر الحكيم:١٤٣.
٢١- المستشرقين والدراسات القرآنية:٤٦.

أثر التجويد في تقويم اللسان لتحقيق التدبر

الباحث: أحمد جاسم النجفي

ينابيع اختار الله تعالى أن يكون اللسان العربي مظهراً لوحيه، ومستودعًا لمراده، وأن يكون العرب هم المتلقون أولًا لرسالته الخاتمة وإبلاغ مراده؛ لأنهم أفصح الأمم لساناً ولغتهم أسهل اللغات انتشاراً، وأكثرها تحملًا للمعاني مع إيجاز لفظه، قال تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**)(إبراهيم:٤).

واللفظ هو جسد المعنى، إذ (اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته)[١].

(ودراسة قواعد تجويد القرآن الكريم هي التي تعنى بألفاظ القرآن، وتحافظ على قالب المعنى صحيحاً قوياً متيناً سليماً؛ حتى تبقى المعاني في الألفاظ صحيحة سليمةً قويةً، وبقدر صحة الحامل وسلامته تكون صحة المعاني وسلامتها)[٢].

فالتجويد هو اللبنة الأولى للنطق العربي السليم؛ لتعلقه بدراسة أمرين مهمين هما:

مخارج الحروف وصفاتها، فمن أتقنهما وأحرز معرفتهما كان مؤهلًا للإلمام بقواعد التجويد النظرية.

فالالتزام بقواعد التجويد، ولاسيما مخارج الحروف وصفاتها، هو الذي يُسهم في المحافظة على عربية القرآن وفصاحته، ومتى (عريت التلاوة منه لم يكن موافقاً لما جاء عن الرسول ﷺ ونقلة القرآن، ومن ثم فإن ملامح

الإعجاز الأدائي تتوارى)[٣].

ولا شك في أن سلامة النطق تزيد الفهم، وتعين على التدبر، ومتى ما قرئ القرآن مجوداً مصححاً تلذذت الأسماع بتلاوته، وخشعت القلوب عند قراءته، وجال الفكر في تدبره[٤].

١.العناية بمخارج الحروف وصفاتها وأثرها في التدبر:

يقوم علم التجويد على عنصرين رئيسين هما: مخارج الحروف وصفاتها، فمن أتقنهما سهل عليه الإحاطة بقواعد التجويد الأخرى.

وقد أكد علماء التجويد منذ وقت مبكر أهمية دراسة المخارج والصفات؛ لأنها مبتنية على أساس الوصول إلى التدبر؛ لأن التدبر يتوقف على إخراج الأصوات من مخارجها بصورة صحيحة.

وقد أشار مكي إلى ذلك بقوله: (وإذ قد ذكرنا صفات الحروف ... فلنذكر الآن مخارج الحروف حرفًا بعد حرف، ونذكر مع كلِّ حرفٍ ما يليق به من ألفاظ كتاب اللّه تعالىٰ مما في اللفظ به إشكالٌ، أو فيه بعض صعوبةٍ على اللسان، فيتحفَّظ القارئ منهُ عند قراءته، ويأخذ نفسه بالتجويد فيه وبإعطائه حقّه، وإخراجه من مخرجه)[٥]، ويقول الداني: (اعلموا أن قُطبَ التجويد وملاك التحقيق معرفة مخارج

الحروف وصفاتها التي بها ينفصل بعضها من بعض، وإن اشترك في المخرج)[٦].

فقدم علماء التجويد دراسة صوتية شاملة تتضمن الحديث عن مخارج الحروف وصفاتها وأحكامها التركيبية؛ وذلك لمعالجة اللحن في القرآن الكريم، الذي يذهب برونقه وجمال نظمه وإعجازه، فضلاً عن فهمه وتدبر آياته .

فنجدهم قد أكدوا دراسة مخارج الأصوات وصفاتها بشكل كبير، وفصّلوا الحديث فيهما، وسأعرض هنا حديثهم عنها.

والمخرج عندهم: (هو الموضع الذي ينشأ منه الحرف)[٧] .

وعدد مخارج الأصوات عند علماء التجويد على الأشهر سبعة عشر مخرجاً[٨]، وقال بعضهم إنها ستة عشر مخرجاً[٩]، وأنقصها آخرون لتكون خمسة عشر مخرجاً[١٠].

وترتيب المخارج بحسب مواضع النطق كالآتي: الجوف: وهو مخرج حروف المد الثلاثة (ا، و ، ي)، أقصى الحلق: (ء ، هـ)، وسط الحلق: (ع ، ح)، أدنى الحلق: (غ ، خ)، أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى: (ق)، أقصى اللسان أسفل مخرج القاف (ك)، من وسط اللسان بينه وبين ما يقابله من وسط الحنك الأعلى: (ج ، ش ، ي غير المدية)، من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس: (ض)، من حافة اللسان من أدناه إلى منتهى طرف اللسان: (ل) ، من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا: (ن)، من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا غير أنه أدخل إلى ظهر اللسان: (ر)، مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا: (ط ، د ، ت)، مما بين طرف اللسان وفوق الثنايا: (ز ، س ، ص)، مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا: (ظ ، ذ ، ث)، مما بين الشفتين: (ب ، م ، و)، من الخياشم: (ن ، م المخفاة)[١١].

والصفة: (كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج، وتتميز بذلك الحروف المتحدة بعضها عن بعض)[١٢].

وعدد صفات الأصوات عند علماء التجويد على الأشهر ست عشرة صفة[١٣]، وقد بالغ بها بعضهم فوصلت لديه إلى أربع وأربعين صفة[١٤].

وقسّم الحسن ابن أم قاسم المرادي الصفات على قسمين هما:

١)صفات مميزة: وهي التي تميز بين الحروف المتشاركة في المخرج ولولاها لاتحدت أصواتها ولم تتميز ذواتها، وهي: (الجهر والهمس، والشدة والرخاوة والتوسط، والإطباق والانفتاح)[١٥].

والأصوات المهموسة جمعت في قولهم (فحثّه شخصٌ سكت)، وما عداها فهو مجهور، والأصوات الشديدة جمعت في قولهم (أجدك قطبت)، والمتوسطة (لن عمر)، وما عداهما فهو رخوٌ، الحروف المطبقة هي (ص، ض، ط، ظ)، وما عداها فهو منفتح[١٦].

١)صفات محسنة: وهي التي تُعطي الصوت جرسه الخاص به، من غير أن يكون له سمة التفريق بين الأصوات، فهي محسنة للأصوات التي تتصف بها فقط، ولا تكون سبباً لتمييزها من غيرها، وهي: (الصفير، والقلقلة، واللين، والانحراف، والتكرار، والتفشي، والاستطالة، والاستعلاء، والغنة)[١٧].

وأصوات الصفير هي (س، ز، ص)،

وأصوات القلقلة هي (قطب جد)، وصوتا اللين هما (ي، و الساكنتان المفتوح ما قبلهما)، وصوت الانحراف هو (ل)، وصوت التكرار هو (ر)، وصوت التفشي هو (ش)، وصوت الاستطالة هو (ض)، وصوتا الغنة هما (ن، م)[١٨].

وتحدث علماء التجويد عن صفة كل حرف، وبينوا الفرق بينه وبين الصفات المقابلة له إن كان له مقابل، وسجلوا ملحوظاتهم بشأن الأصوات ونطقها وما الذي يفعله الإخلال بالصفات من تغيير في الحروف.

يقول مكي:(لولا الجهر الذي في العين، لكانت حاءً)[١٩]، وقال في موضع آخر: (ولولا الهمس الذي في السين لكانت زايا. كذلك لولا الجهر الذي في الزاي لكانت سيناً، إذ اشتركا في المخرج والصفير، والرخاوة، والانفتاح، والتسفل، وإنما اختلفا في الجهر والهمس)[٢٠].

وإلى ذلك ذهب محمد المرعشي، إذ قال: (ويفترق الطاء عن الدال بالإطباق والاستعلاء والتفخيم، فلولا هذه الثلاث لكانت دالاً، ولولا أضدادها في الدال لكانت طاء، وعن التاء بهذه الثلاث وبالجهر فلولا هذه الأربع لكانت تاء، ولولا أضدادها في التاء لكانت طاء)[٢١].

قال عبد الوهاب القرطبي قديماً: (فأما حسن التخلص من دخول شوائب الحروف بعضها على بعض ... فيكون السبب في ذلك أن يجتمع حرفان امتاز أحدهما عن الآخر بمزيَّة ما، إما بتفخيم أو إطباق أو تفشٍّ أو غير ذلك مع إمكانِ المزيَّة فيه، لأن الحرف بسبب اتحاده بما جاوره يجذبه إلى حيِّزه ويسلُبُهُ المزيّة الخاصة به، أو يدخل معه فيها، أو يحدث بينهما حرف يشبههما)[٢٢].

ثم يذكر بعد ذلك كيفية التخلص منها، بقوله: (والذي ينبغي أن يعتمده القارئ في ذلك حُسنُ التخلص منه بإفراده كُلٍّ[٢٣] منهما بمزِّيته والتَّعمُّل لإيرادِه بخاصِّيَّته)[٢٤].

ثم يورد بعد ذلك مثالاً تطبيقياً، إذ يقول: (ومن ذلك السين إذا كانت ساكنة مع حرف من حروف الإطباق في كلمة كقوله تعالى: (**بِالْقِسْطَاسِ**)(الإسراء:٣٥)، (**فَمَا اسْطَاعُوا**) (الكهف:٩٧) ... وكذلك إن تحركت في مثل قوله: (**وَلَوْ بَسَطَ**) (الشورى:٢٧)، و (**لَئِنْ بَسَطْتَ**)(المائدة:٢٨) فَتَوَصَّلْ إلى تخليص السين من الإطباق في رِفق وتؤُدة لئلاَّ تصيرَ صاداً بالقربِ من حروف الإطباق)[٢٥].

رياضة اللسان وأثرها في تقويم اللسان وتصحيح النطق:

عُنيَ علماء التجويد برياضة اللسان وكثرة التكرار، فكانوا يعتمدون على التلقي والمشافهة من أئمة القراءة، ثم يثبتون ذلك برياضة اللسان –أي تدريبه- وكثرة التكرار، لأجل الوصول إلى غاية الإتقان في تأدية أصوات القرآن الكريم؛ من خلال تأدية حقوقها من المخارج والصفات حال إفرادها، وتوفيتها أحكامها الخاصة حال تركيبها مع الأصوات الأخرى.

قال الداني بعد تعريفه للتجويد: (وليس بين التجويد وتركه إلاّ رياضةُ مَنْ تَدَبَّرَهُ بفكِّه)[٢٦].

وقدَ تأثَّر ابن الجزري بمقولة الداني هذه، حتى ضمّنها في قصيدته المقدمة، إذ قال في البيت الثالث والثلاثين[٢٧]:

وليسَ بَينَهُ وبَينَ تركِه

إلاّ رياضةُ امرئ بفَكِّه

وقال ابن الناظم أحمد بن الجزري في شرحه للبيت: (أي: ليس بين التجويد وتركه فرق إلا رياضة امرئ، أي: مداومته على القراءة بالتكرار، والسماع من أفواه المشايخ الحُذّاق لا مجرد الاقتصار على النقل)[٢٨]، وتابعه على ذلك أغلب شراح المقدمة[٢٩].

وكان كثيرٌ من علماء التجويد يُشدِّدون على تطبيق أحكام التجويد حال إقرائهم طلبتهم؛ من خلال تأكيدها برياضة اللسان وكثرة التكرار.

وقد نقل الداني عن سُلَيم أنه قال: (وقف الثوري على حمزة، فقال: يا أبا عمارة ما هذا الهمز والمد والقطع الشديد؟ فقال: يا أبا عبد الله هذه رياضة للمتعلم. قال: صدقت)[٣٠].

ويظهر من كلامه جواز المبالغة في تأدية أحكام التجويد إذا كان بقصد التعلُّم؛ لترتاض به ألسنة المبتدئين، فيتجنبوا بذلك اللحن الجلي فضلاً عن الخفي.

وقد جعل ابن الجزري التدريب ورياضة اللسان الطريق الأمثل لتصحيح النطق وتقويم اللسان، إذ قال: (وَلا أَعْلَمُ سَبَبًا لِبُلُوغِ نِهَايَةِ الْإِتْقَانِ وَالتَّجْوِيدِ، وَوُصُولِ غَايَةِ التَّصْحِيحِ وَالتَّشْدِيدِ، مِثْلَ رِيَاضَةِ الْأَلْسُنِ، وَالتَّكْرَارِ عَلَى اللَّفْظِ الْمُتَلَقَّى مِنْ فَمِ الْمُحْسِنِ)[٣١].

وخلاصة القول إن تدريب اللسان ورياضته هما الطريق الأمثل لتحصيل التجويد، إذ بهما يُصَحَح النطق ويُقَوَّم اللسان.

أثر التجويد في تقويم عيوب النطق وأمراض الكلام لتحقيق التدبر:

يعجز بعض الناس عن نطق بعض أصوات القرآن الكريم، فنجدهم يبدلون أو يحذفون أو يزيدون صوتاً مكان صوت آخر، كلٌ بحسب درجة العجز لديه، وربما يظل هذا العجز مرافقاً للإنسان طوال حياته، وقد يتجاوزه بالعلاج والمران.

وقد أولى علماء التجويد هذا الجانب أهمية بالغة فأفرده بعضهم بكتاب مستقل[٣٢]، وضمنه بعضهم في مباحث علم التجويد[٣٣]؛ والسبب في ذلك هو المحافظة على عربية القرآن الكريم وفصاحته؛ لأنَّ القراءة الصحيحة الفصيحة الخالية من الانحرافات النطقية واللهجية هي أول خطوة لتدبر القرآن الكريم وفهم معانيه للوقوف على أسراره وبلاغته. ■

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ١٢٤/١.
(٢) أثر القراءة بالتجويد في القرآن المجيد، باسم حمدي حامد السيد: ٥٤.
(٣) إبراز المعاني بالأداء القرآني: ٥٤.
(٤) ظ: أثر القراءة بالتجويد في القرآن المجيد: ٦٠؛ أفلا يتدبرون القرآن: ١٠٤؛ مفهوم التلاوة والترتيل والتدبر في القرآن الكريم: ١٠٧.
(٥) الرعاية: ١٤٤.
(٦) التحديد: ١٠٤.
(٧) ن.م.
(٨) ظ: النشر ١٩٨/١-١٩٩؛ غاية المريد في علم التجويد: ١١٨؛ الميسر في علم التجويد: ٤٠.
(٩) ظ: الرعاية: ٢٤٣؛ التحديد: ١٠٤؛ الموضح في التجويد: ٧٨؛ التمهيد في معرفة التجويد: ٢٧٧؛ بداية الهداية في علم التجويد، عبد المحسن اللويمي الاحسائي: ٤٠.
(١٠) ظ: مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ،

عبد العزيز الاشبيلي: ٣٥؛ قواعد التجويد، محمد جواد العاملي: الورقة ١٠.

(١١) ظ: النشر ١٩٩/١-٢٠١؛ المنير في احكام التجويد: ١٠٥-١١٠؛ الميسر في علم التجويد: ٤٣-٥١.

(١٢) شرح المقدمة الجزرية، عصام الدين احمد بن مصطفى طاش كبري زاده: ٨٧.

(١٣) ظ: التحديد: ١٠٧؛ المفيد في شرح عمدة المجيد: ٦٤.

(١٤) ظ: الرعاية: ١١٥؛ الدر المرصوف في وصف مخارج الحروف، أبو المعالي محمد بن أبي الفرج الموصلي: ٩٦.

(١٥) ظ: المفيد في شرح عمدة المجيد: ٦٨-٦٩؛ الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٩٨.

(١٦) ظ: نهاية القول المفيد ٧٠-٧٣؛ الميسر في علم التجويد: ٥٨-٥٩-٦٠.

(١٧) ظ: المفيد في شرح عمدة المجيد: ٦٩؛ دراسة مخارج أصوات العربية وصفاتها عند القدماء والمحدثين: ١٤٨.

(١٨) ظ: المنح الفكرية :٤٣-٤٥؛ المفيد في شرح عمدة المجيد: ٦٤-٦٥-٦٦.

(١٩) الرعاية: ١٦٤.

(٢٠) ن.م: ٢١١.

(٢١) جهد المقل: ١٦٦-١٦٧.

(٢٢) الموضح في التجويد: ١٧٦-١٧٧.

(٢٣) هكذا وردت في النص الأصلي والصحيح (كُلاً) لأنّه مفعول به للمصدر (إفراد) المضاف إلى فاعله الهاء.

(٢٤) الموضح في التجويد: ١٧٧.

(٢٥) ن.م: ١٧٨.

(٢٦) التحديد: ٧٠.

(٢٧) المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه: ٤.

(٢٨) الحواشي المفهمة في شرح المقدمة: ١٨٢.

(٢٩) ظ: الطرازات المعلمة:١٤٠؛ اللآلئ السنية: ٥٤-٥٥؛ الدقائق المحكمة في شرح المقدمة: ٦٦؛ المنح الفكرية: ٥٤.

(٣٠) المصدر نفسه: ٩١.

(٣١) النشر ٢١٣/١؛ الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٦١.

(٣٢) ظ: بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، أبو علي الحسن بن أحمد بن البناء: ٣٥ – ٥٩.

(٣٣) الموضح في التجويد: ٢١٧-٢٢٣؛ أصوات القرآن كيف نتعلمها ونعلمها، يوسف الخليفة: ٥١-٨٦.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

يا علي إن فاطمة بضعة مني وهي نور عيني وثمرة فؤادي يسوؤني ما ساءها ويسرني ما سرها وإنها أول من يلحقني من أهل بيتي فأحسن إليها بعدي.

واحة الأدب

أدوات الطلب ودلالتها البلاغية في عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر

أ.م.د. حسين لفته حافظ
مركز دراسات الكوفة /جامعة الكوفة

ينابيع

اختط أهل البيت عليهم السلام منهجًا صحيحًا للعالم بأسره من خلال النصائح التي تركوها للأجيال القادمة والتي اشتملت على مواعظ وحكم وإرشادات وتوجيهات تربوية وأخلاقية تصلح أن تكون دستورًا يسلكه كل من أراد النجاة والسير في الدرب الصحيح، ومن تلك المواثيق ما خلّفه لنا الإمام علي عليه السلام في عهده المشهور إلى مالك الأشتر واليه على مصر، فقد احتوى هذا العهد على صور فريدة من الحكم والنصائح بأسلوب بلاغي فريد.

وموضوعنا يركز على أساليب الطلب ودلالتها البلاغية، فقد تنوعت أساليب الطلب في عهد الإمام عليه السلام، مرة يأتي الطلب بأسلوب الأمر ومرة أخرى يأتي الطلب بأسلوب النهي، وهما الأكثر استعمالاً من بين الأساليب الأخرى، فضلاً عن جماليات الإيجاز في العهد وتفنن الإمام عليه السلام في عرض أفكاره بطريقة شيقة، كذلك قدرة الإمام عليه السلام في التضمين القرآني، حتى لا يشعر القارئ معها بوجود تضمين إلا بعد التفحص الدقيق والتمعن، وذلك باعتماد أسلوب اللمحة الدالّة.

بواعث الإبداع في الأسلوب الخطابي عند الإمام علي عليه السلام

شكلت الخطابة عنصرًا مهما من عناصر الإبداع الفني عند العرب ومنذ العصر الجاهلي وذلك لتأثيرها القوي في نفوس الناس، واستمرت العناية بها مع مجيء الإسلام حتى وجدنا نبي الرحمة يستعمل الخطابة في مناسبات عدة، وكذلك عند الإمام علي عليه السلام، فنجد أن الخطابة قد أخذت أسلوبًا متميزًا جديدًا واكتسبت معنىً اصطلاحيًا متكاملاً إذْ تتمثل لنا ذروة البيان العربي بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عند الإمام عليه السلام ولذلك أسباب وعوامل

ذاتية وسياسية وتاريخية ونفسية اقترنت بالإمام عليه السلام.

أ ـ العامل الذاتي:

لاشك أن الإمام عليًا عليه السلام كان مؤهلًا تأهيلًا خاصًا ومعدًا إعدادًا ثقافيًا من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: إذ يقول صلى الله عليه وآله: (أنا مدينة العلم وعلي بابها)، وقوله: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)، وقوله: (علي أقضاكم)[1].

والخطابة تتناول العلم والقضاء والإعداد الإسلامي، وتتناول غير ذلك من مهمات رجل الدولة فيما يذيعه ويبينه لعامة المسلمين في الملمات، أليس هو القائل: (أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي)[2]، وقد أجمع مؤرخو السيرة والسلف الصالح أن هذا القول ما ادعاه أحد غيره إلّا فضحه الله، ونحن ننظر إليه من وجهة نظر أدبية فقط ومظنة نشر هذا العلم الذي احتاجه الناس هو المنبر، وذلك ما عوّدنا عليه الإمام عليه السلام، مضافًا إلى الرسائل والوصايا والعهود والمواثيق التي أبرمها بشكلها النهائي. وفي طليعة ذلك عهده لمالك الاشتر الذي فصل بنوده القانونية المرحوم الأستاذ توفيق الفكيكي في مجلدين هما (الراعي والرعية).

إن كفاية الإمام الشخصية وإعداده من النبي صلى الله عليه وآله وبلاغته التي لا يختلف فيها اثنان حتى عادت بديهية لا يحتاج في إثباتها إلى برهان، كل أولئك جعلته إمام الخطباء والبلغاء والمتكلمين من دون منازع.

ب ـ العامل السياسي:

إن العزل السياسي الذي تعرض له الإمام عليه السلام طيلة ربع قرن منذ وفاة النبي صلى الله عليه وآله إلى عهد خلافته عليه السلام فضلًا عن الأحداث التي رافقت حقبة خلافته، وهي أحداث دامية فجرت في نفسه الألم وأججت كوامن الأسى والشجى، فعبر عن ذلك بخطبه التي تناول فيها مختلف الأغراض الإنسانية وفي شتى مجالات المعرفة البشرية.

فالناكثون ومشاكلهم والقاسطون وجرائرهم والمارقون ونوازعهم كل أولئك عوامل سياسية جرت إلى حروب طاحنة كان الأسى يعتصر فيها قلب الإمام عليه السلام فينفح عن الأمة من جهة، ويهيئ لرد أعداء الإسلام من جهة أخرى، وما يحتاج ذلك من تحذير وإنذار وترغيب وترهيب وسياسة ودفاع وهجوم وتذكير بالله ودفع إلى الجهاد وإصرار على الحق وثبات على المبدأ.

جـ ـ العامل التاريخي:

نشأ من العامل السياسي أن تفرّق المسلمون شِيَعًا وكُتلًا وجماعات، فلكل قائدٌ ولكل موجّه، وغاية الإمام عليه السلام العودة بالإسلام إلى أصوله الأولى والاغتراف من مناهجه، والتذكير بالله تعالى والاستدلال على عظمته وقدرته، والتزام سنن الدين، في حين بَعُدَ المسلمون عن ذلك وراقتهم الدنيا بزبارجها، وذلك ما أشار إليه عليه السلام في قوله:

(**كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ سُبْحَانَه يَقُولُ: (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)** (القصص:٨٣)، بَلَى وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا

ووَعَوْهَا، ولَكِنَّهُمْ حَلِيَت الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ ورَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا)[٣].

هذا في وقت قد بَعُدَ الناس تاريخيًا عن عهد الرسول الأعظم ﷺ فكان الزمن قد شكّل عاملًا جديدًا في تفجير طاقة الإمام علي عليه السلام.

إذًا لم يجد الإمام عليه السلام محيصًا من استفراغ جميع قدراته البيانية وبذل إمكاناته الخطابية كافة من أجل العودة بالناس إلى الدين بشتى الأساليب البلاغية، فاستغل جميع الفرص والمناسبات للتذكير والوعظ والإرشاد والاحتجاج والرد والمجابهة، ولاسيما أن المسلمين ابتعدوا بمواقعهم عن جوهر الإسلام.

د ـ العامل النفسي:

كان الإمام بطبيعته وتركيبه النفسي مجبولًا على الزهد والتقوى والإعراض عن الدنيا ومواساة الفقراء ليكون النموذج الأسمى للحاكم العادل ولا أدل على ذلك من قوله:

(أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ولَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِه الدَّهْرِ أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ)[٤]، بهذا المستوى البلاغي الرفيع كان عليه السلام يعظ ويخطب.

ومن هذه الخلال تطورت الخطابة على يديه فأصبحت فناً متكاملًا ذا بالٍ في الأدب العربي الأصيل.

الأساليب البلاغية في خطبه عليه السلام

أولاً: أسلوب الأمر:

الأمر في اللغة هو نقيض النهي[٥]، لأن الأمر هو طلب فعل الشيء والنهي ترك الفعل، أما اصطلاحا فإن الأمر هو: صيغة تستدعي الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل على سبيل الاستعلاء[٦].

ومن الجدير بالذكر أن المُطّلع على عهد الإمام علي عليه السلام يلاحظ كثرة الأوامر الواردة فيه، وأكثر هذه الأوامر تبدأ بصيغة (إفعل)، ومن الأمثلة على ذلك قوله عليه السلام الذي يدلل فيه على أهمية العمل الصالح، وأنه أفضل من حطام الدنيا، فيقول:

(فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَامْلِكْ هَوَاكَ وشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ)[٧].

كذلك نجد في أوامره عليه السلام ميلًا واضحًا إلى الحث على إشاعة الرحمة والتراحم بين الناس، وهي صفة القائد الناجح الذي يجمع كل صفات القوة والتسامح، وهي صفة المرؤة عند العرب وذلك في قوله: (وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ)[٨].

وفي إشارة أخرى من أوامر الإمام علي عليه السلام يتحدث فيها عن الإنصاف والعدالة مستعملًا أسلوب الأمر مباشرة بجمل قصيرة في قوله:

(أَنْصِفِ اللهَ وأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ومِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ ومَنْ لَكَ فِيه هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ... وتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ ولَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وأَهْلِهِ)[٩].

ثانيًا: أسلوب النهي :

النهي في اللغة: ضد الأمر، تقول: نَهَيْتُه عن الشيء، أنهاه نهيًا، فانتهى عنه، وتناهى؛ أي: كفَّ، ومنه تَنَاهَوْا

عـن المنكـر ؛ أي: نهـى بعضهـم بعضًـا[١٠].

وأمـا فـي الاصطـلاح، فهـو: (طلـب الكـفّ عـن فعـل، على جهـة الاسـتعلاء)[١١].

نحو قوله عليه السلام:

(ولَا تَحْقِـرَنَّ لُطْفـاً تَعَاهَدْتَهُـمْ بـه وإِنْ قَـلَّ، فَإِنَّـه دَاعِيَـةٌ لَهُـمْ إِلَـى بَـذْلِ النَّصِيحَـةِ لَـكَ وحُسْـنِ الظَّـنِّ بـكَ).

ومـن الأمثلـة الأخـرى التـي اسـتعمل فيهـا الإمـام علـي عليه السلام أسـلوب النهـي، قولـه: (ولَا يَطْمَعَـنَّ منْـكَ فـي اعْتِقَـاد عُقْدَة تَضُـرُّ بمَـنْ يَليهَـا مـنَ النَّـاس فـي شِـرْبٍ أَوْ عَمَـلَ مُشْـتَرَك يَحْمِلُـونَ مَؤونَتَـه عَلَـى غَيْرِهِـمْ فَيَكُـونَ مَهْنَـأُ ذَلِـكَ لَهُـمْ دُونَـكَ وعَيْبُـه عَلَيْـكَ فـي الدُّنْيَـا والآخِـرَة)[١٢].

نلاحـظ هنـا أن الإمـام يعلـل أسـباب هـذا النهـي والعلـة مـن ورائـه، مبينًـا السـبب الحقيقـي أنـه سـوف يخلـف آثـارًا تمتـد إلـى الآخـرة، ولا تقتصـر علـى الدنيـا. وكذلـك قولـه عليه السلام: (ولَا تَغْتَلَـنَّ عَـدُوَّكَ فَإِنَّـه لَا يَجْتَـرِئُ عَلَـى اللَّهِ إِلَّا جَاهِـلٌ شَـقِيٌّ)[١٤].

امتـاز كَلام الإمـام عليه السلام بالانتقـاء الشـديد للمفـردة المناسـبة، ووضعهـا فـي المـكان المناسـب لهـا، فقـد ذكـر النحـاةُ التحذيـرَ المفعـولَ بـه لفعـل الأمـر المحـذوف أو المَفعـول للمُضـارع المحـذوف نحـو قـول الإمـام علـي عليه السلام:

(وإِيَّـاكَ والْعَجَلَـةَ بالأُمُـور قَبْـلَ أَوَانِهَـا، أَو التَّسَـقُّطَ فيهَـا عِنْـدَ إِمْكَانِهَـا، أَو اللَّجَاجَـةَ فيهَـا إِذَا تَنَكَّـرَتْ، أَوِ الْوَهْـنَ عَنْهَـا إِذَا اسْـتَوْضَحَتْ)[١٥]، وهـذه مـن أروع العبـارات التـي تضـع النقـاط علـى الحـروف لمـن كان حاكمًـا أو مديـرًا وكيفيـة معالجتـه وتصرفـه لـكل مـا يعترضـه مـن ظـروف فـي حكمـه أو إدارتـه.

ثالثًا: أسلوب النداء:

النـداء لغـة: هـو الدعـاء بـأي لفـظ، كأن تنـادي علـى شـخص باسـمه، أو أن تحـدث صوتًـا يشـعر بالنـداء، أو أن تصفـر، أو أن تشـير إلـى إنسـان فيفهـم أنـك تناديـه فيُقْبـل[١٦].

أمـا النـداء اصطلاحًـا: هـو طلـب الإقبـال بـ (يـا) أو بإحـدى أخواتهـا[١٧].

ومـن الأمثلـة علـى اسـتعمال الإمام عليه السلام لهذا الأسلوب قوله:

(ثُـمَّ اعْلَـمْ يَـا مَالِـكُ أَنِّـي قَـدْ وَجَّهْتُـكَ إِلَـى بِـلَاد قَـدْ جَـرَتْ عَلَيْهَـا دُوَلٌ قَبْلَـكَ مِـنْ عَـدْلٍ وجَـوْر)[١٨].

رابعًا: السمات البلاغية:

١ـ الإيجاز:

لعـل مـن أهـم السـمات البلاغيـة التـي يلاحظهـا المطلع على عهد الإمام علي عليه السلام أن الأعـم الأغلـب مـن عباراتـه تمتـاز بالإيجـاز، وقـد اسـترعى إيجـاز عبـارات الإمـام علـي عليه السلام انتبـاه علمـاء البيـان وكبـار الأدبـاء، وأولهـم، (الجاحـظ)، إذ علّـق علـى قـول الإمـام علـي عليه السلام: (قيمة كلّ امرئٍ ما يُحسنهُ) قائلاً:

(فلـو لـم نَقـف مـن هـذا الكتـاب إلاّ علـى هـذه الكلمـة لوجدناهـا شـافيةً كافيـةً ومجزئـةً مُعفيـة، بـل لوجدناهـا فاضلةً عن الكفايـة، وغيـر مقصّـرة عـن الغايـة)[١٩].

ويرتبـط (الإيجـاز) بـ (الحذف) برابطة دلاليـة، فقـد جُبلـت (اللغـة العربيـة) علـى الحـذف بسـبب ميلهـا إلـى (الإيجـاز)[٢٠]. والحـذف (بـاب دقيـق المسـلك، لطيـف المأخـذ، عجيـب الأمـر، شـبيه بالسـحر، فإنـك تـرى بـه تـرك الذكـر، أفصـح مـن الذكـر، والصمـت عـن الإفـادة، وتجـدك

أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبن)[٢١].

والحذف مما (يمكن ملاحظته في المستوى التركيبي للغة النهج على صعيد واضح)[٢٢].

٢ـ التوازن التركيبي:

(إذا اختلف في الإمام المختلفون، فهم لا يختلفون في قدرته البلاغية الفائقة التي تبدع الكلام في حينه ومناسبته، إذ هو يلقي كلامه محكمًا بأسلوب يضيئه المجاز بألوانه، يصدر عن صدقه وإيمانه، وتجاربه التي عرفت الحياة وطبائعها وخفاياها. فهو امتداد للخطاب النبوي، لذلك كان وعيه عسيراً على الكثير من معاصريه الذين أسرتهم المصالح والعصبيات، فكلامه لا يخطئه من يسمعه أن يشير إليه، بدلالات سياقية تفتح للسامع آفاق المعاني في التأمل، وألوان المعرفة، فخطابه يمتاز بفنية اللغة وعمق الفكرة والاجتهاد في التوجيه)[٢٣].

ومما جاء في عهده عليه السلام:

(ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً وَلَا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقاً وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَراً)[٢٤].

لقد امتاز كلام الإمام وخطبه بخصائص لغوية وبدلالات مقصدية وبنظم سياقية اختص بها، وبذلك كان كلامه دالاً على شخصه فهو امتداد لخصائص الثقافة النبوية، وهنا يتوحد الدال والمدلول كما يتوحد النص ومنتجه فلا نستطيع الفصل بينهما[٢٥].

وأخيرا فإن قارئ عهد الإمام علي عليه السلام يجد فيه كل أسباب الفصاحة والبلاغة في تفصيله وإيجازه وفي تركيبه وأساليبه البلاغية ■

---

١ - المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة/ السخاوي:ص٢٠.
٢ـ نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٢٨٠.
٣ - ن.م / ص ٤٩
٤- ن.م/ ص٤١٨.
٥ - ينظر لسان العرب مادة (امر).
٦ - ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز/العلوي: ص٢٨١.
٧ - عهد الإمام علي (ع)/ نهج البلاغة/ ص٤٢٧.
٨ - ن.م
٩ - ن.م/ص ٤٢٨.
١٠ - ينظر لسان العرب مادة نهى .
١١- ينظر مفتاح العلوم/السكاكي:ص٨٦ - أصول الفقه/للخضري بيك/ص (١٩٩).
١٢ـ عهد الامام علي (ع)/ نهج البلاغة/ ص٤٣٣.
١٣- ن.م/ ص٤٤١.
١٤- ن.م / ص ٤٤٢.
١٥- عهد الإمام علي (ع)/ نهج البلاغة/ ص٤٤٤.
١٦- ينظر لسان العرب .
١٧- معجم المصطلحات البلاغية/ أحمد مطلوب : ٦٤.
١٨- عهد الإمام علي (ع)/ نهج البلاغة/ ص٤٢٧.
١٩- البيان والتبيين/الجاحظ :٨٣/١.
٢٠- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي/ طاهر سليمان حمودة : ٩.
٢١- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني :٣٦٢/٢.
٢٢- المستويات الجمالية في نهج البلاغة/ نوفل أبو رغيف ، ص١٥٧.
٢٣- ينظر مقدمة لإعراب نهج البلاغة ومعانيه/ زهير غازي زاهد : ٣.
٢٤- عهد الإمام علي (ع)/ نهج البلاغة/ ص٤٣٥.
٢٥- مقدمة لإعراب نهج البلاغة وبيان معانيه:٤.

أثر التنغيم والوقف في دلالة (هل) الاستفهامية

د. فاطمة عبد الأمير السلامي
الكلية الإسلامية الجامعة/النجف الأشرف

يتابع عكف الدارسون، قدامى ومحدثون، على دراسة أسلوب الاستفهام، سواء أكانت هذه الدراسة في النحو العربي بصورة عامّة أم في النحو القرآني بصورة خاصّة.

وفي أثناء شرحهم للاستفهام وأدواته، وقفوا عند (هل) الاستفهامية وبيّنوا أنّها حرف استفهام يستفهم به عن مضمون الجملة، وتستعمل للاستفهام الحقيقي أو للاستفهام المجازي، ومن ثم بيّنوا المعاني المجازيّة التي يخرج إليها الاستفهام بـ(هل)، ومن أشهرها: الأمر، التمني، العرض، والنفي، وتأتي (هل) بمعنى (قد) أيضاً[1].

وقد وقف المحدثون عند دلالة (هل) وسبب اختيارها دون غيرها من الأدوات التي تؤدي المعاني المجازيّة التي تخرج إليها جملة (هل) الاستفهاميّة، ومن ذلك مثلاً وقوفهم عند موضوع (النفي بهل) وبيان إنّ (هل) لا تؤدي معنى (ما) النافية فقط، لأنّ معنى الاستفهام لا ينمحي في الجملة وتتغير من الإنشاء إلى الخبر، بل إنّ النفي بـ(هل) لا يُعَدُّ نفياً محضاً بل هو استفهام أُشْرِبَ معنى النفي[2].

وقد تابع كثير من الباحثين هذا الرأي وأيدوه، إلا أن المتتبع والمدقق للدراسات التي وقفت عند الاستفهام وعند (هل) بالخصوص سوف لن يعثر على دراسة بيّنت أثر تنغيم الجملة الاستفهامية على المتلقّي، ولم يجد دراسة ربطت بين التنغيم وبين الأثر الذي يتركه الوقف على نهاية الجملة الاستفهامية وأثر ذلك على المتلقّي.

ومن هنا انبثقت هذه الدراسة الصغيرة عن هذا الموضوع، وبيان أثر التنغيم والوقف على دلالة (هل) الاستفهاميّة في القرآن الكريم، وبما أنّ (هل) الاستفهاميّة وردت بأكثر من سياق في القرآن الكريم، فصار طرح الدراسة على الفقرات الآتية:

أولاً: (هل) في بداية السورة القرآنية.

ذكر الزركشي (ت٧٩٤هـ) ستّ سور تمّ افتتاحها بأسلوب الاستفهام منها سورتين تمّ افتتاحهما بـ(هل) هما سورتا الإنسان والغاشية[٣].

إذ افتتحت سورة الإنسان بقوله تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا)، وللمفسرين في هذه الآية رأيان، فمنهم من يرى أن في الآية استفهام إنكاري[٤]، ومنهم من يرى إن أسلوب الاستفهام هنا جاء بمعنى (قد) أي للتقرير[٥]. إذ لا يقصد الاستفهام الحقيقي من هذه الآية فهو استفهام خرج إلى معنىً مجازي.

أما بالنسبة لسورة الغاشية فهي مفتتحة بقوله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) والخطاب هنا للنبي ﷺ والمقصود من (هل) أتاك (قد أتاك) على رأي جماعة من المفسرين[٦]، ويبدو أنهم استندوا في هذا المعنى إلى الرواية التي وردت عن النبي (ص) ونص هذه الرواية الآتي:

(مرّ النبيُّ ﷺ على امرأة تقرأ: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ). فقام يستمع ويقول: نعم قد جاءني)[٧]. وهذه الرواية تبيّن لنا أنّ معنى التقرير الذي يخرج إليه الاستفهام بـ(هل) يتولّد نتيجةً لوعي المتلقي بهذا الأسلوب وتأثيره فيه فيقرّ بهذا الأمر، إذن معنى التقرير نتوصل إليه من تأثير النص على المتلقي، لا من النص فحسب.

أما أبو حيان (ت٧٤٥هـ) فله رأي آخر في هذه الآية وهو إنّ الاستفهام جاء في أوّل السورة القرآنية لفائدة جليلة مفادها (تحريك نفس السامع إلى تلقي الخبر)[٨].

وهذا الرأي هو الراجح في هذا البحث، ويبدو أنّ أبا حيان بعبارته هذه قد تنبّه إلى الأثر الصوتي الذي يتركه أسلوب الاستفهام على المتلقي فيؤدي إلى تحريك نفسه باتجاه هذا الخبر.

ثانياً: (هل) في بداية الآية القرآنية.

مثّلت (هل) الاستفهامية كلمة البداية في آيات قرآنية عدّة، وقد جاء تعبير (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ) في بداية أكثر من آية في القرآن الكريم، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**...)(الأعراف:٥٣)، فمن الملاحظ أنّ جملة (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ) مستأنفة استئنافاً ثانياً، لأنّ قوله: (لَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ...) يثير سؤال من يسأل: فماذا يؤخّرهم عن التصديق بهذا الكتاب الموصوف بتلك الصفات؟ وهل أعظم منه آية على صدق الرسول ـ ص ـ؟ فكان قوله (هَلْ يَنظُرُونَ) كالجواب عن هذا السؤال الذي يجيش في نفس السامع. والاستفهام إنكاري ولذلك جاء بعده الاستثناء ـ ومعنى (يَنظُرُونَ) ينتظرون من النظرة بمعنى الانتظار. والاستثناء من عموم الأشياء المنتظرات، والمراد المنتظرات من هذا النوع وهو الآيات، أي ما ينتظرون آية أعظم إلا تأويل الكتاب...)[٩].

ولكن (هل) هنا لا يقصد منها (ما) النافية فقط؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لكانت الجملة (ما ينظرون إلا تأويله)، بل إن التنغيم في أسلوب الاستفهام يختلف عن التنغيم في أسلوب النفي، فهناك

فرق كبير بين التنغيمين، وطبعاً تنغيم الاستفهام يؤثر بشكل أعمق على المتلقي فلهذا اختير في التعبير القرآني دون النفي، هذا فضلاً عن تعاضد ظاهرة الوقف معه والتي تمثل عنصر تنبيه للمتلقي، إذ كلما وردت آية في بدايتها أسلوب (هَلْ يَنظُرُونَ إلاَّ) كانت هناك علامة من علامات الوقف موجودة في نهاية أسلوب الاستفهام للفصل بينه وبين تكملة الآية الكريمة، وكما يأتي:

(هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ) (الأنعام: ١٥٨).

فإذا أمعنا النظر في كلتا الآيتين السابقتين، فسوف نلاحظ فيها ظاهرتين صوتيتين تتعاضدان على التأثير في دلالتهما، وهاتان الظاهرتان هما: ظاهرة التنغيم[١٠]، وظاهرة الوقف[١١].

فإنّ تنغيم الجملة الاستفهاميّة في كل منهما له وقعه الخاص على المتلقي، إذ هناك فرق في تنغيم [هَلْ أَتَاكَ] أو [هَلْ أَتَى] وبين جملة (قد أتاك) أو (قد أتى) فالأسلوب الطلبي له نغمته الخاصة المؤثرة على المتلقي والتي يخلو منها الأسلوب الخبري، إذن فأي شخص يسمع أو يقرأ إحدى هاتين الآيتين، سيكون لوقع تنغيمهما أثر واضح عليه، فضلاً عن التأثير الذي يسببه الوقف في نهاية الجملة الاستفهامية، إذ إنّ هذا الوقف لا يمثّل فسحةً زمنيةً مجردةً يرتاح فيها القارئ من القراءة، بل هو عنصر تنبيه للمتلقي ينبهه للسؤال المثار، ويكسبه وقتاً يفكر فيه مع نفسه بمعنى هذا السؤال، وكذلك ينبهه للحدث المهم الذي سوف يتم الكلام عنه بعد هذا السؤال، ولم يقتصر أسلوب (هَلْ أَتَاكَ) على بداية السورة القرآنية فحسب بل ورد هذا الأسلوب في آيات أخرى من القرآن الكريم، هي:

(هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) (ص: ٢١).

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ) (البروج: ٧).

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ) (الذاريات: ٢٤).

(هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ) (النحل: ٣٣).

(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (الزخرف: ٦٦).

(فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا) (محمد: ١٨).

ثالثاً: (هل) في نهاية الآية القرآنية

ورد الاستفهام بـ(هل) بكثرة في القرآن الكريم، إذ تجاوز وروده في عشرين آية قرآنية.

وغالباً ما تكون الجملة الاستفهامية في نهاية الآية عنصر تنبيه للمتلقي تبيّن خلاصة الأفكار والمعاني التي عبّرت عنها الآية القرآنيّة، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: **(وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ)**(الأنبياء:٨٠)، موضع الشاهد هو (فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ)، أي تنبيهاً لكلّ من يقرأ هذه الآية حتّى يسأل نفسه بعد توقّفه عند نهاية هذه الآية، هل شكر النعمة التي أنعمها الله سبحانه وتعالى عليه أم لا، ليس مجرد حدوث فعل الشكر فحسب إذ أنّ الآية عبّرت بصيغة اسم الفاعل عن الشكر فقالت: (شَاكِرُونَ) دون (تشكرون) أي تريد دوام الشكر لا مجرّد تلفّظ المتلقّي بذلك بقوله: (شكراً لله) عند سماعه أو قراءته لهذه الآية فحسب.

نصل في الختام إلى أن هناك أثر نفسي يشعر به المتلقي عند قراءته أو سماعه لأسلوب الاستفهام بـ (هل) في القرآن الكريم، كما أن هناك أثر نفسي يتولد بسبب ظاهرتي التنغيم والوقف.

إذ عند ملاحظتنا لجميع الأماكن التي وردت فيها (هل) في القرآن الكريم سواء أكان في بداية السورة أو في بداية الآية الكريمة أو في نهايتها، نجد اجتماع ظاهرتي التنغيم والوقف فيها يمثّل عنصر تنبيه للمتلقي الكريم يعمل على تنبيهه بأنّ الكلام هنا يدور حول موضوع مهم يحتاج منه أن يوليه عنايةً خاصةً وأن يتدبّر فيه.■

---

١)ظ: ابن هشام، مغني اللبيب:٢/ ١٣ ــ ١٧، ومحمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: ٣/ ٤٨٤ ــ ٤٨٧، ومحمد حسن شريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: ٣/ ١١٤١.

٢)ظ: معاني النحو/ فاضل السامرائي: ٤/ ٢٠٨ وما بعدها.

٣)ظ: البرهان في علوم القرآن/الزركشي: ١/ ١٢٩.

٤)ظ: نظم الدرر/ البقاعي: ٢١/ ١٢١.

٥)ظ: مجمع البيان/ الطبرسي: ١٠/ ١٦٣.

٦)ظ: المصدر نفسه: ١٠/ ٢٥٧.

٧)الدر المنثور/ السيوطي: ١٥/ ٣٨٠.

٨)البحر المحيط/الأندلسي: ٨/ ٤٥٧.

٩)التحرير والتنوير/ ابن عاشور: ٨/ ١٥٣ ــ ١٥٤.

١٠)التنغيم: هو تغيير في الأداء بارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام العادي للدلالة على المعاني المتنوعة في الجملة الواحدة. د. مناف الموسوي، علم الأصوات اللغوية: ١٣٤.

١١) الوقف: (هو عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه القارئ بنية استئناف القراءة، فمن حيث الزمن يستغرق الوقف وقتاً يسمح بالتنفس، ويكون ذلك على رؤوس الآي أو أواسطها، ولا يكون في وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسماً من الكلمات. ومن حيث القصد فإن القارئ، يقف لا بنية الإعراض وعدم الاستمرار في القراءة، بل بنية الاستراحة التي تسمح له بالتنفس، والعودة مباشرةً لاستئناف القراءة) د. محمد يوسف، أثر الوقف على الدلالة التركيبية: ٢٤.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي.

في الفصاحة والبلاغة والبيان

قيل: إن سعد بن ضمرة الأسدي لم يزل يغير على النعمان بن المنذر يستلب أمواله حتى عيل صبره، فبعث إليه يقول: إن لك عندي ألف ناقة على أنك تدخل في طاعتي، فوفد عليه وكان صغير الجثة، اقتحمته عينه وتنقصه، فقال: مهلاً أيها الملك، إن الرجال ليسوا بعظم أجسامهم، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، إن نطق نطق ببيان، وإن صال صال بجنان، ثم أنشأ يقول:

يا أيها الملك المرجو نائله ... إني لمن معشر شم الذرى زهر

فلا تغرنَّك الأجسام إن لنا ... أحلام عاد وإن كنا إلى قصر

فكم طويل إذا أبصرت جثته ... تقول هذا غداة الروع ذو ظفر

فإن ألم به أمر فأفظعه ... رأيته خاذلاً بالأهل والزمر

فقال: صدقت فهل لك علم بالأمور؟ قال: إني لأنقض منها المفتول، وأبرم منها المحلول، وأجيلها حتى تجول، ثم أنظر فيها إلى ما تؤول، وليس للدهر بصاحب من لا ينظر في العواقب. قال: فتعجب النعمان من فصاحته وعقله، ثم أمر له بألف ناقة، وقال له: يا سعد إن أقمت واسيناك وإن رحلت وصلناك، فقال: قُربُ الملك أحب إلي من الدنيا وما فيها، فأنعم عليه وأدناه وجعله من أخص ندمائه.

(المستطرف في كل فن مستظرف/ الأبشيهي/ ج١ ص٩٢)

أجوبة مسابقة العدد (٧٢)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: أ- في ليلة عاشوراء.

السـؤال الثاني: ب- أربعة آلالف.

السـؤال الثالث: أ- أخبر عبيد الله بن زياد بما قاله مسلم عليه السلام.

السـؤال الرابع: ج- سعد بن أبي وقاص .

السؤال الخامس: ج- ولده عبيد الله.

السؤال السادس: أ- برير بن خضير.

السـؤال السابع: أ- الغداة.

السـؤال الثامن: ب- الاثنين.

السـؤال التاسع: أ- الخزيمية.

الفائز بالجائزة الأولى: محمود شاكر مرهون / الكوت/ العزيزية.

الفائز بالجائزة الثانية: حسين صلاح حيدر/ النجف الأشرف/ حي الانصار.

الفائز بالجائزة الثالثة: ايمان حسين جعاز/ بغداد/ مدينة الصدر.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٧٤)

١ مسجد من المساجد المعظمة، قال عنه رسول الله ﷺ: (لكأني به يأتي يوم القيامة محرماً في ملائتين يشهد لمن صلّى فيه ركعتين)، أي مسجد أراده رسول الله ﷺ؟

أ- مسجد قبا. ب- مسجد الكوفة. ج-مسجد الخيف.

٢ عثمان بن مظعون الجمحي، أبو السائب، كان عابداً مجتهداً من فضلاء الصحابة وعقلائهم، حرّم الخمر على نفسه بالجاهلية، كان من السابقين إلى الإسلام، مات سنة ٢ للهجرة، ودفن في البقيع، بأي ميزة تميز؟

أ- أول من مات من المهاجرين بالمدينة.

ب- أول من سعى في بناء المسجد النبوي.

ج- أول من برز في واقعة بدر.

٣ لما منعت سيدة النساء عليها السلام فدكاً، جاءت مع لمة من النساء وخطبت خطبتها الكبرى قائلة: (الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم...) ثم أوردت آيات قرآنية كشواهد على حقها في إرثها من أبيها ﷺ، فكم آية ذكرت في خطبتها؟

أ- أربع آيات. ب- خمس آيات. ج- ست آيات.

٤ (اللهم إني أسألك بقوتك القوية وبجلالك الشديد الذي كل خلقك له ذليل أن تصلي على محمد وأهل بيته وأن تأخذه الساعة)، كلمات دعا بها الإمام جعفر الصادق عليه السلام على والٍ من ولاة بني العباس، قام بقتل صاحب الإمام ظلماً وعدواناً، فهلك الوالي من ساعته، فمن ذلك المقتول؟

أ-المعلى بن خنيس.

ب- زرارة بن أعين.

ج- سدير الصيرفي.

كوبون المسابقة

ينابيع

٧٤

الاسم الثلاثي: ..... العنوان: .....

جواب السؤال الأول

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الثاني

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الثالث

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الرابع

أ	
ب	
ج	

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ جمادى٢/ ١٤٣٨هـ

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

٥ سُئل الإمام الباقر عليه السلام عن إخوته ومن أحبهم إليه، فذكر لكل واحد منهم صفة تميزه عن الآخر وتبرز مكانته عنده، فبماذا وصف عليه السلام أخاه الحسين الأصغر؟

أ- حليم يمشي على الأرض هوناً. ب- صائم نهاره قائم ليله.
ج- زاهد في الدنيا وزينتها.

٦ **يزاحمهم جبريل تحت عباءة**
لها قيل: كل الصيد في جانب الفرا

بيت أراد به الشاعر أن يبين دخول جبرائيل أمين وحي الله تعالى مع أصحاب الكساء، وهم فاطمة وأبوها وبعلها وابناها، فمن هذا الشاعر؟

أ- ابن أبي الحديد المعتزلي. ب- حسان بن ثابت.
ج- الكميت بن زياد.

٧ عبد الله بن جعفر الطيار، عرف بالجواد لسخائه وكرمه وكان مشايعاً لعمه أمير المؤمنين عليه السلام ولابني عمه الحسن والحسين عليهما السلام، تزوج بالسيدة زينب الحوراء عليها السلام وأولدها فكم وُلد له منها؟

أ- ولدان. ب- ثلاثة أولاد. ج- أربعة أولاد.

٨ سلطان من السلاطين العثمانيين، زار النجف، فأشار عليه أحد وزرائه أن يبقى على جواده ولا ينزل فاستفتح بالقرآن الكريم فقرأ (فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى) فخلع السلطان نعليه ومشى حافياً لضريح سيد الأوصياء، فمن هو ذلك السلطان؟

أ- عبد الحميد. ب- عبد المجيد. ج- سليمان.

٩ وصايا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام كثيرة، منها ما أوصاه قائلا في بداية الوصية (من الوالد الفان، المقر للزمان، المدبر العمر، المستسلم للدهر، الذام للدنيا، الساكن مساكن الموتى، والظاعن عنها غدا، إلى المولود المؤمل ما لا يدرك، السالك سبيل من هلك...)، أين كتب أمير المؤمنين عليه السلام هذه الوصية؟

أ- منصرفاً من صفين. ب- قاصداً الكوفة بعد واقعة الجمل.
ج- منصرفاً من النهروان.

قناة المنهاج الفضائية
MINHAJ TV CHANNEL
11641 H | Freq: 27500

العراق - النجف الأشرف حي السعد - الفرع الأول من شارع الستين |

(+964) 0781 777 7065 / 0771 777 7065 |

www.minhaj-tv.com |

info@minhaj-tv.com |

/MinhajTVChannel /MinhajTVChannel @MinhajTVChannel /MinhajTV /MinhajTV

عتباتنا | صورة قديمة لمرقد الإمام علي عليه السلام بعدسة المصور ابي القاسم بن محمد تقي ١٣٢٠ هـ